الفصل التاسع

تأمين اللَّولب

• ماسونية أتاتورك !!

انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ بهزيمة ألمانيا وحليفتها حكومة « الاتحاد والترقي » - الماسونية - التي استولت على الحكم في دار الخلافة الإسلامية زهاء أحد عشر عاماً وأرغمت الجيوش العثمانية الباسلة للدخول في حرب أوروبية لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، ومن ثَمَّ القتال في جبهات مترامية الأطراف : في الحجاز ومصر وسوريا وفلسطين والعراق والأناضول وشب جزيرة البلقان ، وفي البحار : الأسود والأبيض المتوسط وإيجة ومرمرة .

وبعد انتهاء المزبلة الماسونية - حكومة الاتحاد والترقي - وتبعثر محتوياتها وفرار قادتها الدونمة : أنور وطلعت وجمال ، واختفاء اليهودي جاڤيد ، وبقية الأعضاء في أماكن مجهولة تحت غطاء من « محفل سالونيك » تألفت حكومة برئاسة توفيق باشا صديق الإنجليز فوقّعت هدنة في ٢٩ أكتوبر ١٩١٨ على ظهر بارجة إنجليزية في ساحل مدروس .

وكان من شروط الهدنة تسريح معظم الجيش وجمع سلاحه . وجُمعت فعلاً أسلحة أربعة جيوش من المخازن والمستودعات وسُلّمت للإنجليز الذين سلّموها بدورهم لليونان لدور قادم بعد شهور سيكتب الشعب التركي المسلم بدمه الزكي أسطورة نصره الباهر .. لكن الدم العزيز سيُعَمِّد به مهندسو الأمم - الإنجليز - « صنماً » أُعِدَّ لذلك الدور المشبوه !!

لكن الجيش الذي يقوده « كاظم قره بكير » - المعسكر في ديار بكر في أقصى شرق الأناضول بفرقه الست - قد بقي بقوته وكامل عُدته .

وهَبَّ الأتراك عن بَكرة أبيهم للجهاد الذي استُنفِرَ له الرجال وقد تنادوا أن حمى خليفة المسلمين قد استُبيح .

تألّفت في العاصمة نفسها - الآستانة - برغم احتلالها من كل قوى عالَم العدو - عشرات الجمعيات السرية ، هدفها الاستيلاء على الذخائر والأسلحة وإسالها إلى المجاهدين في الداخل ، حيث شُكّلت هناك في عشرات المواضع جمعيات مهمتها تدبير المقاومة السرية .

وتحرك الدعاة في طول البلاد التركية وعرضها وفي ديار الإسلام في قارتي آسيا وإفريقيا ، يحثون الناس على الجهاد ويستطلعون الأنباء ويبثونها ، دعماً لجذوة نار القتال المشتعلة في صدور أبناء آخر الدول الجامعة لوحدة المسلمين .

تتحدث من تُسمى « مدام جوليس » - كشاهد عيان - عن دور كتائب الدعوة والمعلومات . فتقول في صورة قلمية رائعة :

« كان ينساب بين هذا الجمهور العظيم في الآستانة ، أفراد يتنسمون الأخبار ، ويستطلعون الحقائق من فدائي العثمانيين ، ولا يلبثون بعد أن يحصلوا على ما يريدون من تفاصيل الأنباء أن يغيبوا عن الأبصار ، لابسين ثوب الخفاء ، إلى بلدان الأناضول ، ناقلين ما رأوه من شعور ، ومن أسى ومصائب متعددة ، جاعلين من موادها عوامل محرّكة ، موقظين الهمم ، مُضرمين جذوة النار في النفوس الهادئة التي لا تلبث بعد أن يصل إليها هذا الكلام أن تنقلب إلى سعير متأجج .

فلا تكاد تمر بهؤلاء الروّاد إلا بضع ساعات حتى يصلوا إلى الأناضول ، وفي بضعة أيام يصلون إلى قونية ، ومنها ينتقلون إلى أنقرة فسيواس . ثم يأخذون في الرحيل إلى جهات سحيقة ليست محدودة في برنامج أسفارهم ، وما يلبث أهل هذه الأصقاع - بعد سماعهم ما يُنقل إليهم من فاجع الأنباء - أن يستحيلوا إلى نمور متوثبة ، وسباع غاضبة .

وبعد عدة أسابيع يكون هؤلاء الفدائيون جوابو الآفاق قد اخترقوا السهول

والوِهاد والجبال ، وانسابوا إلى بلاد الإسلام في قارتي آسيا وإفريقيا التي كانت تربطهم فيها الآلام والكوارث برابطة الاتحاد المقدس .

وكان بين جيوش هؤلاء الداعين إلى الاتحاد والناشرين أنباء الفظائع والأهوال أناس يتزيون بأزياء الفاقة والبؤس ، وهم من خير من أنجبت الأمة العثمانية ، بل العالم الإسلامى ، تفكيراً وعلماً وقوة إرادة وشدة مراس » .

ماذا يفعل الحلفاء .... والإنجليز بالذات ، أمام هذه الثورة الإسلامية الكبرى ؟

ألم يئن الأوان لأن تُصفَّى المسألة الشرقية برمتها ؟

ألم يحن الوقت بعد لأن تتكسر سيوف الإسلام أو على الأقل أن توضع فى غمدها ؟

لقد بدأت « المسألة الشرقية » - وفق المصطلح الأوروبى - منذ ظهرت صولة الترك فى أوروبا فأخذت الدول الأوروبية جميعها على عاتقها معاداة الدولة العثمانية والتنادى على إحراج المسلمين من القارة . لكن هذه الدول ظلّت عاجزة حيال هذا الهدف . وحبط عملها وخاب أملها . فقد رفعت الدولة المسلمة رايتها الهلالية الجليلة فى الأجواء الأوروبية ، وألجمت الخيول العثمانية - المظفرة ببسالة فرسانها - كل قوى عالَم العدو . وججَّمت دورها وحمت أمتها الإسلامية من طوفان التعصب النصرانى اللَّعين . وحسب كل الغزاة حساب الاقتراب من دار عثمان . وظل الغرب الصليبى ما يقرب من ثلاثة قرون فى موقف الدفاع .

وتداول المؤتمِرون - أو المتآمرون - فى مؤتمر الصلح فى باريس وعلى رأسهم الرئيس الأمريكى « ويلسون » ورئيس الوزارة البريطانى « لويد جورج » ورئيس وزراء فرنسا « كليمنصو » كيف يُوقفون هذه الكارثة . وكيف يُخمدون النار الإسلامية المشتعلة فى الأناضول .

وهداهم تفكيرهم الغبى - أول الأمر - أو ربما كتجربة استطلاع رأى - إلى

لعبة زادت الموقف اشتعالاً . ذلك أنهم قرّروا إرسال قوات غزو يونانية لتحتل أزمير !! وحدث احتلال اليونان لمنطقة أزمير بعد الهدنة بسبعة شهور (١٥ مايو ١٩١٩) . ويقال إن ذلك التدبير قد تم بمؤامرة بين العميل الماسونى الصهيونى لويد جورج الذى أصدرت حكومته وعد بلفور وبين فينزيلوس رئيس الوزراة اليونانية . وكان هذا المعتوه - فينزيلوس - بحقد القرون - يرى فى نفسه ممثلاً للتراثين البيزنطى والأرثوذكسى . ومن ثَمَّ فهو يحلم (أى واللّه) !! بإمبراطورية إغريقية تكون عاصمتها الآستانة - القسطنطينية سابقاً - ومعها غرب الأناضول والروملى !!

ويذكر المدعو « محمد عزة دروَزة » فى كتابه « تركيا الحديثة » [مكتبة الكشاف بيروت ١٩٤٦] أن احتلال اليونان لأزمير كان من أشد ما بعث فى نفوس الأتراك ألماً وحسرة . وتكوّنت عصابات من الأرمن والروم واليهود . فصبُّوا كؤوس أحقادهم على الأتراك وتفنّنوا فى الأذى والتصرفات المهينة . وارتكبت هذه العصابات ما يستفز الجماد من البغى والتجنى والشذوذ والعنف ، ومن سلب ونهب وتعذيب وانتهاك أعراض وإزهاق أرواح وتمثيل واعتقالات فى مناطق تراقيا والروملى وساحل البحر الأسود وولايات أزمير وبورصة ، بتوجيه وتنظيم هيئة مركزية متصلة بالبطريركية اليونانية وبجيوش الاحتلال اليونانى ، ومتضامنة مع البطريركية الأرمنية ، ومستندة إلى تعضيد رجال وضباط الاحتلال الإنجليزى ومدعومة من قِبَلِ الحكومة الأرمنية الشيوعية التى قامت فى تخوم بلاد الدولة الشرقية من القفقاس . (ص ١١ - ١٢) .

ورداً من الجماهير التركية المسلمة على هذا الاستفزاز تكوّنت فرق مسلمة فدائية كمنت فى الجبال المواجهة لأزمير وقد أقسمت أن تظل فى مواقعها تقاوم قوات الغزو اليونانية وتحاصرها حتى تقضى عليها . وسقطت الحكومة فى إستانبول .

إذن لا بد من الدوران حول الهدف . لا بد من احتواء الثورة الإسلامية المسلحة

التى لن تُصَفِى المسألة الشرقية بسبب أوارها المشتعل فى كل مكان فحسب ، بل قد تُجدِّد شباب الخلافة الإسلامية من جديد ... وربما ... وربما !! وحُسبت الحسابات . المطلوب إيجاد « عميل » فى صورة « بطل قومى » ذى « توجهات ماسونية » عالية الدرجة ، حاقد على الإسلام ودولته ، وبىء النشأة ، تُحركه نقائض العِرق والسلوك . وبحث الإنجليز فى دفاتر سفارتهم فى إستانبول ، وراجعوا أسماء تشكيلهم « الماسونى » فى « مناستر » . ووجدوا « الكارت » !!

وكان المرشح ضابط يدعى « مصطفى كمال » .

وتقول بطاقته بالبنط العريض تحت أنظار المختصين الإنجليز :

« إنه قد وُلِدَ لأب - إن كان صحيحاً نسبته إلى ذلك الأب - انحدر فى صباه من جبال ألبانيا قرب حدود الصرب المشهورة بعدائها الشديد لدولة الخلافة العثمانية . ولأم جاء والدها الفلاح البسيط من جنوب ألبانيا وأتت والدتها من مقدونيا [1] وأن الدماء اليهودية تجرى فى الأسرة الكمالية [2] ، وُلِدَ فى سالونيك مستودع اليهود الدونمة الذين درأوا عقائدهم باعتناق الإسلام . لم يكد يلتحق بمدرسة فاطمة مولى الملحقة بأحد المساجد - وهى من أشهر مدارس الدين - حتى أخرجه أبوه وسلّمه إلى مدرس متقدم فى السن كان يدير مدرسة ابتدائية . تعلّم وفق المناهج الغربية لأن أباه كان يقاوم شيوخ الدين ويؤيد الأفكار التى كانت تتسرب من الغرب ، وفى السابعة عشر من عمره التحق بالمدرسة العسكرية فى « موناستر » لأنه على حد قوله : « أُريد أن أُصبح ضابطاً أُزيِّن جسمى بالملابس العسكرية البديعة » . وفى موناستر « المحفل الماسونى » الموالى للإنجليز والذى فى حضانته تكوَّن تشكيل فرع للاتحاد والترقى الخاضع لسيطرة الإنجليز . وكان الناقمون فى البلقان وحول « موناستر » بصفة خاصة

---

(١) هـ . س . أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال - دار الهلال ١٩٥٢

(٢) أرنولد توينبى ، العظماء المعاصرون .

يؤججون الثورة والفتنة فى دولة الخلافة . وككل مقدونى أو ألبانى إنه يكره الدولة العثمانية . وكان أثناء دراسته فى موناستر يتردد على « سالونيك » رغم كرهه لبيت أمه التى تزوجت من تاجر روسى بعد وفاة أبيه . وكان يقضى وقته فى صحبة بعض الرهبان المقدونيين . إنه وإن كان قد انضم إلى تنظيم الاتحاد والترقى فى سالونيك والذى كان فرعاً من منظمة « النهيلست » الدولية التى تضم أشتاتاً من الناس يتحدثون عن اضطهاد روسيا لليهود ويتغنون بفضائل النمسا وإتاحتها لهم فرصاً لجمع المال ... ذلك التشكيل الذى كان يسيطر عليه الألمان وانبثقت عنه الحكومة المهزومة المنحلة - فإنه كان مكروهاً من هذا التنظيم وظل فى القاع ، وحرص زعماء التشكيل السالونيكى على تركه خارج نطاق الدائرة السرية التى تدير أعمال المنظمة . ومن ثَمَّ فإن ولاءه لمحفل سالونيك غير مضمون [1] . كان يسخر من جميع المبادىء والمُثل العليا الخُلقية ويُمزِّقها شر ممزق ، فقد كانت فى نظره ليست أكثر من غطاء يخفى رياء الناس وحماقة الحمقى . مجرد من المشاعر الرقيقة ، لا يخلص لإنسان أو لمثل أعلى أو لنظام مرسوم . ما فيه من الحيوان أكثر من الإنسان . ذئب كاسر مجرد من العاطفة أو الخُلق أو المبادىء السامية أو السلوك القويم ... أو أى شىء غير شهواته الحيوانية . منبوذ من النساء الناعمات اللاتى يتجاهلنه فازداد حقداً وانطواءً على نفسه . يقضى جل وقته مع النساء الماجنات اللّواتى لا يحتجن إلى فطنة أو لباقة . يشرب ويلهو كل ليلة حتى مطلع الفجر ، يُقامر ويلعب النِرد ساعات طويلة مع أى إنسان يجلس إليه ... مارس جميع الرذائل وجرَّب كل الموبقات وانغمس فيها حتى أذنيه ، ثم دفع الثمن مرضاً جنسياً وصحة منهارة . كافر بجميع شئون دنياه الأخرى . لم يكد يبلغ الرابعة عشرة حتى تفتَّحت ميوله الجنسية الطائشة . انغمس فى الملاهى والحانات والمقاهى والأندية اللّيلية ، يشرب ويُقامر كل ليلة . لا يعنيه أن يتأنق فى اختيار النساء فحسبه نظرة أو ضحكة

---

(١) أى أن ولاءه لمحفل مناستر هو الأكيد .

من امرأة ليلتهب دمه وينطلق وَراءها فلا يرجع إلا وقد نال منها ما أراد ، وكلهن عنده نساء ، لا فرق بين هذه وتلك . عندما كان ملحقاً حربياً في صوفيا تعلَّم الرقص الكلاسيكي على مدرس خاص ومارسه حيثما وجد إلى ممارسته سبيلاً . وغشى الصالونات والحفلات وحاول أن يكون نجماً من نجوم المجتمع ، فغازل نساء صوفيا . وكان همُّه الأول كلَّما تعرَّف إلى امرأة أن يستطلع مدى استجابتها لرغبته الجنسية ، فإن لم يجد لديها استعداداً لذلك كفَّ عن الالتفات إليها وسعى إلى نيل غايته من أُخرى .

أناني طاغي ، مصمِّم على اغتصاب السُلطة بأي ثمن . لا يثق بأحد ومن المتعذر أن يُصادق أحداً . غادر . الوعود دائماً في نظره وسيلة إلى غاية وسلم إلى هدف . فشل في القتال في جميع الجبهات . يحقد على العرب بسبب فشله في القتال في جبهة سوريا . ولا يستطيع أن يُفرِّق بين عصابات العملاء من عرب لورانس وحسين بن علي - الملَّقب بالشريف - وبين الجماهير العربية المسلمة التي توالي دولة الخلافة . تسلَّم قيادة جميع قوات تركيا الجنوبية في حانة بمدينة أضنة من القائد الألماني « فون ساندرز » وتركها وسافر إلى الآستانة موعوداً بدور لكن لم يُسند إليه أى منصب . إنه الآن في العاصمة وفي ضاحية شيشلي ، ولوع بالأحاديث الخليعة والإفراط في الشراب والمغامرات الماجنة والليَّالي الحمراء في رفقة النساء .... إنه بلا عمل » [1] .

وهذا هو المطلوب .... إذن آن الأوان !!

عُيِّن مصطفى كمال مفتشاً عاماً للجيش التاسع !! في نهاية إبريل ١٩١٩ في ذات الوقت الذي قبض فيه الإنجليز على كبار قادة الجيش ورجال منظمات المقاومة المسلحة في العاصمة وزجُّوا بهم في سجن بكير أغا واعتقلوا عدداً آخر اعتبروهم خطرين ونقلوهم إلى مالطة .

ورتَّب مصطفى كمال مع « الداماد فريد » رئيس الوزراء الجديد أمر ذهابه

---

(١) مستخلص بلفظه من : الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، أرمسترونج .

إلى الأناضول ، بصفته مفتشاً عاماً للجيش التاسع . ويذكر « دروَزة » أن رئيس الوزراء فريد كان عضواً في جمعية « محبي الإنكليز » التي كان رئيسها الراهب الإنجليزي « فرو » [1] وقد أفهم - - فريد - الإنجليز أن السبب في الاضطرابات الناشئة داخل البلاد لا ترجع إلى أية عاطفة شعبية !! بقدر ما ترجع إلى تصرفات جمعيات الاتحاد والترقي الملعونة .. ولئن كان مصطفى كمال عضواً فيها إلا أنه في الواقع من ألد خصومها .. ثم هو إلى ذلك « چنتلمان » يمكن الثقة به ، ومن ثَمَّ فهو خير من يصلح لأن يضطلع بالمهمة الكبيرة ، وأفلح رئيس الوزراء في إقناع الإنجليز بوجهة نظره فأصبحت وظيفته مفتشاً عاماً للمنطقة الشمالية وحاكماً للولايات الشرقية .

ويذكر « دروَزة » أن من صلاحيات هذه الوظيفة « أن يكون تحت أمره فيلقان يتبعهما أربع فرق ، وأن يصدر أوامر وتعليمات للفرق الأُخرى المجاورة لمنطقته ولو لم تدخل في دائرة تفتيشه ، ولولاة الولايات الموجودة في هذه الدائرة والولايات المجاورة لها ، حيث كاد يكون له صلاحية الاتصال الرسمي بجميع قوات وولاة الأناضول » [2] .

ولم يكن الإنجليز في حاجة إلى وجهة نظر فريد .. إن كتاب مصطفى كمال كان عندهم منشوراً .

وكان السلطان قد وافق أول الأمر على إيفاده للأناضول لتهدئة الخواطر حتى لا يجدها الإنجليز فرصة فيحتلون باقي البلاد . وكان حجم الهزيمة وجميع قوات العدو - بريطانيا ، فرنسا ، إيطاليا ، اليونان .. إلخ - الذين يحتلون العاصمة وأزمير قد شلّت تفكير السلطان الذي يحول بينه وبين الأناضول عساكر الغزو وأساطيله فلا يدري شيئاً عن روعة استعداد كتائب الجهاد وجماهير الشعب كله التي حملت السلاح والتهبت كل مشاعرها للقتال وعسكرت في كل هضاب ووديان ومدن آسيا الصغرى .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة - مطبعة الكشاف ١٩٤٦ ، ص ١٤

(٢) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٥

ثم عاد السلطان وارتاب في أمر تعيين مصطفى كمال لهذه المهمة وأصدر قراراً بإيقاف سفره !!

لكن مصطفى كمال نفذ من بين جيوش الاحتلال الإنجليزية .. لقد سرَّبه الإنجليز .. والعذر غاية في السخرية والاستخفاف بالعقول : السبب كما يقول المتيمون به حد العشق - في نشراتهم الهزيلة - « فاضطرب الأمر بين اختصاص سلطان الجيش والأسطول بتنفيذ الأوامر ، وظلت معلقة حائرة بين جهات الاختصاص المتضاربة بضع ساعات ، تمكن خلالها مصطفى كمال من الوصول إلى غايته » [1] . (هكذا !!) .

ووصل إلى سامسون في ١٩ مايو ١٩١٩ يحمل صفة رسمية وصلاحيات وظيفية واسعة ويحوِّلها « خطوة .. خطوة » - على الطريقة إياها - إلى غرض في نفس يعقوب !!

ولم يكن أولاد يعقوب « إسرائيل » والمستلحقون من « الاشكيناز » تحت قيادة « المحفل الكوني الماسوني » و« محفل مناستر السري » ، و« منظمة الصهيونية العالمية » ، في حراسة وتأمين ثأر القوى « الصليبية العالمية » .. ثأر ستة قرون - ليريدوا إلا سلخ الأتراك - تركيا الرسمية على الأقل - من دينهم وتراثهم ودورهم ، وخلعهم من أُمتهم الإسلامية ، وإعلان الطلاق !!

ويوم جاء الدعيّ الدجال إلى الأناضول الثائرة زعم أنه مبعوث السلطان الخليفة الذي أرسله لينقذهم من الإنجليز . ولم تكن الجماهير المسلمة وهى تغلي بالثأر ، تُدرك أبعاد ما حدث في إستانبول ..... بينها وبين العاصمة - التي تقع في الجانب الأوروبي من الدولة - قوات الحلفاء التي تحتل فخر المدائن ، وقوات اليونان تحتل أزمير ، ومضايق وبحار تملؤها أساطيل المحتلين .

قال « مسيلمة » المسخ الزنيم ، لكي يربط كتائب الجهاد به :

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، ص ١١١

« لقد قرر العدو أن يُدمِّر تركيا وطننا ، ويُمزقها شر ممزق ، ويُقيم ولاية يونانية حول سامسون ، وقد امتلأت جميع قرى الإقليم بوكلاء بطريرك اليونان .. وبات السلطان خليفتكم مسلوب الحول والقوة أسيراً في أيدي الإنجليز .. لذلك أرسلني إليكم كي أنقذكم ، لكنكم يجب أن تنقذوا أنفسكم بأنفسكم » [١] !!

وفي وسط أوار الثورة المشتعلة في الأناضول ، ولأنه - كما زعم - مبعوث الخليفة السلطان قال للجماهير المحتشدة :

« عليكم أن تقرروا أمركم . عليكم أن تختاروا لكم زعيماً . وهناك شرط واحد جوهري للنجاح : أن يكون لكم رجل واحد في المقدمة ، رجل واحد يقود هذه الحركة ، ورجل واحد فقط .. فإذا اخترتموني فسوف يتعين عليكم أن تشاطروني مصيري » [٢] .

ولأنهم يريدون النجاح ، وتنظيم حركتهم ، وهو قد جاءهم ممثلاً للسلطان الخليفة للإنقاذ ، وفي صورة رسمية وبخطاب مختوم من وزير الحربية ، مفتشاً عاماً للجيش وحاكماً للولايات الشرقية ، فقد وافقوا على اختياره زعيماً وقائداً . واشترطوا عليه - زيادة في التأكيد - ألا يفعل شيئاً من شأنه أن يسبب أذى للسلطان الخليفة في شخصه . فقبل الشرط !!

وعن تحايله مستغلاً اسم الخلافة لركوب الموجة يعترف هو ذاته ، بعد الطلاق الرسمي وإعلان « لا دينية الدولة » وذلك في خطابه أمام مؤتمر « حزب الشعب » والذي عُرف « بالنطق » وقد ألقاه في أيام ١٥ - ٢١ نوفمبر ١٩٢٧ ، يقول وهو يصف ما شاهده في الأناضول عن ارتباط الناس بالخلافة :

« الارتباط التام بمقام السلطان الخليفة انسياقاً وراء التقاليد الدينية والوطنية التي مرَّت عليها الأجيال ، ووجوب حفظ هذا المقام وصيانته ، وكون هذا الأمر لا بد منه في خلاص الأمة والوطن ، ولم يكن أحد قادراً على فهم معنى الخلاص

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، ص ١١٥

(٢) المرجع السابق ص ١١٧

وإمكانه من غير خليفة . وكان من يشذ عن هذا المفهوم يُتهم باللادينية واللاوطنية والخيانة » [1] .

وجاءت الأوامر من حكومة الآستانة المركزية إلى « كاظم قرة بكير » بإلقاء القبض على مصطفى كمال ، واستخدم مصطفى كمال حماسه في محاولة إقناع كاظم قائلاً : « إن الأوامر الصادرة من العاصمة ليست في الواقع صادرة من السلطان ، بل من الإنجليز وإذن فهى غير شرعية . والسلطة الشرعية الوحيدة هى الممثلة في مؤتمر المندوبين الذى سيُعقد في سيواس » . وبهذا النقاش استدرج مصطفى كمال « كاظم قرة بكير » إلى متاهة من الأبحاث الفلسفية السياسية ثم ناشده كزميل . وكان كاظم بفطرته بطيئاً في الوصول إلى قرار . وعقد مؤتمر سيواس في ٤ سبتمبر ١٩١٩ وصدر عن المؤتمر ميثاق يحدد الحد الأدنى الذي يقبل به الأتراك الصلح مع الحلفاء ومما جاء فيه : يجب أن يُترك تقرير مصير البلاد ذات الأكثرية العربية بحرية لأهلها ، أما البلاد التي تسكنها أكثرية عثمانية متحدة في الدين والجنس والأصل فهي كُلٌ لا يتجزأ .

وسقطت وزارة فريد في ٢ نوفمبر ١٩٢٠ وجرت انتخابات عامة في البلاد لانتخاب برلمان جديد . وفاز المجاهدون الثوار بأغلبية كبيرة ، وانتُخب مصطفى كمال نائباً عن أرضروم . وكان من رأيه أن يكون مقر البرلمان في أنقرة . لكن النواب رأوا الانتقال إلى العاصمة الآستانة ، بعد انتخابهم نواباً شرعيين عن البلاد ، ليكونوا هناك في ظل الحاكم الشرعي للبلاد . ووصلوا فعلاً إلى العاصمة ، واجتمع الشمل في جو من الغبطة ، وأرسلوا برقية إلى السلطان يُعربون فيها عن ولائهم له . وكان ذلك في مستهل يناير ١٩٢٠ .

وفشل مصطفى كمال في بلوغ غايته ، وانتقل مركز النشاط من أنقرة إلى الآستانة . وانتقلت الزعامة من مصطفى كمال إلى رؤوف . وسادت رغبة حارة في تجنب الشجار بين تركي وتركي . والظهور بمظهر الشعب المتحد في جبهة واحدة تحت زعامة الحاكم الشرعي ... خليفة المسلمين .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٤

وفي طول البلاد وعرضها بات الأتراك يرفضون تنفيذ أوامر جيش الاحتلال . واستُدعيت القوات إلى الخدمة من جديد ودُرِّبت تدريباً أفضل .. وخولفت شروط الهدنة أكثر من مرة . وأغارت جماعة من الأتراك على مستودع للذخيرة في غاليبولي وحملوا معهم عند انصرافهم حارسه الفرنسي وما كان يحتويه المخزن من سلاح .. ومع ذلك لم يتيسر القبض على هؤلاء ومعاقبتهم !

وبات أن الأمر سيفلت من يد مصطفى كمال المرسَل إلى الأناضول لاحتواء الثورة التي لم يستطع الآن السيطرة عليها ... ويفلت من الإنجليز في المقام الأول .

وتحرك الإنجليز لتدعيم « بطلهم » و« تلميع » دوره . وعلى طريقة « لعبة الأمم » وصناعة الدُّمي الأبطال - والتماثيل الإنجليزية ليست كالأمريكية سريعة العطب !! - اتخذ مهندسو اللُّعبة عدة إجراءات لإبراز الزعيم :

١ - أعلنوا احتلال العاصمة - الآستانة - رسمياً في ١٦ مارس ١٩٢٠ رغم الهدنة .

٢ - ألقوا القبض على معظم النواب وخاصة البارزين منهم ، ومنهم منافسو مصطفى كمال ، وعلى كثير من كبار القادة وتولُّوا ترحيلهم إلى معسكر اعتقال في مالطة .

٣ - سرَّبوا من الآستانة أخلص رجال مصطفى كمال ومنهم « عصمت » - ساعده الأيمن وخليفته فيما بعد - و « فوزي شاقماق » من الحربية - والكاتبة الماسونية « خالدة أديب » وزوجها الماسوني الصحفي « عدنان » ، لينضموا إليه في أنقرة في قلب الأناضول .

٤ - أغلقوا دار البرلمان الشرعي المؤيد للخلافة ومقامها ، وجله من قادة الثورة واحتلوا بناية المجلس في ١١ إبريل ١٩٢٠ .

٥ - زوَّدوا اليونان بالسلاح للتوسع في منطقة احتلال أزمير غربي الأناضول ،

فراحوا يحرقون ويقتلون ويكتسحون المنطقة بلداً بلداً . والفرنسيون أيضاً قاموا بعدة عمليات حربية (١) .

ولم يبق من الزعماء البارزين أو القادة الوطنيين أحد خارج السجن أو النفي . وشاعت في أقاليم تركيا أنباء احتلال الإنجليز للعاصمة وحركة الاعتقالات التي أقدموا عليها . وجاء مصطفى كمال ليقول لكتائب الجهاد المسلحة شرقي ووسط الأناضول ، والتي كانت في حالة غليان ، واستعداد وقسم على نيل إحدى الحسنيين ، وعلى حد تعبيرهم « إما غاز وإما شهيد » .. جاءهم ليقول لهم : لا بد من القتال ، وهذا شيء هم له حاضرون ، وينبههم إلى النيات السيئة للحلفاء وبالذات الإنجليز (هكذا !!) ، ولا بد من التنظيم ، ولا بد من انتخاب برلمان بديل وحكومة غير حكومة إستانبول التي احتلها الإنجليز . وتطلّع الناس إليه . وهو قد أخفى مهام دوره المُهْلِك إلى حين .. ووافقوه على ما أراد .

أصدر دعوة لانتخاب مندوبين من مراكز الأناضول ليُشكّل مجلس أمة يضطلع بالعمل بصورة رسمية يكون مقره أنقرة . وعُقِد المجلس بالفعل تحت اسم « المجلس الوطني الكبير » أو « الجمعية الوطنية الكبرى » عقب صلاة الجمعة في ٢٣ إبريل ١٩٢٠ .

« ودشن افتتاحه بمراسم طنانة ، وصدرت الأوامر بإقامة الاحتفالات الدينية والرسمية في جميع أنحاء البلاد لهذه المناسبة ، ولم يُغفل الأمر بالدعاء للسلطان الخليفة والدين والدولة أيضاً وبقراءة قصة المولد الشريف » (٢) .

---

(١) راجع :

George Haddad, Revolutions and the Military Rule in the Middle East, New York, 1965, p. 101 - 103.

وكذا أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، دار الهلال - ص ٢٦ - ١٢٧

(٢) محمد عزة دوزة ، تركيا الحديثة ، ص ٣٠

بل إن قرار دعوة « الجمعية الوطنية الكبرى » أو « المجلس الوطني الكبير » الذي وقّعه مصطفى كمال كان ذا صبغة إسلامية غلاّبة في بنوده الأربعة التي حفلت بالشعائر الدينية . يقول القرار بالحرف الواحد [١] :

١ - في الثالث والعشرين من شهر آيار الجاري وبعد صلاة الجمعة تعقد « الجمعية الوطنية الكبرى » بعون اللّه أول اجتماع لها في أنقرة .

٢ - بما أن افتتاح « الجمعية الوطنية الكبرى » يصادف يوم الجمعة فعلى جميع النواب والشخصيات الوطنية أن تحضر إلى المسجد الكبير في أنقرة حيث ستُتلى آيات القرآن الكريم وتُقام الصلاة في هذا اليوم المقدس ، وبعد الصلاة يقوم النواب إلى مبنى الجمعية الوطنية الكبرى حيث يُرفع العَلَم فوق ساريته وتُذبح الخراف وفقاً لتقاليد الأضحى الإسلامية .

٣ - تأكيداً لعظمة هذا اليوم المقدس (الذي ألغى العطلة فيه بعد ما انتصر) يتوجب على جميع حكام الأقضية والألوية أن يدعوا الناس للصلاة في المساجد حيث تُتلى السيرة النبوية وتُتلى آيات الذكر الحكيم .

٤- على جميع أئمة المساجد أن يضمنوا خطبة الجمعة دعوة المواطنين إلى حمل السلاح من أجل تحرير الوطن من الأعداء الغاصبين وقواتهم المحتلة والتقيد بأوامر « الجمعية الوطنية الكبرى » عندما تدعوهم لتلبية نداء الواجب . وبعد انتهاء الصلاة تُتلى سيرة المولد النبوى .

أنقرة فى ١ نيسان . ١٩٢ مصطفى كمال

وتمكن من حمل المجلس على إقرار قانون بتشكيل حكومة يختار المجلس أعضاءها من بين أعضائه ، وعلى أن تحمل اسمه ، بحيث يظل المجلس صاحب

---

(١) محمد جلال كشك ، حوار في أنقرة ، ص ٥٤ - ٥٥

السلطة المطلقة ، وهكذا قامت في ٢٧ إبريل ١٩٢٠ حكومة المجلس الوطني الكبير وباشرت أعمالها . وصار هو رئيس المجلس ورئيس الحكومة [١] .

وفي باريس حول مائدة الصلح جلس ساسة الحلفاء - ويلسون ولويد جورج وكليمنصو - يحيط بهم مساعدوهم يرسمون مستقبل الدنيا واستداروا في قلق : « إن شيئاً غير عادي يحدث في تركيا .. لقد هُزمت تركيا لكنها لم تستسلم بعد .... إن الأتراك يوشكون أن يطردوا الجيوش المتحالفة من بلادهم ، وإذن يجب تدارك الكارثة التي قد تُفسد كل شيء وتُثير الثورات في جهات أُخرى وتؤثر في خطط الحلفاء لتنظيم العالم » [٢] .

وتحرك مهندسو اللّعبة على محورين في وقت واحد :

بناء على تخطيط ناصحيهم (الإنجليز بالطبع) أعد الساسة الكبار معاهدة صلح خاصة بتركيا أطلقوا عليها معاهدة « سيڤر » ، ثم نشروا نصوصها في ١٠ أغسطس ١٩٢٠ على أنها ستوقع مع حكومة الآستانة . وكان لنشر نصوص هذه المعاهدة رد فعل قوي - كما توقع الساسة الكبار في باريس - بين الأتراك [٣] فقد كانت تلك النصوص التي اشترك في إذاعتها أكثر من خمسمائة صحفي بمثابة حكم بالإعدام على الأتراك [٤] ومن بين موادها التسعة عشر الرئيسية : سلخ ولاية أدرنة في الروملي عن الدولة . جعل منطقة أزمير تابعة بالاسم للدولة وإبقاء حامية يونانية وبوليس يوناني فيها ، وخول أهلها حق طلب الإنضمام إلى اليونان بعد خمس سنين . قيام حكومة أرمينية مستقلة في الولايات الشرقية . قيام حكومة كردية شرق الأناضول . منح مزايا كبيرة لرعايا الدول الأجنبية والأقليات الدينية في إقامة المدارس والمعابد والتوظف في الدولة . منع الدولة من إقامة أي استحكامات . لجنة إنجليزية فرنسية إيطالية للإشراف على مالية الدولة

---

(١) دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ٣١

(٢) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٣٨

(٣) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٣٥

(٤) المرجع السابق .

ومندوب الدولة في هذه اللجنة رأيه استشاري فقط . إلغاء التجنيد الإجباري . بطلان إلغاء الامتيازات الأجنبية ... إلخ [١] .

وأعطته هذه المعاهدة سلاحاً قوياً للحملة على حكومة الآستانة المحتلة من جميع جيوش الحلفاء .

وعلى الجانب الآخر حشد فنزيلوس الحالم بالإمبراطورية الإغريقية جيشاً جرّاراً وابتاع من الإنجليز والفرنسيين مستودعاتهم الحربية ، وزوّد جنوده بالسلاح والذخيرة والسيارات المصفحة وخير وسائل المواصلات والإسعافات الطبية ، ووضع هذا الجيش تحت تصرف الحلفاء كي يستخدموه وفق هواهم في قسر الأتراك على قبول معاهدة الصلح المعروضة . وقبل أقطاب العالم الثلاثة مرحبين . ورجوه أن يعجل بإطلاق جيشه من عقاله كي ينقذهم من خصومهم الأتراك [٢] . وانطلق الجيش اليوناني كالعادة : حرق وقتل وتمثيل بالجثث في القرى الآمنة التي اجتاحوها !! وتصدّت الكتائب المجاهدة للقتال ، ومن شتى الجهات أقبل الرجال والنساء من جميع الطبقات ليسجلوا أسماءهم في سجلات المتطوعين . وآمن كل تركي بوجوب المقاومة لأن الأتراك الذين عاشوا خمسمائة عام شعباً يسود الدنيا لن يصبحوا بين غمضة عين وانتباهاتها عبيداً . ولمن ؟ لليونان التي كانت بالأمس القريب إحدى ولايات الدولة العثمانية !

وجاء وفد من الآستانة موفداً من السلطان الخليفة يعرض على مصطفى كمال توحيد الجهود بين العاصمة وأنقرة لمقاتلة اليونانيين ، العدو المشترك . وكانت « الجمعية الوطنية » تميل إلى الوحدة ، لكن « الصنم » الذي كان يرمى ويعد لأن يكون ديكتاتوراً له دور قادم رفض . وازداد تقدم اليونانيين . وطالب بالتنظيم . وأن تكوّن كل الكتائب والفرق والعصابات المسلحة جيشاً نظامياً تحت رئاسته وحده ! وأمام اليونان - عبيد الأمس - كان هَمُّ الأتراك القتال ، والقتال

---

(١) دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ٣٨ - ٣٩

(٢) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٣٩

وحده . وأجابوه الى ما أراد . ثم إنه حتى الآن لم يعلن شيئاً عن نواياه نحو الخلافة ولم ينكشف دوره ولم تتبين الخيوط التى كانت تمسك بالدُّمية من وراء الحدود .

وطالت الحرب التركية اليونانية بتدبير دولى على رأسه الإنجليز لتكون « مسمار جحا » الذى دقّه كبار اللاعبين ليصعد بها نجم الزعيم ولتصبح المكوك الذى تُنسج من حوله خيوط بطولته ... ولتكون الغطاء الذى يعطيه الوقت المتسع لترتيب البيت من الداخل وفق تخطيط الخارج .

ففى إحدى المعارك التى انتصر فيها الأتراك بقيادة صفيه « عصمت » عند « إين أونو » فى ٣١ مارس ١٩٢٢ أعلنت كل من إنجلترا وفرنسا فجأة رغبتها فى إنهاء الحرب التركية !! ورفضت اليونان !! فأرسلت فرنسا مندوبين سريين إلى أنقره عقدوا مع « الزعيم » معاهدة سرية مكنته فرنسا بموجبها من الحصول على ثمانين ألف رجل من الجبهة السورية ومعدات حربية تكفى أربعين ألف مقاتل !! كذلك باعت له أمريكا وإيطاليا أسلحة من نقود كانت تأتيه من موسكو !! أما إنجلترا فأعلنت الوقوف على الحياد (هكذا) !

وروِّجت « الماسونية العالمية » لهذه المعركة وأصبح اسم « عصمت » : « عصمت إينونو » نسبة إلى موقع المعركة . وتوالت برقيات التهنئة على الزعيم من روسيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا تهنىء بالنصر !!

والتقط مصورو الصحف الأوروبية صور « البطل !! » مصطفى كمال وقائد المعركة عصمت ، أثناء القتال ووُزِّعت على كل صحف العالم .

وفى ١٠ يولية ١٩٢٠ عاود اليونانيون الهجوم للمرة الثالثة وانسحب الأتراك ، وقام اليونانيون فى ٢٣ أغسطس ١٩٢١ بزحف قوى قابله الأتراك بهجوم كاسح فى « سقاريا » فى ١٣ سبتمبر ١٩٢١ وانهزم اليونانيون ، ولم يصل الأمر إلى الجلاء حيث لم يتم إلا بعد سنة وبعض سنة من هذا التاريخ .

ومنحه الأتراك الطيبون بعد معركة « سقاريا » لقب « الغازى » أى « المجاهد فى سبيل الله » ... اللّقب الذى كان يُمنح للمجاهدين من الخلفاء العظام !!

وبعد نصر « سقاريا » طلب تجديد فترة قيادته العليا لمدة ثلاثة شهور مع منحه سلطات كاملة لأن الخطر لا زال قائماً !! فوافقت الجمعية الوطنية . وبعد هذه المدة استقال بعض الوزراء وتكوّن فى المجلس حزب معارض حول أمور متصلة بشخص الزعيم ونواياه ومطامحه وطغيانه ومصير السلطنة والخلافة ، فشنق خمسة وعشرين ضابطاً من كبار القادة .

وبعد معركة « سقاريا » أيضاً عقدت معه روسيا والجمهوريات التابعة لها معاهدة عُرِفت بمعاهدة « القارص » فى ١٣ أكتوبر ١٩٢١ . وعقدت معه فرنسا اتفاق أنقرة فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢١ الذى نص على إنهاء الحرب بين فرنسا وتركيا وجلاء الفرنسيين عن كليكية !!

ودارت معارك كراً وفراً بين الأتراك واليونانيين لمدة عام آخر حتى تحرَّرت الأناضول تماماً من الاحتلال اليونانى فى سبتمبر ١٩٢٢

لكن الجيش اليونانى تزوَّد بإمدادات !! وعاد ليتجمع فى « تريس » وراء الآستانة . وتحركت فرقة من ألفين من المشاة الأتراك إليهم .

وفى كتابه « الذئب الأغبر - مصطفى كمال » الذى نشرته « دار الهلال » فى يوليه ١٩٥٢ - وكأنه مقدمة بين يدى ثوار مصر - يتحدث مؤلفه الكاتب هـ . س . أرمسترونج ، الذى وصفته الدار الناشرة بأنه « أقام فى تركيا عدة أعوام شهد فيها الانقلاب الكمالى . ووقف على أسرار ووثائق لم يقف عليها غيره من المؤرخين وكتّاب التراجم » - يتحدث عن الدور الإنجليزى ، فى رسم بالكلمات ، فيقول :

« وكان ذلك يتطلب أن يخترق الأتراك خطوط جيش الاحتلال الإنجليزى

بحيث لو أزمع الإنجليز مقاتلتهم حقاً لمنعوهم من اللّحاق باليونانيين ولهزموهم شر هزيمة !! على الأقل بفضل خبرة ضباطهم وأسطولهم العظيم وطائراتهم ... ولكن هل الإنجليز يعتزمون الاشتباك معهم حقاً ؟ فأرسل « مصطفى كمال » مشاته نحو المدافع الإنجليزية مزوّدين بأمر التقدم وبنادقهم معكوسة مع الحرص على إظهار الود والاحترام للبسلطات الإنجليزية . ثم مواصلة اختراق خطوطهم .. وكان الخطر عظيماً فإن طلقة واحدة خاطئة أو أمر أسيء فهمه كفيل ببدء المعركة ، لكن الطلقة الخاطئة لم تنطلق ، فقد تحيّرت القوات الإنجليزية ماذا تفعل !! (مسكينة !) وكانت الأوامر التى لديها مائعة تقضى بمنع مرور الأتراك ، وفى الوقت نفسه بعدم إطلاق النار أو استخدام العنف (يالطيف !) ، وهؤلاء هم الأتراك يتقدمون دون أن يتوقفوا أو يقاتلوا ! وأضحى الموقف حرجاً (بالذمة ! ؟) ، واقترب الأتراك من الأسلاك الشائكة وبدأوا يخترقونها !!.. وفى هذه اللّحظة جاءتهم فجأة !! أوامر من قيادتهم بالتوقف .. لقد بدأت المفاوضات لعقد الهدنة » !! (ص ١٧٥) .

(ملحوظة : جميع علامات التعجب ليست من عندنا .. من الخواجه أرمسترونج نفسه) !

وأرسل مصطفى كمال صفيه وشريكه الوحيد فى السر « عصمت » ليقابل قائد جيوش الاحتلال البريطانى فى قرية « مودانيا » للاتفاق على التفصيلات !! وعُقِد مؤتمر فى هذه القرية فى ١١ أكتوبر ١٩٢٢ حضره قوّاد الحلفاء الثلاثة وقد وافق الحلفاء على طرد اليونانيين من « تريس » وجلائهم من « تراكية » ، وجلاء الحلفاء نهائياً عن الآستانة وتركيا بأسرها ، ولم يتم جلاء الحلفاء عن العاصمة إلا فى ٦ أكتوبر ١٩٢٣ [١] (ريثما تتم الخطوات الانقلابية المتفق عليها مع البطل !!) .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ . وكذا : أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، ص ١٧٥

لا أعتقد أن الصورة قد باتت أمام القارىء الكريم مثقلة بالأحاجى أو مطلسمة بالألغاز ... بل ولا حتى « فزورة » تُحيِّر مَن يُقدم على حلها ولو لبضع لحظات !!

إذن آن الأوان لتسليم مفاتيح القلعة !!

لقد تثبت وضع « الزعيم » .. فلتبدأ الضربات نحو الهدف ، وخطوة خطوة !!

ففى ٢٨ أكتوبر ١٩٢٢ دعا الحلفاء حكومة أنقرة المؤقتة (هكذا كان اسم الحكومة التى أنشأها مصطفى كمال فى الأناضول) إلى مؤتمر يُعقد فى « لوزان » ووجهوا الدعوة أيضاً إلى حكومة توفيق الرسمية فى الآستانة (منتهى العدالة !!) الآستانة الأسيرة : مدينة وخليفة وحكومة ودار برلمان وكل وسائل المواصلات من قِبَل الحلفاء ، الكبار والصغار . حتى إن الفتوى المضادة التى صدرت من أنقرة عام ١٩٢٠ رداً على فتوى منسوبة إلى السلطان الخليفة كانت تقول بالنص : « نستنفر ونهيب بجميع المسلمين أن يُخَلِّصوا الخليفة من الأسر » !! (١) .

وقد كان توجيه الدعوة بهذه الكيفية منطوياً على خبث شديد ، كان يعنى « تفريق السلطنة عن الخلافة » .. « الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية » ، حسب المفاهيم الأوروبية « الكهنوتية والعلمانية » .

والتقط الخيط وقرر أن يضرب الضربة الأولى ، وأن يدعو الجمعية الوطنية لاجتماع « قد يستطيع فيه إقناع النواب بخلع السلطان وحيد الدين وبإلغاء السلطنة ، لكنه لا يجرؤ على مهاجمة الخلافة فذلك من شأنه أن يمس الشعور الدينى للشعب كله » . فلتُترك للخطوة الثانية .

وفى الليلة السابقة على عقد الاجتماع دعا إليه كبار القادة ومنهم رؤوف

---

(١) George Haddad : Revolations and the Military Rule in the Middle East, New York , 1965 , p . 103 .

رئيس وزرائه ليجس النبض دون تصريح بشيء . وقال له رؤوف : « يذكر البعض أنك تنوى إلغاء السلطنة والخلافة » فأجاب : « أحب أن أعرف آراءكم أولاً » ، فرد رؤوف : « نحن لا نتكلم عن وحيد الدين بالذات ، إنه يجب أن يُخلع وأن يخلفه آخر . ولكن لا شك أننى وكل تركى ندين بالولاء لمقام السلطنة والخلافة . ولا جدال فى أن الدولة تحتاج إلى فرد تعلو رأسه جميع الرؤوس ولا يستطيع أن يطمع أحد فى منصبه » ووافق المجتمعون على رأى رؤوف . وخلص مصطفى كمال من الحوار بأنه سيُدلى بتصريح عن هذا الموضوع فى جلسة الجمعية الوطنية فى الغد .

وفى اجتماع الجمعية الوطنية وفى وسط الضجيج الذى ساد المجلس بشأن دعوة الحلفاء لحكومة توفيق باشا فى الآستانة . وقف على المنصة واقترح أن يُفصل بين السلطنة والخلافة . فتُلغى السلطنة ويُخلع وحيد الدين . وعندئذ تنبَّه النواب إلى خطر القرار الذى يُراد منهم أن يُصدروه ، وأُحيل الموضوع إلى لجنة الشئون القانونية كى تبحثه . إذ أنها ستكون السابقة الأولى فى تاريخ الحكم الإسلامى التى يُفصل فيها بين الخلافة وسلطة الحكم . إنها تعنى أن تكون الخلافة منصب روحى أو مؤسسة كنسية تتعلق بملكوت السماء ، وأن تكون السلطة الزمنية لمؤسسة سياسية تتولى شئون الأرض ، وهذا أمر غريب على طبيعة الإسلام . واجتمعت اللّجنة فى اليوم التالى ورفضت الاقتراح بالإجماع .

ووقف مصطفى كمال يُحيط به أنصاره وحرسه المسلحون وبعضهم قدير على ارتكاب أى حماقة . إنهم قد يُطلقون النار إذا طُلِب إليهم ذلك ، وصاح « البطل » وفى صوته رنة التهديد بينما وضع أنصاره أيديهم على مسدساتهم :

« أنا واثق من أن المجلس سيقبل الاقتراح بإجماع الآراء .... إن السلطنة يجب أن تُفصل عن الخلافة وتُلغى ، وسواء وافقتم أم لم توافقوا فسوف يحدث هذا ... كل ما فى الأمر أن بعض رؤوسكم سوف تسقط فى غضون ذلك »[1].

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، ص ١٨٣ - ١٨٤

وبدأت إجراءات أخذ الرأى بالتصويت العلنى ، فتبين له أن الاتجاه الغالب يميل الى رفضه . فاقترح تحت التهديد المسلح أن تؤخذ الأصوات برفع الأيدى . ولم ترتفع غير أيد قليلة . لكن رئيس الجلسة الذى لم تفارق عينيه مصطفى كمال أعلن النتيجة بقوله : « أقر المجلس الاقتراح بإجماع الآراء » . فقفز نفر من النواب فوق مقاعدهم محتجين صائحين : هذا غير صحيح ... نحن لم نوافق ، فصاح بهم آخرون : اجلس .... اسكت .... خنازير !! وساد الهرج والمرج وغادر مصطفى كمال قاعة المجلس يُحيط به أنصاره . وهكذا فى هذا الجو « الديمقراطى » فُصلت السلطنة عن الخلافة !! [١] .

وعُيِّن عبد المجيد - ابن أخ السلطان السابق - خليفة للمسلمين ... خليفة فقط مجرداً من كل سلطان أو نفوذ .

وسافرت هيئة المفاوضة التركية إلى « مؤتمر لوزان » فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٢. بعد أن أحدث مصطفى كمال حدثاً هو الأول من نوعه منذ التاريخ الإسلامى بعامة . وكان الوفد برئاسة « عصمت » الذى اختير لوزارة الخارجية وسافر بهذه الصفة [٢] ومعه حاخام اليهود « حاييم ناحوم أفندى » وهو الذى فتح لليهود يومئذ باب الهجرة إلى تركيا ليكونوا بالقرب من فلسطين ، وهو الذى عيَّنه مصطفى كمال ليكون سفير تركيا فى أمريكا ولم يتم ذلك لأن « حاييم » فضَّل أن يكون حاخاماً لليهود فى مصر [٣] .

أرسل مصطفى كمال عصمت وحاييم متجاهلاً كُلاًّ من الوزارة والجمعية الوطنية وزودهما بتعليماته الشخصية . وفى لوزان تفاوض وفد مصطفى كمال مع اللُّورد « كيرزون » وزير خارجية بريطانيا ، ممثل الحلفاء فى جميع شروط الصلح ، واللُّورد كيرزون هذا هو الذى صرخ ودوَّى هتافه فى مجلس الوزراء

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٥ - ١٨٦

(٢) نفس المرجع ص ١٨٩

(٣) محمد خليفة التونسى ، الخطر اليهودى - بروتوكلات حكماء صهيون ، ص ٧٨

البريطانى : « إنه إذا كانت هذه هى الصهيونية فإنه لا يوجد سبب على الإطلاق لماذا لا ينبغى علينا جميعاً أن نكون صهاينة » !!

قال عصمت أو قال حاييم - لا يهم - للُورد كيرزون (ما يعلمه كيرزون بالطبع) :

١ - إن الكفاح الأكبر ما زال ينتظر مصطفى كمال ، فلقد طالما أوضح لأصدقائه أنه يرى وجوب اقتلاع الدين من تركيا .

٢ - إن الخطوة القادمة هى إلغاء الخلافة الإسلامية - التى لم تعد خلافة ولا يحزنون - إنها مجردة عن السلطة ... لكن ربما ... وربما !!

٣ - إن سلسلة من الإجراءات الانقلابية ستتم تتغير بموجبها الهوية التركية من إسلامية شرقية إلى غربية لا دينية تحارب الإسلام .

٤ - سنسحق ونُخرج كل القوى الإسلامية من تركيا .

٥ - إن الغازى قد أوضح أنه لا يؤمن بعصبة من جميع الدول الإسلامية ، ولا حتى بعصبة من الشعوب التركية ، ولن يقود تركيا إلى حماقة من هذه الحماقات أو يُنَصِّب نفسه بطلاً للشرق معادياً للغرب وللإسلام ضد المسيحية[١].

ولم يكن « كيرزون » يريد غير هذه الشروط . ووقّع مع « عصمت » معاهدة لوزان بتاريخ ٢٤ يولية ١٩٢٣ التى حدّدت حدود تركيا ، كما تضمّنت نصوصاً تنازلية عن قبرص ومصر وليبيا وتونس والجزائر وبلاد الشام والعراق .

وسألت الصحفية « خالدة أديب » بطلها الذى كان يحب دائماً أن تكون إلى جواره : « إنك سوف تستريح بعد مؤتمر الصلح ياباشا » فأجابها مصطفى كمال فى عنف وعيناه تومضان ببريق مخيف : « أستريح ؟ أية راحة ؟ إننا بعد أن خلصنا من اليونانيين سوف يقاتل بعضنا بعضاً ، أو سوف يأكل بعضنا بعضاً »![٢].

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٧٩ - ١٨٠

(٢) المرجع السابق ص ١٨١ - ١٨٢

وتكتلت الجمعية الوطنية لتشد من أزر رؤوف الذى استقال من رئاسة الوزراء ، وبدأ جهاز الغازى يغتال النواب المعارضين أثناء عودتهم إلى بيوتهم فى نفس الليلة التى قد يتهور فيها أحدهم ويعارض . وهُدِّد الباقين بالشنق .

وندَّدت الجمعية الوطنية بقبول مصطفى كمال للهدنة مع الأعداء فى « مودانيا » وبمفاوضات عصمت السرية فى لوزان وقرروا التصويت على تنحيته ، وعمد مصطفى كمال الى استخدام سلاحى الوعد والوعيد لإحباط القرار ضد عصمت رجله الذى يُطيعه بلا مناقشة [١] .

ومن هنا بدأ يُنشىء حزباً سياسياً من لجان المقاومة التى كانت قد نشأت فى الأقاليم منذ عام ١٩١٩ أيام القتال ضد اليونان ، وقرر أن يُحيلها إلى آلة حزبية منظَّمة تخضع لإشرافه ، ويمنح كل لجنة منها سلطة اختيار عمدة القرية وواعظها وناظر مدرستها ومدير شرطتها وبريدها وكناسى شوارعها ، ومن هنا ترتبط اللِّجان به ارتباطاً شخصياً . وعلى الطريقة - إياها - فإنه كان دائم التحذير من معارك لم تنته ولن تنته ، فهو يقول لهم فى النهاية وعقب كل اجتماع حيث جمع فى يده أعِنة تلك المنظمات « احتفظوا بمنظماتكم ... إن العدو الخارجى قد ذهب لكن الحرب لم تنته بعد . فالبلاد مليئة بالخونة . قفوا فى صفى وأطيعونى ... أنتم الشعب وحزب الشعب الذى ينبغى أن تحكموا تركيا » [٢] .

وإذ ضمن التفاف هذا الجيش من القرويين حوله وفرغ من التنظيم ، بدأ هجومه بعرض مرسوم يقضى بإلغاء حصانة النواب من الاعتقال والمحاكمة ، ثم أتبع ذلك برقابة صارمة على الصحف ، وأمر البوليس بمنع أى اجتماع أو خطاب عام . وأدرك النواب خطورة الخطة السياسية التى يدبرها للانفراد بالحكم فقرروا إحباطها بأى ثمن ، وطلبوا منه التنحى عن رياسة الحزب الجديد بحجة أن رئيس الدولة ينبغى أن يظل فوق الأحزاب ، لكنه أجابهم بقوله :

---

(١) نفس المرجع ص ١٩٥ (٢) المرجع نفسه ص ١٨٨

« لست أوافقكم على حجتكم ، فأنتم تتكلمون عن زعامة أحد الأحزاب السياسية ، وأنا أقول إنه ليس فى الدولة غير حزب سياسى واحد ، ولا يمكن أن توجد أحزاب أخرى تناوئنا ، ويهمنى من وجهة الكرامة والشرف أن أظل زعيماً لهذا الحزب الوحيد - حزب الشعب - ورئيساً للدولة فى وقت واحد » [١] .

وكان الجواب تحدياً للجمعية الوطنية . فبدأت الأعصاب تثور ، وبدأ كثيرون من زملاء مصطفى كمال الذين وقفوا إلى جانبه فى أحلك الأيام خلال السنوات الأربع الماضية يتكلمون ضده بزعامة رؤوف ! .. كان بينهم رحمى ، وعدنان ، وكاظم قره بكير ، ورفعت ، وعلى فؤاد ، ونور الدين .. ولم يبق فى صفه غير عصمت ، وفوزى ، وبعض أصدقائه الشخصيين وأصفيائه فى مجالس الشراب ! [٢] .

وانفَضّ النواب من حوله وراحوا ينتقدونه علانية ، وأعلنوا أنهم لن يقرُّوا أن تُحكم البلاد حكماً مطلقاً على يد ذلك المنتقم الفظ صاحب الآراء الشاذة والوسائل غير اللائقة ! إن أحداً لن يأمن على نفسه فى ظل رجل مثله .

وبادر إلى حل الجمعية الوطنية وأجرى انتخابات جديدة آملاً أن يحصل على الأغلبية فيها بفضل معاونة حزبه الجديد ... لكن المجلس الذى أسفر عنه الانتخاب جاء مناهضاً له شأن المجلس القديم ، يأبى الانصياع لأوامره ويُحدث ضجيجاً كلما خاطبه « الغازى » !! بلهجة ناظر المدرسة الذى يخاطب تلاميذه ! [٣] .

وجلت آخر جيوش الإحتلال الانجليزية عن العاصمة فى ١٦ أكتوبر ١٩٢٣ وبدا واضحاً أن الانتظار فى غير مصلحته .

وحانت فرصة « البطل » !! للبت فى أمر حكومة تركيا الجديدة قبل أن يزداد

---

(١) المرجع السابق .

(٢) نفس المرجع ص ١٩١

(٣) نفس المرجع ص ١٩٢

خصومه قوة ، فليعلن تأسيس الجمهورية ويُدبِّر أمر انتخابه رئيساً لها وحاكماً شرعياً للبلاد ... لكن الجمعية الوطنية لن تنتخبه ما بقيت لها حريتها الكاملة . فليدبر إذن مؤامرة سياسية تُحقق له هدفه . ليخلق أزمة ويستغلها ! ..

وخلق الأزمة ، دعا وزراءه إلى مأدبة عشاء فى داره ، وبعد أن أفرط المدعوون فى الشراب اقترح عليهم أن يستقيلوا فى اليوم التالى من مناصبهم كى يحرجوا الجمعية الوطنية بعد أن كثرت شكواهم من محاسبة النواب لهم مباشرة ، وبعد ذلك يعودون إلى مناصبهم مرفوعى الرأس مرهوبى الجانب . ولم تتمكن الجمعية الوطنية فى اليوم التالى من تأليف حكومة جديدة . وبعد يومين دعا نفراً من أصدقائه المخلصين إلى مأدبة عشاء رسم فيها خطته (على طريقة التنظيم الطليعى إياه !) قائلاً :

« لقد حان الوقت كى نضع حداً لهذه الفوضى ، غداً سوف نُعلن قيام الجمهورية ، فهى المَخرج من كل هذه المصاعب ... فعليك أنت يافتحى أن تُعقِّد الأمور فى المجلس غداً بقدر ما يمكنك ، فتؤلِّب الأعضاء ضد بعضهم البعض .. وعندئذ تقترح أنت يا كمال الدين أن أستدعى أنا لتولى زمام الأمور إنقاذاً للجمعية من مأزقها » ! [1] .

وسارت الأمور وفق الخطة الموضوعة ، واستدعوه ، وتكلم وأنهى حديثه قائلاً : « لذلك أقرر أن تصير تركيا جمهورية لها رئيس يُختار بطريق الانتخاب » . وذُهِل النواب للقرار المفاجىء ، وتقدم بالمشروع الذى أعده بالاشتراك مع عصمت . وأُعلنت الجمهورية وفاز مصطفى كمال بـ ١٥٨ صوتاً من ٢٨٦ وامتنع ٤٠٪ عن التصويت [2] (ديمقراطية سليمة !!) فى ليلة ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٩٣

(٢) Haddad; Revolution and Military Coups d'Etat in Turkey , p . 110 .

وكذا : أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٩٥

وبهذا الانتخاب صار مصطفى كمال الحاكم المطلق للبلاد ، ورئيساً لمجلس الوزراء ورئيساً للجمعية الوطنية ورئيساً لحزب الشعب ، وفوق ذلك كان القائد العسكرى العام الذى يسيطر على الجيش والشعب معاً [١] .

لكن ... ماذا بعد ؟

يقول « أرمسترونج » فى عرى صريح : « لكن كفاحه الأكبر كان ما زال ينتظره ! ... ولقد طالما أوضح لأصدقائه أنه يرى وجوب اقتلاع الدين من تركيا » (ص ١٩٥) .

يقول « جورج حداد » فى كتابه (Revolutions and Military Rule in the Middle East, New York, 1965) : « كان التحديث بالنسبة له يعنى أن يتم بتغريب وعلمنة المجتمع التركى وتحرير القطر من تأثير الإسلام والشرق ومن مظاهر الثقافة العربية ... إن الحكام العسكريين الذين حاولوا الإصلاح فى الأقطار الإسلامية الأخرى إما لم يكن لديهم الشجاعة أو لم يجدوا من المناسب أن يسيروا فى الاتجاهات المختلفة للثورة العلمانية التى افتتحها مصطفى كمال منذ نحو أربعين عاماً » (ص ١٠٨) .

وذاع فى كل مكان من تركيا أن حكام أنقرة كفرة وملاعين بعد أن انفضحت ميول مصطفى كمال وانكشفت نياته المستورة نحو الإسلام والخلافة . ووُزِّعت النشرات والصور الكاريكاتورية التى تهاجم « الزعيم » هجوماً لاذعاً . وراح كبار القادة الباقين يهرعون إلى الآستانة والتفوا حول الخليفة ينشدون الأمان فى حِماه ، إذ لم يجل بخاطرهم أن « الغازى » يجرؤ يوماً على أن يمس الخليفة بسوء ! وكان الخليفة الجديد « عبد المجيد » قد حافظ على مقتضيات منصبه كواجب أسمى ، فأحيا تقاليد أسلافه العظام .... وبدلاً من أن يركب عربة كسلفه الأخير صار يمتطى صهوة جواد أبيض - مثل « محمد الفاتح » يعبر به « القرن الذهبى » إلى جامع « أيا صوفيا » ليُصلّى الجمعة ، يتبعه حرسه من

---

(١) المرجع السابق .

الفرسان وتحف به الجماهير المهلّلة !.. وكان يستقبل فى قصره الزائرين والسفراء والمبعوثين ، بوقار الزعيم الدينى لمائة مليون مسلم .

وسرى رأى عام فى الجمعية الوطنية للدفاع عن الخلافة الاسلامية ، فانتهز فرصة تهور أحد النواب المعارضين فى إحدى جلسات الجمعية ، وكلّف شخصاً باغتياله فى اللّيلة نفسها ، أثناء عودته إلى بيته ! . وألقى أحدهم خطبة أيّد فيها الخليفة ، فهدده « الغازى » بالشنق إذا فتح فمه بمثلها مرة أُخرى [1] !..

وأدرك مصطفى كمال الخطر ، أى تعاظم رد الفعل الإسلامى وأبعاد ما يحدث فى الآستانة ، وتأكد من أن أكثرية الشعب فى تركيا كلها تكرهه ... وفيما هو يتدبر أمره حائراً أمدته بريطانيا بسلاح جديد . فقد روّجت لرسالة أرسلها « أغا خان » ، الزعيم الإسماعيلى فى الهند ، يُطالِب باسم مسلمى الهند باحترام مقام خليفة المسلمين . ومعروف صلة أغا خان بالإنجليز [2] . وعلى الفور استغل مصطفى كمال الفرصة وألغى الخلافة الإسلامية فى ٣ مارس ١٩٢٤ . وأعلن فصل الدين عن الدولة وإلغاء المحاكم الشرعية ، وإلغاء وزارتى الشرعية والأوقاف . وطرد الخليفة وأفراد الدولة العثمانية ذكوراً وإناثاً وأصهارهم من البلاد . وتوالت الإجراءات الانقلابية : أُلغى التعليم الدينى ، وأُغلقت مدارسه القائمة ، ولُقِن التلاميذ فى المدارس الانقلابية أن الثقافة والتقاليد الإسلامية هى من أسباب تأخر التركى وجموده ، وما أصابه من كوارث وتعرض له من دسائس ، كما هى من أسباب ضعف البنية القومية والثقافية واللّغوية التركية . ومُحيت كل مظاهر الإسلام وحلّت التشريعات الغربية محل الشريعة الإسلامية [3] .

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٩٧ (٢) المرجع السابق ص ١٧٩

(٣) دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ٧٣

وكذا : Haddad , the Turkish Revolution, p. 109 - 111 .

وثارت عواطف الجمهور الدينية ضد قلب الدولة والبلاد إلى دولة وبلاد لا دينية وهدم كيان الإسلام والمسلمين ، وقامت الثورة الكردية بقيادة الشيخ سعيد انتصاراً للدين وحماية له من الملاحدة . وحمل قائد الثورة ما أسماه « لواء النبى والقرآن الأخضر » . فنكّل بالثورة التى ظلت تقاوم لتسعة شهور ، وحكم على آلاف من الأكراد بالشنق أو النفى أو السجن ، وشنق ستة وأربعين من رؤساء القبائل فى ديار بكر كان آخرهم الشيخ سعيد زعيم الثورة [١] .

وبتاريخ ٤ مارس ١٩٢٥ أصدر قانون إقرار الأمن والسكون ، خُوِّلت الحكومة بموجبه منع أى منشورات من شأنها أن تؤدى الى الارتداد (أى العودة إلى الإسلام) والعصيان ، كما خُوِّلت فيه سَوق الناشرين إلى محاكم الاستقلال ، وأصدر بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٢٥ ذيلاً لقانون « الخيانة الوطنية » ، وصف فيه بالخيانة الوطنية منشئو الجمعيات السياسية التى يكون الدين أساساً أو وسيلة أو مظهراً لها ، وكذلك المشتركون فيها [٢] .

وصار أى إجراء أو نقد شفوى للحكومة يُعَد خيانة عظمى تُعاقب عليها « محاكم الاستقلال » بالموت فوراً . وأُلغيت حصانة النواب ضد الاعتقال ودبر الكمائن لاصطياد خصومه . وأقام محكمة الاستقلال لمحاكمة زعماء المعارضة الذين ألقى القبض عليهم جميعاً ، بعد أن كلّف رجال الأمن العام بجمع الأدلة التى تثبت التهمة . وحكمت عليهم جميعاً بالشنق بغير مراعاة لقواعد المرافعات والإثبات المقررة فى القانون . وصدّق على الحكم دون أن تتحرك عضلة واحدة من وجهه وهو يوقع بالموت على كثير من أصدقائه القدامى . وكان يتباهى بأنه قد حكم بالشنق على عدد من الأتراك يفوق العدد الذى حكم عليه أى تركى منذ عهد السلطان محمود الثانى ، واحتفل بإعدام أصدقائه بإقامة حفلة راقصة رسمية بقصره فى الليلة نفسها .

وبات « حزب الشعب » - الذى صار اسمه « حزب الشعب الجمهورى » -

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤

(٢) نفس المرجع ص٧٥

الآلة المهيمنة على الحكومة بحيث صار محتوماً على كل ذى منصب حكومى ، من أصغر موظف فى أصغر قرية إلى رئيس الوزارة ، أن يكون عضواً فيه ، وكان الوزراء موظفين دائمين أكثر منهم وزراء ، بسبب انعدام أحزاب المعارضة [١] .

وصارت انتخابات الجمعية الوطنية انتخابات « اسمية » إذ لم يكن يُسمح لأحد بمنافسة مرشحى الحكومة الذين ينتقيهم مصطفى كمال من أعضاء حزبه ولجانه ... وكان النائب يلتزم الطاعة المطلقة لرغبات « الغازى » عند التصويت على مشروعات القوانين .. واذا اجترأ شخص ، سواء أكان نائباً أو شرطياً فى إحدى القرى ، على أية مخالفة أو عصيان فسرعان ما يُفصل فوراً من الحزب ، فيفقد تبعاً لذلك عمله ويتعذر عليه أن يجد عملاً آخر ، ولو أدى الأمر إلى موته جوعاً ! ...وهكذا صار الحزب أشبه بجيش احتلال ، يُشرف على إدارة شئون البلاد !

وكان مصطفى كمال يستعين فى حكمه بثلاثة أشخاص ، يجتمعون به كل ليلة فى منزله فينهون إليه الأنباء ويتلقون أوامره : « عصمت » الذى كان يختص بشئون الحكومة والجمعية الوطنية ... و « فوزى » الذى اختص بشئون الجيش ... ثم « ظيا صفت » السكرتير العام لحزب الشعب ، وهو يهودى قدير حاضر البديهة كان يُسرد على مسامعه أنباء اليوم الهامة وشئون الحزب [٢] .

وبعد أن فرَّق الكيان السياسى للدولة بأكمله صار عليه الآن أن يُغيِّر عقول الشعب بأسره : أفكارهم القديمة ، وعاداتهم وأزياءهم ، وأساليب حياتهم ، وأدق الدقائق التى تربطهم بنشأتهم الشرقية وماضيهم ... وكانت هذه المهمة أصعب بكثير من إعادة بناء الكيان السياسى للدولة ، أو على حد تعبيره « لقد قهرتُ العدو ، وقهرتُ الدولة ، فهل أستطيع أن أقهر الشعب » ؟ [٣] .

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢

(٣) المرجع السابق ص ٢١٣

واعتقد الدمية أن تغيير عقل الشعب يتطلب تغيير غطاء الرأس !! فأصدر قانوناً يُلزم الشعب بأن يضع قبعة فوق رأسه ليكون متمديناً !! .. ولما عارض الشعب أرسل محاكم الاستقلال إلى الأقاليم لتحكم على مئات من المتمردين بالشنق والرمى بالرصاص والسجن [١] !

وأصدر مجموعة من التشريعات ألغى من خلالها كتابة اللُّغة التركية بالحروف العربية لكى يفصل بين الشعب التركى وبين كل تراثه فى شتّى مجالات المعرفة التى كُتبت بالحروف العربية . وأمر بترجمة القرآن إلى اللُّغة التركية ، وجعل الآذان للصلاة باللُّغة التركية . واستبعد ما استطاع استبعاده من الكلمات العربية والفارسية من اللُّغة التركية . وجعل العُطلة الأُسبوعية الأحد ، واتخذ التقويم الغربى تقويماً رسمياً للدولة ، وأصدر قانوناً أسماه القانون المدنى ليصير به حياة المجتمع التركى الاجتماعية والعائلية والشخصية والاقتصادية على أُسس غريبة عن حياة الأتراك طيلة قرون طويلة [٢] .

ونظراً لما كانت تشغله « الآستانة » من مركز عظيم فى أذهان الشعب التركى والعالَم عامة والعالَم الشرقى والإسلامى خاصة ، فقد أصدر الزعيم (الدمية) قانوناً بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٢٣ بجعل أنقره عاصمة للدولة الجديدة [٣] .

وهنا لا بد من وقفة !!

كان فتح القسطنطينية - الاسم القديم للآستانة - هدفاً رئيسياً للسياسة الإسلامية منذ القرن الأول الهجرى ... إليها تتابعت حملات المسلمين ، وبجوار سورها دُفن « أبو أيوب الأنصارى » - صاحب رسول الله ﷺ ومضيفه فى دار الهجرة - شهيداً فى أُولى محاولات الفتح .

---

(١) نفس المرجع ص ٢١٤ (٢) دروزة : تركيا الحديثة ، ص ٨٠ - ٨٢

(٣) المرجع السابق ص ٨٦ - ٨٧

من القسطنطينية كانت تصدر قرارات الحرب لغزو ديار الإسلام والإغارة على الثغور .

وتحقق الهدف على يد السلطان الشاب « محمد الثانى » أو « محمد الفاتح » كما يسميه - بحق - تاريخ المسلمين . ففتحها فى ٢٩ مايو ١٤٥٣ ، والتزم الفاتح بالتسمية وسمّاها « إسلامبول » أى مدينة الإسلام .

ودخل السلطان الفاتح « مدينة أم الرب » ، « روما الثانية » ، « ملكة المدن المسيحية » ، « المدينة التى يحرسها اللّه » ، « فخر اليونان » - الألقاب التاريخية للقسطنطينية - قبل ظهر يوم الجمعة غداة يوم السابع عشر من رمضان عام ٨٥٧ للهجرة (٢٩ من مايو ١٤٥٣ م) وأمّن المغلوبين وأعلن حرية الفكر والاعتقاد ، وأقيمت صلاة الشكر الجامعة ، بعد صلاة ظهر يوم الجمعة المقدس ، حيث ارتفع الآذان الإسلامى الجليل يتوّج سماء الروملى .

وأزال الفاتح العظيم من الوجود إمبراطورية الروم الشرقية التى دامت أحد عشر قرناً من الزمان ، منها ثمانية قرون العدو الرئيسى للمسلمين .

وارتفع هناك عَلَم الشرق الإسلامى المنتصر ، بهلاله البديع ...وصارت العاصمة المقدسة للدولة الرومانية والحضارة الهيلينية والأرثوذكسية العالَمية ، حاضرة للدولة العثمانية ، ومنارة لإشعاع الإسلام ... وعوضاً عن « القيصر الكاهن » الإمبراطور حل الخليفة المسلم « أمير المؤمنين » .

وأصبحت الآستانة بمآذنها السامقة موئلاً للثقافة الإسلامية ، وداراً لطباعة المصحف الشريف ، ومقراً لشيوخ الإسلام .

وعلى مسجد السلطان الفاتح تقرأ حديث رسول اللّه ﷺ ، الذى يبشر بالفتح ، ويُبارك قائد النصر ، ويُثنى على الفاتحين : « لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش » .

لقد كان فتح القسطنطينية قمة التصاعد فى قصة البطولة العثمانية ...

كان ذروة الصراع بين الإسلام والصليبية العالَمية ، ولا زال تاريخهم فى الغرب ، ينضح بالأسى الدفين على فقدها ، ويطفح بالحقد على الفاتحين .

فلقد بُنيت « القسطنطينية » على أنقاض مدينة « بيزنطة » الإغريقية ، لتكون مدينة مسيحية الصبغة ، ودشّنها « قسطنطين الأول » فى ١١ مايو ٣٣٠ م ، وسُميت باسمه ، لتكون عاصمة الدولة الرومانية الكبرى ... وكانت مدينة « البسفور » بقرنها الذهبى أكثر أماناً ومَنعة من مدينة « التيبر » بتلالها السبعة .

فالمدينة إذن ، باسمها المنسوب إلى قسطنطين ، وبألقابها التاريخية ، كانت تعنى فى الوجدان الغربى رمزاً للحضارة الهيلينية وتراث الرومانية ، وواسطة العقد للشعوب النصرانية ، وحصناً للمسيحية العالَمية على مدى ألف ومائة عام .

ومن ثَمَّ كانت روعة الفتح ورعب السقوط .. فلئن كان الفتح عند المسلمين هدفاً وبشارة ، فإن سقوطها عند الغرب كان يعنى الخراب والمأساة .

ويَعبِّر « فاذلييف » عن ذلك بقوله : « وفى سنة ١٤٥٣ سقطت القسطنطينية – روما الثانية – ودخلها السلطان محمد الثانى (المنذر بقدوم الدجال وشبيه سنحاريب) »[١] .

وفى لوعة الثكالى يبين « استيفان نيل » دور الإمبراطورية المبادَة فى التاريخ الأوروبى فيقول : « منذ تأسيس القسطنطينية ، بواسطة قسطنطين كمدينة مسيحية ، وحتى سقوطها النهائى بواسطة الأتراك عام ١٤٥٣ ، انقضى أحد عشر قرناً ، وإذا ما عدنا إلى الوراء فإن أحد عشر قرناً ستنقلنا إلى أبعد من الغزو النورماندى ... أبعد من أيام ألفريد الأكبر . فالتاريخ البيزنطى أطول

---

(١) نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد ، ص ٣٨٩

من كل مجرى التاريخ الإنجليزى حتى أيامنا الحاضرة ... وعلى مدى ثمانية قرون من بين الأحد عشر كانت الإمبراطورية البيزنطية حصناً لعالَم المسيحية ضد انتهاكات القوة الإسلامية » [١] !!

ويصف « نهرو » شعور العالَم النصرانى ، بعد سقوط المدينة المقدسة فى أيدى المسلمين ، أى فتحها بالإسلام وجنوده الأبرار المنتصرين فيقول : « إن سقوط القسطنطينية فى أيدى الأتراك العثمانيين كان حدثاً تاريخياً خطيراً هَزَّ أوروبا هزاً عنيفاً ، فسقوطها يعنى القضاء النهائى على الإمبراطورية الشرقية الإغريقية القديمة التى دامت ألف عام ، كما يعنى غزواً إسلامياً آخر لأوروبا . وقد أثار هذا الحادث مشاعر أوروبا ، لكنها وقفت حياله عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً » [٢] .

ومن هنا ، ومن هنا وحده ، وجدت أوروبا الصليبية - كل أوروبا - مَن يكسر لها حاجز العجز ويُريحها من الحقد الدفين ... وكان ذلك هو « العميل الماسونى الصليبى أتاتورك » !!

وبكت الصلاة قرب « أياصوفيا » وأُسرت الجُمع الجلائل مثخنات بالجراح !! فلقد أغلق أتاتورك مسجد أيا صوفيا الجامع الكبير فى الآستانة وحوّله إلى متحف ، وحظر الصلاة فيه ، « احتراماً لمشاعر الغرب » على حد ما أعلنه فى عرى صريح .

ونمضى فى طريقنا بعد هذه الوقفة الضرورية مع الآستانة وأياصوفيا .

ورغم اللقب الذى اخترعه لنفسه « أتاتورك » - أى أبو الترك - فإن المعارضة واصلت نضالها ضده فشكلت الجمعيات العلنية والسرية ، لكنه

---

(١) Stephen Neill . A History of christian Missions, p . 82

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة د . عبد العزيز عتيق ، ص ٦٠

واجهها بأسلوبه الذى اختطه لنفسه « قهر الشعب » بالشنق والرمى بالرصاص والسجن والموت جوعاً .

هبّت ثورة فى منطقة تمتد من قونيا إلى أضاليا وأزمير ، وجاءت أنباء بقرب نشوب ثورة مماثلة فى أرضروم فأخمدها وشنق كثيرين فى مشهد عام فوق قنطرة « غلطه » عبر القرن الذهبى ، وشنق زعيم الثورة وكان فى الثمانين من عمره مع أتباعه جميعاً وأرسل إلى قرية واحدة قوات بطشت بالثوار وسجنت ألفاً من الأهالى وشنقت ثمانية وعشرين رجلاً من أبرز زعماء الثورة فى عنف دونه وحشية الوحوش [١] !!

حتى الجمعية الوطنية وبعد الاطمئنان على أن أعضاءها هم مرشحو حزب الشعب ، قَتل أحد أنصاره نائباً أثناء المناقشة برصاصة أطلقها على بطنه فى حرم المجلس . واستدرج رئيس حرسه نائباً آخر وتودد إليه ثم دعاه إلى العَشاء فى دار الحرس وهناك خنقه وألقى بجثته فى العراء [٢] .

وغيره كثير كثير « فلقد أيقظت السلطة المطلقة فى أعماقه نزواته الوحشية فانطلق ذئب أنقرة الأغبر ينشب مخالبه فى أعدائه ، ويضع بصمته الدموية على رقاب ضحاياه ، بالسجن والتعذيب والمشنقة ... بالدم والإرهاب » [٣] .

يقول دكتور « محمد محمود عبد القادر - أستاذ كرسى الكيمياء الحيوية كلية الطب ، قصر العينى - فى بحث له عن « صحة الحكام » :

« وتؤكد الحقائق التاريخية أن الديكتاتورية كانت مقترنة دائماً بالأمراض التى تُؤثر على مستويات المخ العليا لزعمائها - والأمثلة فى هذا المجال كثيرة ، وترجع بنا الذاكرة إلى الزعيم التركى مصطفى كمال أتاتورك (أتاتورك بمعنى أبو الأتراك) حينما نُشرت الوثيقة التاريخية الطبية الخاصة به قبل وفاته . فقد

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٨

(٢) المرجع السابق ص ٢١١

(٣) نفس المرجع ص ٢١٢

أصيب مصطفى كمال أتاتورك فى شبابه بمرض السيلان الذى لم يكن له علاج أكيد فى ذلك الوقت ، ثم أصيب بمرض عضال فى الكلية سنة ١٩١٧ لم تُعرف كُنهته ، وكان يتعرض لآلام مبرحة مزمنة لا تُطاق ، كانت السبب فى إدمانه على شرب الخمر مما أدى إلى إصابته بتليف الكبد والتهاب فى أعصابه الطرفية وتعرضه لحالات من الكآبة والانطواء - وتدهور فى المستويات العُليا للمخ - لذلك كان هذا الديكتاتور مثلاً فريداً فى القسوة والتنكيل والأنانية المدمرة »[١] .

وعن أحلام السمن والعسل التى سوف ينغمس فيها المواطنون بوعد من الأبطال نقرأ النتيجة : « كان الفقر يعم كل مكان ، والأيام الذهبية التى وُعِدَ الشعب بها بعد طرد الأعداء قد تمخضت عن أيام أسوأ من أيام السلطان عبد الحميد ذاته ! . فقد عَزَّ الطعام ، وتفاقم الغلاء ، وشحَّت النقود ، بل شحَّت البضائع الضرورية واختفت من الأسواق ، وثقلت الضرائب ، وازداد جشع جُباتها ، وجُندَ الشباب جميعاً فى الجيش برغم انتهاء الحرب ، فانهارت البيوت والمزارع على أصحابها ، وماتت الماشية لقلة العلف ، وأتلف الجدب الحاصلات الزراعية ... وصارت الحياة عبئاً لا يُطاق بعد أن بلغت الفاقة والعوز حداً لم يُسمع بمثله من قبل » ! (أرمسترونج : ص ٢٠٢ - ٢٠٣) .

ومع كل ما جرى ، وجد « أرمسترونج » من صفاقة الوجه ، ما جعله يقول بلا حياء أو خجل : « إنه لم يفقد ذرَّة من إيمانه بالشعب ، وبقدرته على أن يقوده الى مستقبل عظيم ، وقد عبَّر عن رأيه بتصريح أدلى به فى ربيع سنة ١٩٣٢ ، قال فيه : « فليترك الشعب السياسة جانباً فى الوقت الحاضر ، وليضع همه فى الزراعة والتجارة ! .. إننى ينبغى أن أحكم هذه البلاد عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً أخرى ! وبعدها أستطيع أن أطلق للناس حرية الرأى » ! (ص ٢٢٥) .

---

(١) جريدة الوفد - ٢٩ أغسطس ١٩٨٥

وواصل الدمية إصلاحاته الثورية !! مفرزاً صديد كرهه للُّغة العربية ، فأمر بأن تُتلى الصلوات فى الجوامع بالتركية وحدها ، وألغى كل شعار إسلامى لتحل محله صورة الذئب الأغبر زاعماً أن ذلك كان رمز الأتراك القدماء أيام الوثنية .

ويرى « جورج حدّاد » أن كثيراً من الإصلاحات !! الكمالية ، والأيديولوچية القومية لها ، قد تخطت حدود ما كان يخطط له « الأتراك الشبان » الذين سبقوه . بل إن أفكار « جوك آلب » عن القومية والتغريب قد حُوِّرَت ، لأن « جوك آلب » نفسه لم يكن يتوقع العلمانية الكاملة وإلغاء الخلافة وتبنى الثقافة والحضارة الغربية [١] .

أما « جوك آلب » هذا الذى ذكره حدّاد فهو أكبر دعاة الفكرة « الطورانية » ، أى القومية التركية . وعن هذا المُنَظِّر للفكر الطورانى الذى اتخذه مصطفى كمال منهاجاً لتركيا ، وإن فاقه كفراً وضلالاً ، يتحدث الأستاذ « عباس محمود العقاد » فيقول :

« وفى سالونيك هذه كان يقيم « جوك آلب » فيلسوف الحركة ومبشرها الأكبر فى القرن العشرين . و « جوك آلب » هذا رجل غير موثوق من نسبه التركى ، ولم يكن من المولودين فى البلاد التركية ، وإنما كان ينتمى إلى جهة فى جانب ديار بكر بالعراق ، وكان يقول إن اللُّغة والثقافة والشعور هى عناصر « القومية » وليست علاقة النسب والميلاد ، وكان أكثر من هذا وذاك تلميذاً للعالِم الاجتماعى الإسرائيلى « دركيم » . و « دركيم » هذا كما يعرفه المتعقبون لمساعى الصهيونيين فى ميدان الثقافة هو رسول « الماركسية » فى ميدان العلم الاجتماعى .

« ... ولكننا نعلم أن « سالونيك » مدينة يغلب عليها الصهيونيون وأتباع « شبتاى زيفى » الذين دخلوا فى دين الإسلام وبقوا على عزلتهم الدينية باسم

---

(١) Revolutions and the Military Rule in the Middle East , p . 109 .

« الدونمة » ليعملوا فى البيئة التركية غير متهمين ولا محذورين . فمن المستحيل أن يكون هذا شأن المدينة وبيئتها الثقافية ، ثم يظهر فيها فيلسوف يتتلمذ على العالِم الاجتماعى « الإسرائيلى » دون غيره ، ثم يقال إن « الصهيونية » لم تعمل شيئاً فى هذا الاتجاه ، يقبله الماضون فيه كما أسلفنا عن قصد وتدبير »[١] .

إن هؤلاء « الدونمة » الذين كانت أسماؤهم فى الأوكار : عزرا وحاييم وهارون ودبورا وأستير وسارای ، أما فى السوق والوظيفة فمحمود ومحمد وحسين ومصطفى وعائشة وخديجة وزينب ، يقرأون التلمود والعهد القديم ويُرتلون بالعبرية ويأكلون الفطير ويُعيِّدون فى أوكارهم وخلواتهم عيدى الفور والخانوكا كاليهود .... هؤلاء الدونمة تقدموا عام ١٩١٨ بعد احتلال الآستانة إلى قادة الحلفاء معلنين أنهم ليسوا أتراكاً ولا مسلمين [٢] .

تَولى هؤلاء الدونمة والماسون توجيه الفكر والتربية والتعليم والثقافة فى تركيا الكمالية . وما أن حل عام ١٩٢٧ حتى رأينا أحد مفتشى المعارف - على رضا بك - يسأل تلميذاً :

- ما اسمك ؟ .

- محمد .

- من هو محمد ؟ .

- محمد أنا .

- هل تعرف شخصية كبيرة بهذا الاسم ؟

- كلا .

---

(١) عباس محمد العقاد ، بين الكتب والناس : « الحركة الطورانية » ، مطبعة مصر ١٩٥٢ ص ٤٣ - ٤٤

(٢) خالد محمد على الحاج ، الكشاف ، مطابع الدوحة الحديثة بقطر ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥

- ما هى قوميتك ؟

- التركية .

- ما هو دينك ؟

- الدين التركى .

- من هو اللّه ؟

- أتاتورك ... !!!!

قدّم المفتش ما سمع للوزارة فكان الجواب عزله [1] .

ثم خطا أتاتورك خطوة أخرى وفرض على الشعب أن يُخلّص نفسه من الأسماء العربية وبالذات الأسماء ذات الدلالة الإسلامية .

ومنذ عام ١٩٢٢ والى أن هلك عام ١٩٣٨ « ظل حاكماً بدائياً متوحشاً يكمن كالوحش المفترس لاصطياد خصومه ... وقد كَفَّ عن الاختلاط بالشعب ... وصار متحفظاً منعزلاً تتعذر مقابلته ... لا يخرج بغير حراسة قوية .. ولا يقترب من داره إنسان إلا بتصريح خاص ... ووضع حول مسكنه أنواراً كاشفة باهرة الضوء ... ولم يعد يقابله غير وزراء حكومته ونفر من أنصاره الكبار وأصفياء السوء ... ولو أنه وُجِدَ فى عصر جنكيزخان لبزه فى جبروته الذى لا تضعفه عاطفة أو خُلُق أو وفاء ، ولقاد مثله القبائل المتوحشة فغزا بهم الأقطار واجتاح الأمصار ودمّر المدن ... ثم أنفق فترات الراحة بين الحملات المتعاقبة فى المجون الصارخ والخمر والنساء » .

هذا ما يقوله عنه « أرمسترونج » المتيّم به حد العشق (ص ٢٠٣ ، ٢٢٥) .

ولقد كان الإسلام وسيظل - وآسف للقياس - أكبر وأقوى من الشبح والدمية والصنم والعميل .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٧٧ - ٣٧٨

ذلك أن صحوة إسلامية كبرى تجتاح تركيا منذ أواخر الأربعينات ، هذا غير الثورات التى حدثت ضده ومحاولات اغتياله المتكررة ..

ولقد أطلتُ فى موضوعه ، ولوّثت قلمى - على كُرْه منى - بسيرته الوبيئة . لكن - وليعذرنى القارىء - فلقد كان النموذج الذى صُبَّ على قده ، وفى قالبه الخسيس ، كل عُتُل جاء بعده زنيم وعميل .

وكانت تجربته كما يقول « جورج حدّاد » - أحد المروِّجين « لثورته !! » وأسطورته : « ذات تأثيرات بعيدة المدى على المنطقة كلها ، وأوحت إلى القادة (قادة المنطقة) فى كل مكان أن يسيروا على نفس خُطى الرمز كمال أتاتورك » [١] !!

إن خبايا الدور الذى لعبه أتاتورك وفاءً لأسلافه الدونمة بالتنسيق مع الماسونية الدولية والصليبية العالمية لا يمكن أن تستره باقات الورد التى تلقى على « إينيت قبر » [٢] !!

* * *

(١) Revolutions and the Military Rule in the Middle East, p. 101 .

(٢) أى القبر الكبير .

. المعادلة الصعبة ... لن تُسلَّم مفاتيح القلعة ؟ !

● زعماء وأحزاب ووزراء وأفكار فى حضانة الماسون :

انتهت الحرب العالَمية الأولى بهزيمة الدولة العثمانية ، وركِّب الصنم « النموذج » أو « أتاتورك » على قاعدته فى أنقره ، وتسلَّم « مسيلمة الجديد » السلطة فى حضانة « الماسونية العالَمية » ، وانتصر « هرقل » المعاصر - ممثَلاً فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا واليونان - فى دار الخلافة الإسلامية بمسيلمة المسخ الزنيم .

وتنفست القوى الصليبية المدعومة بالدائرة اليهودية الصعداء عشية توقيع معاهدة « لوزان » والتزم الدمية فى أنقرة بشروط « كيرزون » الأربعة ، وخُنقت القوى الإسلامية داخل تركيا .

وأصبح ما تبقى من العالَم الإسلامى غداة نهاية الحرب العالَمية الأولى تحت السيطرة الأوروبية عارية من كل ستار !!

الشام - سوريا ولبنان - لفرنسا ، والعراق وشرق الأردن لإنجلترا ، وفلسطين تحت الانتداب البريطانى ! وموعود بها وطناً قومياً لليهود !!

وكانت الدول الغربية قد انتزعت الأقاليم العربية : مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وعدن والخليج من الدولة العثمانية فى نهاية القرن التاسع عشر .

وحكم المستعمرون بلادنا من خلال الحاميات العسكرية ودور الحماية بأدوات محلية تنفذ أوامر جيش الاحتلال !!

لكن الغرب يوم جاء واحتل ديارنا ، واجهته « معادلة صعبة » شديدة التعقيد .

فهو قد جاء ليخضع ويحكم أساساً ويفرض بهذا المجىء ذاته ، ومن ثَمَّ فهو مرفوض ، مقاوَم فى كل مكان .

ويعمل جاهداً على إطالة أمد بقائه بأساليب شتّى .

ويعلم - بناء على مناهج بحثه - أنه مضطر لمنح الاستقلال الشكلى على المدى البعيد أو القصير !!

ويعلم أن الإسلام هو عقيدة الجموع الغفيرة ومنهاجها الفكرى وميراثها الحضارى وقانونها الشرعى والأخلاقى والاجتماعى ، وأن الدين : « هو أشد ملامح الشرق الإسلامى أهمية ، لأن المنطقة إسلامية بأسرها ، وأن الإسلام لم يتقدم بنظرية دينية وحسب ، بل بقانون شرعى وأخلاقى وبمنهج اجتماعى وثقافى كذلك ... دين لم يُعيِّن حدوداً للمسجد والحكومة بل وحَّدَ التعاليم الدينية والأخلاقية والشرعية فى نظام شامل فى المجتمع الإسلامى . وهذا المجتمع - الأمة - كان أخوة دينية ومؤسسة سياسية ونظاماً اجتماعياً فى الوقت نفسه .

وقد نظَّم القانون الدينى - الشريعة - كل مظاهر الحياة الاجتماعية . أما القرآن وهو الكتاب المقدس فقد حوى الحياة بقضها وقضيضها وليس حسب شريحة واحدة هى التدين أو الروحانية .

وعلاوة على دعاواه - أى الاسلام - المتسعة وسيطرته على الجموع فإن تراثه يبقى وحده بحيث يتوجب علينا أن نُوليه الاعتبار من نواحى كثيرة » [1] .

ويعلم الغرب كذلك أن فكرة « الأمة الإسلامية » عقيدة دينية وحس جموع غالبة وشهادة تاريخ فى حضور يقظ مقيم .

« ودار الإسلام » أو « الوطن الإسلامى » هى كل أرض يقطنها المسلمون وترفرف عليها راية الإسلام .

« وأن مبدأ الأمة الإسلامية الشاملة لكل المسلمين لا يزال باقياً مستقراً بين الشعب ، أى الشعب العربى فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية . وأنه ما دام الانتماء الحقيقى إلى الوطن لا يزال حتى اليوم - فى الوضع الحالى هو

---

(١) مورو بيرجر ، العالم العربى اليوم ، ترجمة محيى الدين محمد ، بيروت ، ص ٢٦

ذلك الانتماء الذى يُضفيه الإسلام ، فليس هناك ما يدعو إلى الدهشة إذا استمر الشعب - أى الشعب العربى الإسلامى - محتفظاً بالخصائص الأساسية لفكرة « الأمة الإسلامية » الشاملة ومُبدياً - على الأخص - تلاحماً عميقاً مع بقية المسلمين فى البلاد الأُخرى - أى غير العربية .

وهذا « الشعب » الذى لا يزال فى حقيقته جزءاً من الأُمة الاسلامية الشاملة والذى ينتمى إليها المسلمون الآخرون - أى غير العرب - ليس لديه ما يدعوه إلى أن ينفصل عن هذه الأسرة أو يفترق عن بقية المنتمين الى هذه الأمة ، والخلافات فى الرأى بين الشعوب الإسلامية - وبينها العربية - ليست إلا خلافات عارضة مؤقتة وثانوية » [1] .

أما رهان ما قبل الحرب وما بعدها - أى « الفكرة العربية » - فالمستعمر يعلم قبل غيره أنها ليست أكثر من جاسوسة حمقاء قبيحة أفرزتها خطيئة القرن الماضى ، من تلقيح ورى الأكباد وغل الصدور وبغضاء القلوب لشتّى الغزاة والجواسيس والزواقيل ، ودارت بها مذعورة تداريها فى خبء اللّيل فى أوكار كل عالَم العدو ... فى « سراديب الأديرة » و « بؤر التنصير » و « ملفات السفارات » و « محافل الماسون » و « وجيتو التلمود » .... أى أنها أوروبية الصياغة ، علمانية الهدف ، ملحدة النهج ، نصرانية المنبت - فقد كان ميلادها الوبىء فى فتنة الموارنة فى جبل لبنان عام ١٨٦٠ - صليبية الروّاد والأساتذة ، ماسونية الغرس ، يهودية التوجيه !! .

وكانت حضانتها فى « الكلية اليسوعية » و « جماعة سان لازار » و « إخوان الصداقة » و « الجزويت » و « كلية القديس يوسف » و « كلية يسوع » و « سان چوزيف » فى بيروت ودمشق وصيدا وزحلة . وروّج الماسون وطبعوا منشورات العروبية المضادة للفكرة الإسلامية .

---

(١) فلورى ومانتران ، نقلا عن د . محمود كامل ، الإسلام والعروبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص ١٧٨

وأما منشئو جمعيات هذه النبتة الخبيثة مثل « جمعية العهد » ، « العربية الفتاة » ، « الجمعية الإصلاحية » ، « الجمعية القحطانية » .... إلخ ، فما كانوا - وعلى حد تعبير أحد الماسون أنفسهم - « ليستطيعوا أن يواجهوا الرأى العام العربى بإعلان خروجهم على دولة الخلافة الإسلامية ... فقد كانوا يعلمون حق العلم أن العالَم العربى لم يكن ليرضى أن يخرج مسلم على دولة الخلافة ، وأن الذين يحاولون ذلك لا بد أن يبوءوا بالخسران ، وقد يدمغهم الناس بميسم الزيغ والكفران » [1] .

وكان إفراز هذه العروبية العميلة فى غايته النهائية « التمرد المؤامرة » فيما سُمِّى « بالثورة العربية الكبرى » !! - طابوراً خامساً استخدمه الإنجليز من وراء خطوط المجاهدين الأتراك ، وهم يدافعون عن الحجاز والشام وفلسطين - وقبضوا - حسب ما نشرته وثائق الخارجية البريطانية - أجرهم دراهم معدودات .

ويعلم المستعمر ، كذلك ، أن الجماهير العربية رافضة لهذا الطابور الخامس وتعاف أن يكون البديل عن الدولة العثمانية أعلام بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، وأن يحل « ملك النصارى » فى مكان « خليفة المسلمين » !!

ذلك أن العرب لم يعتبروا الدولة العثمانية دولة أجنبية بحال من الأحوال ، وقد تجلى ذلك فى قبولهم دولة الخلافة قبول طواعية واندماجهم فيها اندماج مواطنة فاعلة من منطلق الأخوة الإسلامية ومن صلب الإيمان وضروراته ، فهى دولة موَّحدة لا محتلة ، أصيلة لا دخيلة ، تُدافع عن بيضة الإسلام تحت زعامة « خليفة المسلمين » .

---

(١) محمد رفعت ، التوجه السياسى للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف - ص ٩٨

أما هذه الشرذمة العميلة التى علّق الإنجليز فى أذنيها زمة ليشهدوا لها بأنها « شريفة » ، وحفروا فى جبهتها وشماً ليخدعوا الناس بأنها « ثائرة » ، فإن الإنجليز - قبل غيرهم - يعلمون تماماً أن هذا الزيف - الشرف والثورة - المصنوع بالوشم أو الرسم ، لم يستطع أن يدارى دناءة خلقة الأصل والوصم !!

يذكر أمين شاكر وسعيد العريان ومحمد عطا فى كتابهم « تركيا والسياسة العربية » { اخترنا لك } أن « ما أُطلق عليه الثورة العربية لم تكن تُعبِّر عن الشعور العام للعرب . كانت مصر بعواطفها وصلواتها وبكل ما تملك من إمكانيات مادية محدودة فى ذلك الوقت - تحت الاحتلال والحماية الإنجليزية - مع تركيا المسلمة شعوراً بالرابطة الدينية ، بل إن عرب الشام والعراق والجزيرة كانوا يميلون بقلوبهم إلى تركيا ويتطوعون للحرب معها تغليباً لأخوّة الإسلام ، فبقوة العشائر العراقية المتطوعة انتصر العثمانيون على الإنجليز فى معركة « كوت العمارة » التى أُسر فيها القائد البريطانى العام « الجنرال لوتشند » وأركان حربه وأُسر نحو ثلاثين ألف جندى بريطانى ، وبالكتائب العربية استطاع الأتراك إفساد الهجوم البريطانى على الدردنيل والانتصار فى معركة « أنافورطة » ، وبالجنود الفلسطينيين والسوريين قاتَل الجيش العثمانى الإنجليز على ضفاف قناة السويس . ولما ارتد الجيش العثمانى منهزماً أمام جيوش الحلفاء فى الشام كان العرب يضعون الطعام فى أوعيته على أبواب بيوتهم ليتيحوا لإخوانهم المنهزمين وجبة ترد عليهم العافية وهم ينظرون إليهم من خصاص النوافذ آسفين محزونين » (ص ٩٠ - ٩١) .

ويعلم الإنجليز أن كثيرين من العرب مصريين وشوام ومغاربة وعراقيين ومن شبه الجزيرة العربية قد تطوّعوا للدفاع عن الأناضول التركى عشيّة انتهاء الحرب ووقوع تركيا فريسة للاحتلال ... أليست بلاد الإسلام واحدة ، والدفاع عن دار الاسلام فرض عين على الرغم من أنوف العملاء !!

حتى رجال الجيش الرسميون فى البلاد الخاضعة للسيطرة البريطانية قاتَلوا إلى جانب إخوانهم فى الدين ، ولم يضعوا فى حسابهم أن ينفذ فيهم حكم الإعدام رمياً بالرصاص ساعة القبض عليهم واتهامهم بالخيانة . لقد انضم رجال خفر السواحل المصريين إلى قوات الجيش الرابع التركى مع غيرهم من المتطوعين من باقى الأسلحة ، وإلى قوات السنوسيين فى هجومهم على الجيش البريطانى من الغرب ، حدث ذلك وهناك « سردار » إنجليزى للجيش المصرى - أى قائد عام - والضباط الإنجليز يسيطرون على جميع القوات المسلحة و « قصر الدوبارة » يحكم مصر ، والأحكام العرفية معلنة وكل شىء على أرض مصر ... مواصلات وأموال وغلال وغيرها مُسخَّر للحرب ... سخَّره البريطانيون المحتلون ضد تركيا .

إن ارتباط الجماهير العربية بدولة الخلافة العثمانية والتفافها حول رايتها الإسلامية لا ينكره حتى تلاميذ الغزو الفكرى القائلين بأُسطورة « الاستعمار التركى » !! وأنصار « الثورة العربية الكبرى » !! و « العروبية » العِلمانية الملحدة المضادة لحقيقة الأمة الإسلامية الواحدة ... ألقى اللّه على ألسنتهم - على التوائها - معجزة كلمة الحق ، صريحة ، دون وعى - بالطبع - وهم ينقلون ما ردده سادتهم الذين يدرسونهم على « المنهج العلمى » !! أحياناً ، فلنطل على هذه « الثورة العربية الكبرى » !! من خلال شهادة أهلها وعشاقها ... السدنة والكهنة والصبية ... نطل عليها وهم يطرحونها فى عرى صريح ، دون وازع من ضمير عائلى يعيب كشف العورات !! وبلا حمية قبلية « قومية !! » تغار على عِرضها المفضوح !!

فى كتابه « محاضرات فى نشوء الفكرة القومية » يقول كاهن العروبية « ساطع الحصرى » : « كان العرب المسلمون ينظرون إلى « التاريخ

الإسلامى » نظرة إسلامية خالصة ... فتاريخهم ليس تاريخ القوم العرب ، وإنما تنحصر المفاخر والأمجاد فيما دوّنه تاريخ الإسلام ، وعلى ذلك اعتبروا العثمانيين امتداداً طبيعياً « للخلافة الإسلامية » التى تسلسلت من « الراشدين » إلى « الأمويين » و « العباسيين » « فالعثمانيين » ، ولهذا السبب ما كان يرسم فى أذهان هؤلاء صورة تاريخ يستحق التسمية باسم تاريخ الأمة العربية كما أن التاريخ العثمانى ما كان يظهر لهم إلا بمظهر تتمة للتاريخ الإسلامى العام » .

(ص ١٧٩)

ويتحدث « البعثى القومى » العلمانى « عبد الله الريماوى » فى كتابه المسمى « المنطق الثورى للحركة العربية الحديثة » { دار المعرفة ١٩٦١ ص ٢١٥ } - فيقول بالنص : « ... كان للخليفة العثمانى ولاء فى بعض أجزاء الوطن العربى ، وعلى الأخص فى مصر وأقطار المغرب العربى التى كانت تتطلع نحو الخلافة العثمانية لمساعدتها فى نضالها ضد الإنكليز والفرنسيين » .

ويعترف « الدكتور جلال يحيى » فى كتابه « الثورة العربية » { دار المعرفة } بالموقف الطبيعى للعالمَ الإسلامى تجاه دولة الخلافة وإزاء ما سُمِّى بـ « الثورة العربية » ، فيقول :

« كانت آراء الجامعة الإسلامية تلقى قبولاً وتأييداً قلبياً من كل المسلمين .. كانت أكبر دليل على تقارب التفكير والشعور والوجدان بين شعوبها رغم اختلاف لغاتهم » (ص ١٢٥ - ١٢٦) .

« وكان « السنوسى » على صلات وثيقة مع تركيا ، وكان السنوسى على صلات أُخرى مع سلطان « دارفور » فى غرب السودان . ولم يكن فى استطاعة السنوسى إلا أن ينضم للأتراك الذين ساعدوا بلاده فى حربها ضد المحتل الأجنبى » (ص ١٢٨) .

« صدر بيان من « هيئة العلماء » يقضى بضرورة الجهاد والالتفاف حول الخلافة والدفاع عن البلاد الإسلامية ، وصلت هذه المطبوعات إلى مصر والسودان والهند وإيران وأفغانستان ، وشارك فى كتابتها كثير من المسلمين بل ومن العرب والمصريين أنفسهم مثل محمد فريد (عجيب !! كأن العرب والمصريين ليسوا مسلمين !!) وتلا ذلك حركة من الرجال الوطنيين الذين آمنوا بضرورة اتحاد العالم الإسلامى لمواجهة الخطر الأجنبى فانتشروا فى كل الأقاليم الإسلامية » (ص ١٣٣ - ١٣٤) .

« كان معظم الهنود المسلمين يدينون بالطاعة والولاء للخلافة الإسلامية ، وأصبح المسلمون الهنود من المعادين لفكرة الثورة العربية واعتبروها ثورة على سلطة الإسلام وخطراً يهدد وحدته ... كان كل من السلطان « دينار » سلطان « دارفور » فى غرب السودان و « السنوسى » من أنصار الفكرة الإسلامية » .

(ص ١٧٥)

وأدانت محكمة عالية - باعتراف أساتذة العروبية - قادتهم بحق ، بالخيانة العظمى . حيث فضحتهم صور المخابرات بين السفارة الفرنسية فى الآستانة ، وبلاغات وزراة الخارجية الفرنسية ، والتقارير المقدمة إليها - والتى جرت فى السفارة أو القنصلية - عن صور المحادثات والتعليمات والخطط التى يجب أن يُنفذها « قادة الثورة العربية » عند مقابلة المواطنين العرب !! . وكانت تلك الوثائق الفاضحة هى التى استند اليها « ديوان الحرب العرفى » يوم أدان العملاء .

وقد سبق ذلك - ومن قبل دخول تركيا الحرب بحوالى تسعة شهور - اتصالات بين « الحسين بن على » وولديه « عبد الله » و « فيصل » ، وبين الحكومة البريطانية والمندوب السامى البريطانى فى مصر - فيما يعلمه حتى

تلاميذ المدارس - لتنظيم « التمرد المؤامرة » ... وبخصوص إبعاد المناطق التى كانت فرنسا تضع عينها عليها من الدولة العربية التى وُعِدَ بها المتآمرون !!

لقد كان موقف كل المسلمين عرباً وغير عرب ، سُنّة وشيعة ، مع دولة الخلافة الإسلامية .

ولقد أبلى « الشيعة » البلاء الحسن ، وكانت ثورتهم الإسلامية فى مواجهة جيش الاحتلال الإنجليزى الذى جاء ليحل محل الأشقاء الأتراك المسلمين « السُنّة » أكبر دليل على وحدة « الهوية الإسلامية » . ونُحى الجدال حول مَن أحق بالخلافة ، « أبو بكر » أم « علىّ » .... ؟ عن « الفاضل » و « المفضول » ... عن الإمامة إن كانت من صلب العقيدة تورث فى « إثنى عشر إماماً » من « بيت النبوة » ، أم عن طريق « الاختيار » فى اجتماع « أهل العقد والحل » .... نُحيِّت جانباً ليحل محلها القاسم المشترك الأعظم فى مواجهة من يكرهون « علياً » و « أبا بكر » معاً .... من أتوا لحرب المسلمين كمسلمين فى ديار الإسلام الواحدة .

ويصف « أمين الريحانى » . فى كتابه « ملوك العرب » ثورة إخوتنا الشيعة فى العراق ضد الإنجليز الذين جاءوا ليحلوا محل الدولة العثمانية ، فيقول :

« جاءت الكلمة من العلماء ، وفى مقدمتهم كبير المجتهدين فى « النجف» ، فقامت العشائر ترددها وتعمل بها ، فأرسلت روح التمرد فى البلاد سمومها ، فالتهمت الأخضر واليابس فى المضارب وفى المدن ، وعمد الوكلاء السياسيون لبريطانيا إلى البرق والمسرّة يطلبون النجدات من البصرة ومن العاصمة ، إنه لأعجب ما حدث فى العراق بعد الاحتلال الإنكليزى ، ها هو ذا بلد لا صحافة فيه تُذكر ، ولا طرق مواصلات حديثة صالحة ، ولا زعامة ظاهرة ولا قيادة ، تعمه الثورة فتربط أطرافه بعضها ببعض فى أقل من شهر ، ثم تستمر أشهراً

وهى تزداد قوةً وهولاً ، حتى إن العاصمة بغداد كادت تسقط فى حوزة الثائرين.... قد أنفقت الحكومة البريطانية ملايين من « اللّيرات » وجاءت بألوف من الجنود لإخمادها ، وكانت خسارة العراق كذلك كثيرة فادحة . هى ثورة شبيهة بزلزال هائل ، لا بحادث اجتماعى شاذ ، يدبره مع ذلك العقل والحكمة ... وعلى الرغم من الطائرات قد حاصر الثائرون كثيرين من الضباط والوكلاء السياسيين وهم فى مراكزهم يدافعون عنها إلى أن تجيئهم النجدة أو يُقتلوا ... استمرت الثورة سبعة أشهر ، والعرب فيها فائزون على الرغم من المعاقل المشيدة ، و « المفاتيل » المهدومة »[1] .

والأصيل هنا ، أن موقف كل الجماهير العربية على امتداد رقعة الأرض التى تقطنها قد حدث رغم أن « حكومة الآستانة » التى دخلت الحرب كانت من « اليهود والدونمة والماسون » ، ورغم سياسة « التتريك » التى اتبعتها ... لكن الجماهير العربية المسلمة كانت تُفرِّق بين مقاومة الاعوجاج داخل دولتها الواحدة وبين العمالة للغازى الأصيل .... كانت تدرك أن هناك مواقف فى حياة الأمم ينبغى أن يتجمع فيها الكل حول الراية الواحدة التي تربط العقد الجامع ... وكان إسلامهم يفرض عليهم أن يقاتلوا تحت راية الخلافة الإسلامية .

. . . . . .

ويعى المستعمر تماماً صرخة « آبائه الروحيين » فى « مؤتمر التبشير الدولى » المنعقد فى القاهرة فى يونية ١٩١٠ :

« إن مشكلة الإسلام مسألة لا يمكن أن نتغافلها ببساطة ...

أولا : لأن الإسلام على أبوابنا ، فمن أقصى الساحل الشمالى الإفريقى

---

(١) أمين الريحانى ، ملوك العرب - الثورة فى العراق ، نقلا عن : فصول مختارة من كتب التاريخ ، ص ٢٧١ - ٢٧٦

يواجه أوروبا ، إنه فعلاً يلمسها . ويمكن القول إنه يمسكها عملياً من طرفى البحر المتوسط عند أعمدة هرقل وعند القسطنطينية .

وثانياً : لأنه مشكلة أساسية مركزية ، فكروا فى تلك الكتلة المركزية الهائلة لعالَم الإسلام الصلب من شمال إفريقيا إلى غرب ووسط آسيا .. إنه « كإسفين » ثابت يحجب « الغرب المسيحى » عن « الشرق الوثنى » .. وأُريدكم أن تدركوا أيها الآباء والإخوة أنه حتى لو حُلت مشاكلنا مع « يابانيينا وكورييننا وصينييننا ومنشورييننا وهنودنا » !! ولو واجهنا الأزمات الحالية فى سعادة وتغلبنا عليها وأضفنا « شرقاً أقصى » مسيحياً إلى « الكنيسة » فإن ذلك الوتد (الخازوق) - أى الاسلام - الغريب عنا والمعادى لنا غير المنسجم أو المتعاطف - سيقطع العالَم النصرانى ، الشرقى والغربى ، كليَّة ، إلى نصفين ، فاصلاً الاثنين ، عازلهما عن بعضهما ، مُظهراً للرب وللإنسان ليس « فتقاً » فحسب ، بل « صدعاً » من القمة إلى القاع فى « ثوب » الكنيسة العظيم .. بل فى ثوب الإنسانية ككل ، التى لولا الإسلام لانتصر المسيح عليها ... فحقاً - لذلك - يجب ألا نؤجل مشكلة الإسلام .... إنها مشكلة اليوم كما رأينا ... فليكن اليوم - على هذا - هو يوم « الحل والخلاص » [1] !!

. . . . . .

(١) W.H.T. Gairdner , The world Missionary Conference Missions and Government, Edinburgh, 1910 . P. 253.

reaping most of the harvest sown by the Ethiopianism of to-day.

This rapid preliminary survey assures us, then, that even from the view-point of a modern movement, the Mohammedan problem is practically co-extensive with the whole world of Islam. And may I not, in this great Conference, make yet one more preliminary remark This problem of Islam is one which we simply cannot overlook—not even in the face of the indescribably urgent situations facing us in the Far East. And this, first, because Islam is at our doors, from the far-flung North African coast it fronts Europe, actually touching it, so to speak, at either end of the Mediterranean,—at the Pillars of Hercules and at Constantinople. And secondly, because it is a central problem also. Think of that enormous central block of solid Mohammedanism from Northern Africa into Western and Central Asia! Like an immovable wedge, it keeps the Christian West from the pagan or heathen East; and I would have you recollect, Fathers and Brethren, that even were our Japanese, our Korean and Manchurian, our Chinese, our Indian problems solved, their present crises happily met and surmounted, and a Christian Far East added to the Catholic Church, that great central unsympathetic, alien, and hostile wedge would cut Eastern and Western Christendom absolutely in half, keeping the twain apart, insulating them from each other, and exhibiting to God and man not merely a seam, but a rent, from top to bottom, in the seamless robe of the great Catholic Church,—of a humanity wholly, but for Islam, won for Christ. Truly, then, we cannot postpone the problem of Islam. It is a problem of to-day, as we have seen. Let the same "to-day," then, be the day of solution and salvation.

My task and privilege then this evening is to seek to unfold to you, representatives of the Church militant in all the earth, the situation as it is to-day, in view of the modern or modernist movements within Islam; our object being unitedly to take measures, to the utmost extent of the resources at our disposal, by which the situation thus realised may be met. And this last sentence reminds us that "the resources at our disposal" is a phrase capable of two interpretations, and that

جزء من خطاب المبشر « و . هـ . ت . جايردنر » فى مؤتمر التبشير الدولى المنعقد بالقاهرة - يونية ١٩١٠ .... خاص بمشكلة الإسلام كخطر يُهدد الغرب الاستعمارى ويحجب الشرق الوثنى عن الغرب الصليبى المهتدى بـ « يسوع المسيح » ..

كيف يحل المستعمر هذه المعادلة الصعبة ! ؟ كيف يتعامل مع المشكلة - الإسلام - بكل أبعادها ! ؟

فليس أمامه إلا التعامل مع الإسلام ، وأن يوليه كل اهتمام كما حذّره آباؤه الروحيون ، وكما نصحه مستشرقوه ، وكما ترى سلطته ممثلة فى قادة الجيوش والمندوبين الساميين !!

ليس أمامه إلا التعامل مع الإسلام :

لأن آخر مبتكراته - عروبيته بنشأتها الوبيئة ، وإفرازها « التمرد المؤامرة » فى عورته المفضوحة - قد أدت دورها ولم يعد لها الآن مكان فى المنطقة العربية الموزعة بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا .

وحتى لو صلحت هذه العروبية عقائدياً وقبلتها الجماهير العربية (ويبقى هذا فرضاً جدلياً) فكيف يمكن فرضها - أيديولوچياً وسياسياً - كعامل توحيد على منطقة بأسرها ، قد فرض عليها المستعمرون المتنوعون التجزئة والتقسيم ! ؟ وكل من أخذ « قطعة » منهم له مصالح ومناطق نفوذ وجيوش محتلة وإمبراطوريات !!

ثم إن هذه العروبية - من يدرى ؟ - قد تغتسل من « حَدَثها الأكبر » وتتخلص من أدرانها - بدخول عناصر جديدة فى إطارها - وقد تؤدى إلى وضع لا تُحمد عقباه !!

والوضع الذى لا تُحمد عقباه ليس إلا الإسلام ذاته !!

فكيف يكون التعامل ؟

أهو بضرب الإسلام ذاته ومحوه ! ؟

لن يستطيع !!

جيوشه المهزومة فى الحروب الصليبية الرسمية وغير الرسمية أكدت له استحالة الهدف وخطأ التصور !!

إذن فليجرب : « الحد من دعاواه المتسعة وسيطرته على الجموع » !!

والحد من دعاوى الإسلام المتسعة وسيطرته على الجموع ، لن يكون إلا « بتنحيته » عن مواقع القيادة السياسية والفكرية والإعلامية والصحافية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية !!

ولن يتأتى ذلك إلا بإحلال « معطيات الماسونية » الأساسية وأهمها « فصل الدين عن الدولة » وعن الفاعلية فى المجتمع بعامة ، ثم تروح الماسونية تملأ الفراغ !! (هذا افتراض ماسونى استعمارى كذّبه الواقع وتطورات الأحداث) بحكايات عن الخيرية والإخاء والمساواة والتعاون الدولى والسلام ... إلى آخر هذه المعزوفة المضلّلة . لأنه ليس غير « الماسونية » إلا « النصرانية » ... دين المستعمر !! وهى لا تصلح أن تكون البديل ...

« الماسونية » هى التى تستطيع أن تقوم بدور « علمانية » الفكر والسلوك والتوجهات ، فى الحكم والسياسة والتربية والتعليم والثقافة والاجتماع وما يَراد له أن يُبَث ويُذاع ويُنشر للناس .

و « الماسونية » ، قبل ذلك وبعده ، هى التى تسيطر فكراً وحركة وغاية على المستعمر ذاته ، منذ وضعت أوروبا « تحت السرج » ، وهى حتى إن أبقت له على نصرانيته من ناحية الشكل - فحسب - فقد تركتها له قشرة هشة ، لا تخفى تحتها إلا حقد صليبية القرون .

و « الماسونية » - فوق ذلك - تريد تأمين وصول « رأس الأفعى » إلى « صهيون » ، فلها فى ركوب الاستعمار نفسه وتوجيهه مصلحة رئيسية ، على التحقيق .

وابتداءً يجب ترتيب الأوضاع فى داخل « المستعمرة » أو « المحمية » أو « المستقلة المتعاهدة » !!

فلِمَنْ تُسلَّم « مفاتيح القلعة » ؟

لمن تكون سدة القيادة السياسية عندما يحين ميعاد التسليم بالاستقلال الشكلى ؟

ليس أمامه من خيار ؟! يُسلّمها لزعامات « علمانية » أى « لا دينية » قد دربها أصلاً على القيام بدورها المرتقب فى مواجهة المقاومة العنيدة من جانب الشعوب المسلّمة للاستعمار والتبعية والتغريب ... يُسلّمها لتلاميذه الذين « ربّاهم » على عينه منذ كانوا « ولداناً » !!

فلا بأس إذن - والاستعمار واثق باحتمال الاستقلال - أن تُسلّم بريطانيا أو فرنسا بشىء يُسمى الاستقلال تلقيه بحساب ويلقفه منها « صنائع » أو « مجاهدون » أو « ثوار » لا يستطيعون أن يمدوا البصر أبعد من « الموصل » أو « سيناء » أو « قرطاج » !!

فما دام الغازى الغربى قد ضمن ولاء « المتغربين » الفكرى ، وأنهم ليسوا ضد أوروبا عقلاً وضميراً ومشاعر ، فما حاجته أن يكون « حاكماً عاماً » أو « مندوباً سامياً » يرفع علم « ڤيكتوريا » أو « چورچ » أو « إدوارد » أو « الجمهورية الثالثة » أو « الرابعة » أو « الخامسة » على « المحمية » أو « المستعمرة » !! ؟ يكفيه أن يكون « سفيراً » صديقاً !! فى « دولة متحالفة » أو « مستقلة » على ذوقه !

إنه لمطمئن أن « الصبية » عندما يحين تسليم « المفاتيح » سيرفعون على « القلعة » - وكما فعلوا بها بالضبط فيما بعد - « راية علمانية » ... تشطر الهويّة نصفين ، « ناسوتى » ويتبع « العميل » ، و « لاهوتى » وله « ملكوت السماء » !!

و« الماسونية » هى التى تستطيع أن تُدرّب « وسطاء الهزيمة » ، « بدائل الغزو » ، بعد هذا التحديد المريب ، لكى يُعمّقوا « الهوّة » بين شطرى « الهويّة » ويضعوا « قواعد » للسلوك لكل من القسمين فى « فصام » نكد زنيم !!

ولئن كان « كبرياء » المستعمر قد جعله فى بعض الأحيان « يتمسك » بالمشروعية ، فقد ترك « لمخلفاته » من نتانات عهود العهر - المتسربلين برداء الماسونية - أن تقوم بالدور الذى نَزَّه المستعمر نفسه أن يهبطَ إلى دركه الأثيم !!

فمَنْ غير الماسون أو تلاميذهم أو الراضعين من أفكارهم يستطيع أن يكيل الضربات الوحشية لطلائع البعث الإسلامى ، ويخطف الناس ويدفنهم أحياءً مضرجين بدماء التعذيب الرهيب ، حظراً لما قد يُشتَم منه حركة إسلامية ، لمجرد شبهة أو وشاية أو تقرير ! ؟

وصُنعَ الزعماء والقادة ، ونشأت الأحزاب فى « المنفى » أو سكرتارية القسم الشرقى لدور الحماية والمندوبيات السامية أو فى « المحافل الماسونية » : « كوكب الشرق » ، « الشرق الأعظم » ، « المحفل الأكبر » ، « الشرق الكبير » ، « محفل الإصلاح » ، « محفل الزهرة » ، « محفل الاعتدال والسلامة » ، « الهلال الخصيب » .. أو فى رحاب « الكلية الإنجيلية السورية » أو من تحت قلنسوة مبشر الجامعة الإنجليزى « كريستوفر سكيف » أو المبشر الفرنسى « لويس ماسنيون » على قرع أجراس « كنيسة سان سوبليس » !!

ولا بأس من أن يكون هناك قتال على كرسى الحكم « العميل » أو « المحمى » أو « الصديق » ... الحكم المحدد الغاية الملقن الطريق ... وأن يكون هناك صراع على تمثيل الأدوار المرحلية وتنفيذ النصيب « الوطنى » !! المتروك للأدوات المحلية من الخطة المرسومة من وراء الحدود .

و« الماسونية » هى التى تقود « الأنظمة » للدوران فى الحلقة المفرغة ضمن الدائرة الجهنمية فى إطار طاحونة المعارك الكلامية أو الحروب الدموية المتصارعة على تعريف الهوِّية الوطنية أو القومية أو الأممية فى محاولة لا نهائية لاكتشاف (من نحن ؟) وكأننا قد وُلِدنا من جديد !!

و« الماسونية » هى التى تفرز من صديد الأفعى « الأيديولوچيات » المقترحة

« وطنية فرعونية » ، « قومية سورية » ، « قومية آشورية » ، « قومية فينيقية » ، « قومية عربية » ، « مغرب كبير » ، « وحدة ثُنائية » ، « وحدة ثُلاثية » ، « أممية بروليتارية » ، « ديمقراطية لبرالية » ، « ديمقراطية فابية » ، « اشتراكية علمية » ... وهى - الماسونية - التى تدلهم - تحت غطاء من الكشوف الحضارية - للبحث فى الأطلال والنبش فى الخرائب والرموث الغابرة لاستلهام ماض وطنى أو قومى كموطن فخر يُخصَّص لكل إقليم أو منطقة من قطع التجزئة ، ومعه عَلَمٌ ونشيد ... المهم استبعاد منهاج الإسلام !!

ومن الضرورة البالغة أن يجتهد « المفكرون » !! فى تحديد خاصية « ثقافة الشعب » سواء تاهت فى البحر المتوسط أو انسربت إلى البحر الأسود أو استندت إلى ذى قار أو حتى ماتت فى صهيون ... المهم ألا يكون هناك فكر تحت راية القرآن !!

وليأذن لى القارىء الكريم أن أصطحبه فى سياحة قصيرة ، نتجوَّل فيها معاً ، فى أقاليم المنطقة العربية التى أسرها الاستعمار من دولة الخلافة ، سواء قبل الحرب العالمية الأولى أو بعدها ، لنرى معاً بعض الحالات التى نشأت فى حضانة « الماسونية » ، من زعماء وأحزاب ووزراء ومفكرين !!

. . . . . .

يهتك المفكر الكبير « مالك بن نبى » فى كتابه « الطالب » الستر عن مخاض « الحزب الوطنى الجزائرى » الذى أسَّسه « مصالى الحاج » ، وميلاده المشبوه فى « المحفل الماسونى الفرنسى » ، فيقول :

« لقد اتفق الرأى على أن تكون أول مظاهرات الحزب الوطنى فى صورة مهرجان يُقام فى إحدى قاعات العمارة الكبرى التى تشغلها منظمة الماسونية الفرنسية « الشرق الكبير » (Le Grand Orient) كُتِبَ للحزب الوطنى أن يكون مهده فى هذا المقر ... والآن بعد أربعين سنة - وقد علَّمتنى الحياة ما علَّمتنى - يجب أن أقول إن أمراً كهذا يتركنى محتاراً » !!

● ومن الجزائر إلى تونس ، ومن كاميرا الفيلسوف المسلم « مالك بن نبى » أيضاً ، ننقل هذه الصورة التى تُوضّح كيفية إعداد « بورقيبة » - عضو المحفل الماسونى الفرنسى « الشرق الكبير » منذ كان طالباً يدرس فى باريس - كزعيم ، ولحزبه كمؤسسة تتولى توجيه البلاد على أسس من اللادينية والتغريب : « فحدث على إثر عودة الطلبة التونسيين ارتفاع فى درجة الإضراب السياسى بتونس كانت نتيجة أن الشيخ « الثعالبى » احتفظ بقيادة « حزب الدستور » من « محيى الدين القليبى » - رحمه الله - وانضم لهما الدكتور « بن ميلاد » وتولى « بورقيبة » مع « صالح بن يوسف » أمر جناح من الحركة الوطنية سيتم تشكيله تحت اسم « الدستور الجديد » .

ماذا كانت الجهات العليا بباريس تفكر ؟

إنها كانت دون شك لا تريد خيراً للجميع . ولكننا إذا تبصرنا نحن في الأمر بإمعان نرى أن الاستعمار لو خُيِّر في تلك اللحظة لفضّل الجناح الجديد كما ستؤكد ذلك الأيام له ولنا بعد ثلاثين سنة . يجب علينا أن نتصور الاستعمار كما هو أي كعقلية علمية مطبقة في المجال السياسي بحيث لا يمكنه طبقاً لتفكيره الديكارتي أن يلغي من حسابه مبدئياً احتمال الاستقلال .

إن الاستعمار لواثق تجاه هذا الاحتمال ولمواجهته في الوقت اللازم مما بيده من وسائل الضغط والقمع ويدل على خبرته في استعمال تلك الوسائل أيام « كاب بون » المشئومة والمشهورة .

ولكن إذا احتُمِل بعد كل ضغط وكل قمع أن يتحقق الاستقلال تُرى لمن تُسلَّم على الأفضل مفاتيح « القلعة » ؟

أمن الأليق بالنسبة لمصالحه العُليا أن يُسلّمها إلى « بورقيبة » ، أم إلى « الشيخ الثعالبي » ؟

هذا هو كل السؤال .

فمن الواضح لمن يطرحه أن الثعالبي سيرفع على القلعة « راية الإسلام » أو ما يشابهها ، بينما الآخر سيجعل منها ما فعل بها بالضبط : « قلعة علمانية » .
إذن لم يبق أي تردد في الأمر لدى الجهات الباريسية تجاه احتمال الاستقلال :

يجب أن « تُسلَّم المفاتيح » إلى « الحزب العلماني » .. إذن آن الأوان » .
(الطالب ص ١٨٨ - ١٨٩)

وآن الأوان فعلاً بعد ربع قرن من الدُربة والإعداد .... ما أصبر مهندسو اللُعبة !!

ولستُ في حاجة إلى تعليق أو توضيح أو إضافة ..... فقصة تونس مع « المجاهد الأكبر !! » مرئية لعامة من لا تُخطيء عيونهم تقدير الأبعاد .

* * *

● ومن تونس إلى الجزائر مرة أُخرى ...

قد يُصنع « الصنم » أو يُبني « الزعيم » في أحداث تبدو أول الأمر طبيعية ، لظروف الحَدث ، وطبيعة الفعل ورد الفعل ، وهوِّية الجماهير بانتمائها العقائدي ، وتوقع تفاعلها التلقائي مع الحَدث والظرف ...

ثم ، ودون معاناة في التحليل والربط ، يُهتك الستر ويُكشف السر عن دور « البطل » المصنوع .... بل وعن الحَدث نفسه ، الذي يتبين أنه افتُعل من أجله ليركب موجته ، ويُدشَّن في خِضَم الفتنة أو الثورة « صنماً » قد استوى على قاعدته !!

و« اللقطة » من عام ١٩٣٤ ومن كاميرا « مالك بن نبي » ، وعن الماسوني « فرحات عباس » : « حتى فار التنور ، يوم حدَّثتْ يهودي نفسه أن يبول في صحن ذلك المسجد الصغير بحي الجزّارين حيث يُصلّي صغار التجار في ذلك الحي فانطلقت الصرخة :

- إن اليهود يتعدون على حُرمة مساجدنا ، فكان الصَول والجَول والهَول .

وانفجر الوضع وشرع في تهدئته دون جدوى بعض الأحبار من طرف اليهود وبعض المشايخ من بينهم الشيخ « بن باديس » من طرف المسلمين .

تقرر أن يُعقد اجتماع آخر بملعب المدينة ليحضره الشعب ومن أجل تحديد صورة تعايش بين المسلمين واليهود ، فحضرت في الغد الحشود وإذا بخبر - سيُعزى فيما بعد للعنصر الأوروبي - يُدَس بين الصفوف : إن رئيس اتحادية النواب قد قُتِل .

فانطلقت صرخة : مَن قتله ؟

- اليهود !!

لم يشعر أحد أن هذه الصرخات كانت الكلمات الأُولى لأُسطورة سيكتبها الاستعمار على حساب الشعب الجزائري بدمائه الذكية أحياناً : اليهود قتلوا الزعيم !!

إنما تعني هذه الكلماتِ في منطق الصراع الفكرى ومكره : اعبدوا الزعيم ! قدِّسوا الصنم !

فانقطع الاجتماع ، ولم يبق أحد يصغي لأحد ، ومال الجمهور نحو المدينة ، وتدفق سيله على حي اليهود وعلى المخازن الكبرى التى يمتلكونها فى الأحياء الأُخرى وهى مغلقة ذلك الأحد .

وحدث الأمر المُذهل قبل أن يستطيع الجيش التدخل ، وقبل أن يرتد لليهودى بصره انتهى الأمر فى خمس عشرة دقيقة .

رُفِعت ستائر الحديد من أبواب المخازن الكبرى ، وفُرِشت الشوارع بما فيها من غال وثمين في دقائق وجيزة .

وتخلل هذا مواقف أُسطورية . مثلاً عندما يرى رئيس الشرطة الفرنسي هؤلاء الجماعة من باعة البيض والبقول قد كسروا خزانة أكبر مخزن يهودي كأنها من الكرتون ويأخذون ما فيها من أموال طائلة ويحرقونها أمامه .

وربما كانت السلطات الاستعمارية مغتاظة أكبر اغتياظها من أن أحداً من هؤلاء الفقراء المسلمين لم يدنس يديه بالسرقة ذلك اليوم .

كان يوم الخامس من أوت (آب) ١٩٣٤

وبقيت المدينة تموج في الغد والأيام التالية من الأسبوع بأحداث كان لأحدها أسوأ أثر في الحياة السياسية الجزائرية المقبلة . حدث أثناء الأسبوع أن الزعيم رئيس اتحادية النواب ناول رئيس الشرطة ضربة رأس ... مثل ذلك العملاق الذي كان بجنب السيدة حرم مصالي حاج يوم تدشين حركة « نجم الشمال الإفريقي » بباريس .

وكانت الضربة التي صعد بها نجم الزعيم في السماء وانتشر صيته في الآفاق ، وقلّما تلد الأحداث الكبرى « فأراً » ، لكنها ولدت فأراً في تلك الظروف وبدأ يعبث على الفور . إذ عندما وصل من السيد الأمين الحسيني مبلغاً لمناصرة منكوبي قسطنطينة من المسلمين ، لم ير الفأر بُدّاً من إرجاع ذلك المبلغ كي لا يظهر للسلطات الاستعمارية تواطؤ ما يُشتّم منه رائحة الحركة الإسلامية .

وهكذا بدأ الوطن يخرج رويداً رويداً من جادته إلى مسارب الديماجوجية »[1] .

وهكذا يستوي الصنم « فرحات عباس » على قاعدة ، وتتأكد في حادثة « التبول » زعامته !!

وكانت كل مؤهلات « سبكه » إشاعة مدبرة عن مقتله ، وضربة رأس - مرتبة - ناولها لرئيس الشرطة . وأما النار المقدسة التي سُوِيَ عليها قبل صبه في قالب الزعامة فكانت ثورة الجماهير المسلمة دفاعاً عن مقدساتها في مواجهة الفتنة اليهودية !!

وبعد ذلك ، وعلى الفور ، تعلن « وطنية الفئران » عن دورها وتتحرك في إطار « الخط » المرسوم لمسارها !! :

---

(٦) مالك بن نبي « الطالب - مذكرات شاهد القرن » ص ١٦٦ - ١٦٧

الابتعاد عما يُشتَّم منه « حركة إسلامية » أو حتى مجرد تضامن إسلامي في أبسط صوره ، وإن كانت مساعدة مالية للمنكوبين تقدم مثلها - وربما أكثر - الجمعيات الخيرية العلمانية ، بل والصليب الأحمر نفسه !!

لكن « الفأر » يرفضها ، ليس لأنها نجدة إسعافية ، تعارَف الناس - كل الناس - عليها ، لكن لأنها من يد مسلمة !!

والأهم ، أن تعلن « الزعامة الفأرية » عن هوِّيتها ، ليصبح الصنم صائداً ماكراً ، تقع في شراكه الفريسة التي يُراد إعدادها « صفاً ثانياً » من قصيري النظر وأقزام التبعية ، وممن ملأت خوائهم الداخلي « القابلية للاستعمار » .

يقول مالك بن نبي : « وكتب فرحات عباس مقالاً في جريدة « اتحادية النواب » : « أنا فرنسا » !!

هكذا في عرى صريح !!

أي « أنا فرنسا » الفكر والذوق والوجدان والتوجيهات .

« أنا فرنسا » الانتماء !!

وبديهي ألا يتكلم هذا الزعيم ، رئيس اتحادية النواب ، إلى الشعب الجزائري ، بلغته ولغة آبائه ، أي العربية .

« إلا يوم دقَّت ساعة المزاحمة الانتخابية والمزايدة الديماجوجية ، بعد الحرب العالَمية الثانية » كما يقول مالك بن نبي .

ومن « اتحادية النواب » التي أنشأها عام ١٩٣٠ تطوَّر فرحات عباس فكوَّن حزباً سياسياً أسماه « الاتحاد الشعبي الجزائري » عام ١٩٣٨ . وكانت كل طموحاته زيادة عدد نواب « إقليم الجزائر الفرنسي » في الجمعية الوطنية الفرنسية !!

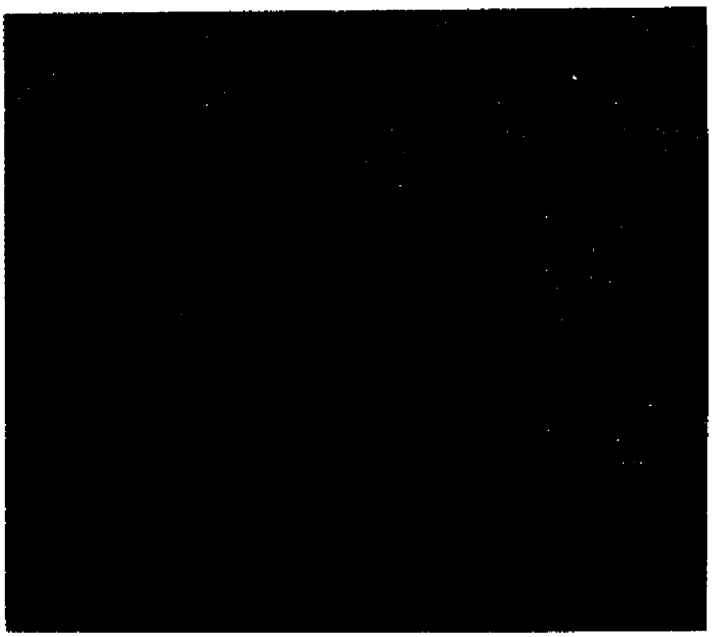

القارىء والمقروء !! .. فرحات عباس ، وبيده كتاب عن بورقيبة .. النهج ، والطريق ، والمحافل الماسونية أيضاً !!

وإضافة إلى « الاتحاد الشعبي الجزائري » كوّن جماعة أطلق عليها « أصدقاء وثيقة مطالب الشعب الجزائري » في ١٠ فبراير ١٩٤٣

وفي ٨ مايو ١٩٤٥ حدثت المظاهرات الدامية في الجزائر ، وأمطر الطرّاد « ديجواى - تروان » مدينتي « خظاته » و « أبلا » بقنابله الثقيلة . وقامت قوات الجيش بالحملات التأديبية ، وشنق الوطنيون المسلمون ، وأعطى المستوطنون الفرنسين أنفسهم حق محاكمة الوطنيين وإعدامهم ، وبلغ عدد القتلى أربعين ألف قتيل ، وقُبِضَ على نحو ٤٦٥ . ، وحكمت المحاكم العسكرية على ١٣٠٠ شخص منهم ٦٩ أعدموا و ٦٤ حُكِمَ عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة و٣٢٩ بالأشغال الشاقة المؤقتة .

وقُبِضَ على فرحات عباس واتُهم بالتحريض على المظاهرات الدامية !! وأُلغيت جماعة أصدقاء الوثيقة !! ثم يفرج عن فرحات عباس في أقل من أربعة شهور (هكذا !!) .

مداعبة خفيفة !!

وكأن الدماء المسلمة التي سالت ، والأرواح الطيبة التي أُزهقت ، والآلاف الذين اعتُقلوا أو سُجنوا كانت مجرد « ديكور » وخلفية (Background) لتأكيد زعامة (الفأر) !!

ويخرج فرحات عباس سليماً معافي !! وينشيء حزباً جديداً هو « الاتحاد الديقراطي لوثيقة المطالب الجزائرية » وكل أهدافه الحصول على بضعة مقاعد في الجمعية الجزائرية الخاضعة لإشراف وزير الداخلية الفرنسي !!

وتشتعل الثورة الجزائرية في نوفمبر ١٩٥٤ ...

والعجيب بعد ذلك أن يتولى فرحات عباس رئاسة الحكومة الجزائرية عام ١٩٥٨ على جثث المليون شهيد !!

ليقود أو يشارك في قيادة ، أو يتحدث باسم المجاهدين المسلمين ، الذين ما

حركهم إلى الثورة إلا الحركة الإسلامية بقيادة « عبد الحميد بن باديس » ومن بعده « البشير الإبراهيمي » .

ولم يعرف الثوار الجزائريون أنفسهم إلا أنهم « مسلمون » ، ولم تعرفهم فرنسا أو تُعرِّفهم للعالَم الصليبي - ودماؤهم الزكية على جبال الأوراس ترسم شارة الإسلام - إلا أنهم « المسلمون » .

لقد كانت الحركة الإسلامية - وليست الأحزاب العلمانية العميلة - هى التي استخلصت « الذات » الجزائرية من « مغارة » المعدة الفرنسية التي أوشكت على هضم كل مقوِّمات الوجود الجزائري على مدى مائة واثنين وثلاثين عاماً .

كانت « جبهة العلماء » منذ نشأتها عام ١٩٣١ ، بكل منجزاتها الثقافية والتربيوية والنضالية ، هى التي علَّمت الجزائرين أن الجزائر الإسلامية العربية « ذاتاً » أخرى غير فرنسا المسيحية اللاتينية الأوروبية .

وكان الفضل لها - وحدها - في البعث الإسلامي العربي للجزائر .

ونقول لهواة العروبية العلمانية : إنه لولا الحركة الإسلامية بقيادة جبهة العلماء ما بقيت للجزائر عروبة أو أرومة .

تلك الحركة التي يحاول المغفلون طمسها يصفها « كوليت » و « فرانسيس چانسون » الفرنسيان ، بأنها « أصابت نجاحاً أزعج الإدارة الفرنسية التي لم تتعود سوى معاملة دين إسلامي طيِّع » [١] !!

وفارق بين أن يقول « عبد الحميد بن باديس » للشعب الجزائرى : « إن الأمة الجزائرية ستظل حية ما بقيت على دينها ولغتها وماضيها » [٢] .

وأن يقول « فرحات عباس » : « أنا فرنسا » !!

فارق بين تحقيق الذات ، وبين التبعية والاستخذاء .

---

(١) كوليت وفرانسيس چانسون ، الجزائر الثائرة ، ترجمة محمد علوى الشريف وزميليه - دار الهلال - ص ٥٤ (٢) المرجع السابق .

فارق بين الحياة في وجود أمة محدَّدة المعالم والخصائص ، وبين الاندثار والذوبان في ذات الدخيل .

وتوقع معاهدة « إيفيان » عام ١٩٦٢ ، وتقوم الحكومة المؤقتة برئاسة « بن يوسف بن خِدَّة » .

ويحدث الصراع المحتوم !! بين « بن خِدَّة » وزمرته من جانب ، وبين « بن بيللا » و « هوارى بومدين » من الجانب الآخر

ويتهم بن خِدَّة « بومدين » بأنه يعمل على إقامة جمهورية ديكتاتورية تحت زعامة بن بيللا .

وتقوم جمهورية بن بيللا وكان أول عمل له حل « جبهة العلماء » . ثم ينقلب عليه وزير دفاعه بومدين عام ١٩٦٥ ...

ويتولى « هواري بومدين » السلطة .

والغريب - أن يكون آخر ما قرأه بومدين وهو على فراش الموت رسائل اليهودي التلمودي « هنرى كورييل » مؤسس « الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني » (حدتو) في مصر !!

أقول إن أمراً كهذا يتركني في حيرة !!

ويتولى « شاذلي بن جديد » الحكم عام ١٩٨٢ ، وكان آخر حديث له ساعة كتابة هذه السطور - هو تصريحه لمندوب إذاعة صوت أمريكا يوم ١٢ إبريل ١٩٨٥ :

« إن الأصولية الإسلامية ليست مطروحة الآن في الجزائر » !!

وهكذا سُرِقت ثورة المليون شهيد !!

ولعلى لا أتجاوز إن قلت : إنني قد لا أجد فارقاً كبيراً بين مقولة « شاذلي بن جديد » هذه - والتي يقصد بها منهج الإسلام بالطبع - وبين مقولة سكرتير الحاكم الفرنسي للجزائر « بوجو » . وقد وقف على منبر « مسجد القصبة »

الذي حوّله الغزاة الفرنسيون إلى « كاتدرائية الجزائر » يوم ١٨ ديسمبر ١٨٣٢ - وقف ليقول : « إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إلّه غير المسيح . ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أى حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد ، أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً » [١] !

وقد يكون هناك فرق ... لكنه الفرق بين « خبث الماسونية » ، و« وسذاجة الصليبية » .

وقبل أن نترك المغرب إلى مشرقه ، أود أن أنبّه القاريء الكريم إلى ما نشرته صحيفة الأخبار المصرية في صيف ١٩٨٥ تحقيقاً بالصور عن انتساب « رؤساء الدول الإفريقية » الناطقة بالفرنسية إلى « المحفل الماسوني » الفرنسي « المشرق الأعظم » مع « رؤساء فرنسيين » سابقين ومنهم الرئيس الحالي « ميتران » .... وهذا يعني أن الماسونية كانت طريق هؤلاء القادة الكبار !! إلى سُدة الحكم !!

* * *

● ومن المغرب إلى مصر ..

ففي مواجهة « الحزب الوطني » الذي أسّسه مصطفى كامل ، وكانت له بعض التوجهات الإسلامية وميول إلى « دولة الخلافة العثمانية » . تحرك « لطفى السيد » على جسر التبعية الذي يربط بين « قصر الدوبارة » وبؤرة التغريب مروراً بمحفل « كوكب الشرق » الذي كان يشغل فيه درجة متقدمة من السلك المخبوء ، فألّف مع شركة من التوابع حزباً أطلقوا عليه « حزب الأمة » ... مبارك وصحيفته « الجريدة » من « اللورد كرومر » ، ومعمّد في معمودية دار الاحتلال !!

---

(١) المرجع السابق ص ٤١

ونادى الحزب بما أسماه « القومية المصرية !! » ، في مواجهة حقيقة الوجود الإسلامي في مصر التي لم يكن لها - ومنذ أن تشرفت بالفتح الإسلامي - إلا هويّة واحدة ... « الانتماء إلى الأمة الإسلامية » .

وينقل « فتحي رضوان » في مقال له بمجلة « الثقافة » العدد الرابع - يناير ١٩٧٤ - تحت عنوان « مفكرون بلا أفكار » عن الدكتور « يونان لبيب رزق » من بحث له في « المجلة التاريخية المصرية » قوله :

« في مقابل هذه السياسة العنيفة مع من سمّاهم البريطانيون « المتطرفين » أخذت تشجع من كانوا في رأيها معتدلين ، وقد تمثل هؤلاء المعتدلون في نظر سلطات الاحتلال في بريطانيا في « حزب الأمة » ، وعندما تأسست شركة من أعيان المصريين في نفس العام ، وكانوا نواة « حزب الأمة » في العام التالي - بمبلغ ٢٠ ألف جنيه لإحياء « الجريدة » لتنطق باسمهم لم يستطع القائم بأعمال المعتمد البريطانى في القاهرة أن يُخفي سروره الذي عبَّر عنه في مذكرة طويلة كتبها لوزير الخارجية في لندن (٢١ من مايو ١٩٠٦ من كرومر إلى جراى) فانظر إلى حزب يفرح به الاحتلال ، ويشجع على تأليفه ، ويُرسل بالتهاني بعد هذا التأليف مندوب الاحتلال بمصر إلى وزير خارجية بلاده في لندن ، وقل لي بالله ، أيمكن أن يكون هذا الحزب داعياً إلى التطوير والتحرير والتنوير ، والصلة بينه وبين الاحتلال - عدو التطوير والتحرير - وثيقة إلى هذا الحد ، أشبه شيء بصلة الأب بابنه غير الشرعي ، وقد قال « لورد لويد » في كتابه « مصر من عهد كرومر » عن هذا الحزب ، حزب التنوير ، و« مصر المصرية » :

« وبفضل مجهود اللورد كرومر ، تأسس في أكتوبر سنة ١٩٠٧ حزب جديد ، وهو حزب الأمة وصحيفة الجريدة » .

ويفضح « لطفي السيد » نفسه وحزبه وجريدته فيقول :

« إن الجريدة لم تُنشأ لأن تقاوم السلطة الشرعية (الخديو) أو السلطة الفعلية (الاحتلال) ولا أن تعادي واحدة منهما ، ولا أن تنتصر لإحداهما على الأخرى » !!

ويعلق فتحي رضوان على تلك النشأة الوبيئة لحزب الأمة فيقول : « وقل لي بربك ، كيف يبقى في صدر إنسان أقل القليل من حسن الظن بحزب يعلن أكبر كتّابه أنه لا يعادي الاحتلال . إذن من يُعادى ؟ وكيف يكون التحرير في أمة ضُربت بنقمة الاستعمار ، ويزعم أنصار لطفي السيد أنه داعى دعاة الديمقراطية » ..

وقبض لطفي السيد ثمن رقه ، وتسلم مفاتيح السلطة في الجامعة الوليدة وصيروه « أستاذ الجيل » ووكل إليه مع أضرابه من خلال هذا اللقب المفضوح مهمة تخريب الفكر وتغريب « الجيل » الجديد

وقامت ثورة ١٩١٩ وسُجِن « الزعماء » !! وجاء الاستقلال عام ١٩٢٢ ، وصدر دستور ١٩٢٣ ، ونشأت الأحزاب « أغلبية » و « أقلية » . وأُجهضت الثورة تماماً وفُرِّغت من محتواها الأصيل .

وتصارعت الأحزاب ورقصت على الحبل المشدود إليها من السفارة البريطانية إلى رئاسة الوزارة مروراً بالقصر الملكي ، بدرجات مختلفة أحياناً ، لكنها في جميع الأحوال متفقة على « التوجه العلماني للقومية المصرية » !! مجتمعة على محاربة الحركة الإسلامية بنسب متفاوتة ... بين القتل والتصفية الجسدية والمنع من الترشيح للانتخاب .

ولعل الأحياء من الجيل السابق على جيلنا يذكرون أن معظم المنسبين النشطين إلى حزب « الأحرار الدستوريين » - بدءاً من « عدلي يكن » وإلى أصغر عضو في قرى ونجوع وكفور الوجه البحري والصعيد - كانوا منتسبين إلى « المحافل الماسونية » ، وكان يحلو لهم - وهم بين عامة الناس يستعرضون في ولع الأطفال مراتبهم أو درجاتهم في السلك المخبوء - أن يلوكوا بعض الطلاسم ويلووا ألسنتهم بالرموز !!

لقد اخترقت « الأفعى الماسونية » الأحزاب والتجمعات والهيئات السياسية والاجتماعية ، وأوقعت معظم رجالات الحكم في محافلها . ونشأت معظم أحزاب الأقلية في مصر في حضانتها الدنسة .

ولعل أبرز مثال على ذلك هو نشأة « الحزب السعدي » الذي كان مولده ابتداءً ، وحضانته ونموه حتى شيخوخته - على توالي عمر الضياع والرِّدة والعمالة - في « المحفل الماسوني المصري » المسمى « الشرق الأكبر » .

ذلك أن مجموعة على رأسها « محمود فهمي النقراشي » و « أحمد ماهر » و « إبراهيم عبد الهادي » قد انشقت عن « حزب الوفد » وكوَّنت حزباً هو « الحزب السعدي » استغلالاً لاسم سعد - الذي كانت له رنَّة بين الجماهير - ويبدو أن التوجه العلماني المستقل لحزبها القديم (وإن كانت الأفكار العامة ولو بطريق غير مباشر هي ما زرعه الماسون) لم يكن كافياً ، فأرادت الارتباط بالدائرة الجهنمية التي تضمن لها استمرارية الحكم في حماية « ماسونية اليهود » !!

وكان رؤساء هذا الحزب هم في ذات الوقت رؤساء لمحفل « الشرق الأكبر » تحت ألقاب « الأستاذ الأعظم كلى الاحترام ». وفي أيام رئاسة « أحمد ماهر » لذلك المحفل كان « محمد رفعت » سكرتيراً لهذا الوكر « الشرق الأكبر » ، ثم تولى الرئاسة فيما بعد منذ أوائل الخمسينات . وهو الذي عينته « حكومة الثورة » وزيراً للمعارف . لقد كان طريقهم إلى الحكم هو تعميدهم رؤساء محافل ومنحهم ألقاب « أستاذ أعظم كلى الاحترام » وتدشين حزبهم في ذلك الوكر الوبيء ... لم يكن الجهاد الوطني - الذي قيل إنهم اشتركوا فيه - ولكنها « الماسونية » التي كانت جسر الوصول إلى منصب رئيس الوزارة أو الوزير !!

وإضافة إلى الأحزاب المُعلَنة - ما يُطلق عليها لفظ اللِّيبرالية - نشأت أحزاب وتنظيمات « شبوعية » تحت الأرض زرعتها أول الأمر القُوَى « اليهودية »

وشاركها فيما بعد الروس والإنجليز والأمريكان ، كل له حزبه الذي يتلقى الدعم المالي والأدبي من وراء الحدود . وكانت الغواية التي أوقع فيها اليهود بعض العمال والشباب هى غواية الجنس والمال . كان اليهودي « هنري كوربيل » هو مؤسس « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني » (حدتو) - أكبر الحركات الشيوعية في مصر - وكان من أعضائها مجموعة ممن سُمُّوا « بالضباط الأحرار » ، منهم جمال عبدالناصر وخالد محيي الدين ويوسف صديق وأحمد حمروش وكمال رفعت وغيرهم . ومع « حدتو » كانت هناك أحزاب أخرى مثل « الحزب الشيوعي المصري » و « حزب الفلاح » و « حزب الشرارة » إلى آخر هذه المسميات . واستطاعت هذه التنظيمات السرية أن توقع في شراكها بعض من سُمُّوا بالمثقفين تحت دعاوي العلمية والتقدمية مع بعض النقود لتحلية البضاعة !!

وعن زواج الإمبريالية الأمريكية والشيوعية المحلية في البلاد العربية يقول الكاتب الأمريكي اليهودي ألفريد لينتال في كتابه (What price Israel) :

« بصفة رسمية تعتبر الأحزاب الشيوعية غير شرعية في الدول العربية ، لكنها تعمل تحت الأرض ، وعلى جبهات كثيرة تعمل بصفة علنية . لقد تسللت بعمق داخل الحركات الوطنية وفعلت حكومة الولايات المتحدة كل شيء لتشجيع الزواج الملائم بين الشيوعيين والوطنيين المتطرفين » (ص ١٥٣) .

ومن سلسلة مقالاته المعجبة « استراتيجية إسلامية منقذة بدلاً من الفوضى والتشرذم والعار » خصص الكاتب الكبير الأستاذ « رائد عطار » المقالة الثامنة والستين عن « الحركة الشيوعية » في مصر تحت عنوان : « موريس » = « عبد الناصر الشيوعي » ! .. لمحة من القصة الكاملة لولادة الحركة من رحم اليهود في مصر !! الشيوعية » - (النور العدد . ٢١ الصادر في ١٥ يناير ١٩٨٦) عن دراسة للشيوعي الدكتور « رفعت السعيد » تحت عنوان « تاريخ المنظمات اليسارية المصرية في الفترة من . ١٩٤ إلى . ١٩٥ » يقول رائد عطار :

« ويصف باحث اسمه « عجواني » صاحب دراسة « الشيوعية في جنوب آسيا العربية » هذه الأيام بقوله : كانت مصر تموج بحالة من عدم الاستقرار السياسي تكاد تصل بها إلى حافة الهيستريا .. واقتحم الشيوعيون هذا الميدان ووطدوا مواقعهم في النقابات . بل سعوا بمحاولات التجديد في مجال الفن والأدب والثقافة ، إلى إثارة حالة التمرد الشامل على المجتمع .

وهذا يرينا كيف أن تدهور الأوضاع في غيبة الحل الإسلامي ، يطرح السخط ، ويُفجِّر الحاجة إلى الإصلاح ، فيطرحه العلمانيون والماسونيون ، والملحدون وصبيانهم ، من منطلقاتهم التي ترفض الحل الإسلامي أيضاً . وكما يجري اليوم جرى بالأمس استخدم الشيوعيون ومَن لا يؤمنون بالحل الإسلامي الفن القصصي كدبابة متقدمة . وهكذا بدأ استعمال الصحافة لخدمة الهدف الأيديولوچي المستورَد .

وكانت « جماعة التطور » ترى أن الفن معمل بارود .. وأنه يجب جذب المتعلمين والفلاحين والعمال للاتجاه إلى الشيوعية باستغلال تراكم عدد الخريجين في سوق البطالة .

وسنجد د . « محمد مندور » رئيس تحرير جريدة « الوفد المصري » قد اتُهم بحق بأنه كان الواسطة لبدء العلاقة مع موسكو « الكومنترن » وتحرير الميثاق مع « الدولية الثالثة » والتي يُفسِّرها البعض بأنها غطاء للحركة « الصهيونية » و « الماسونية » و « الشيوعية » بلحاف الاشتراكية الفضفاض .

ورد في المذكرات الكاملة « لصلاح نصر » مدير المخابرات المصرية إبَّان الحقبة الناصرية ، والذي أبرز في العناوين أن « جمال عبد الناصر » كان عضواً في « حدتو » أخطر المظمات الشيوعية التي أنشأها المليونير اليهودي « هنري كورييل » وكان اسم جمال عبد الناصر الحركي الشيوعي في « حدتو » هو « موريس » ..

إن نشاط الحزب الاشتراكي الإيطالي يومئذ كان واسعاً في مصر بدرجة لا

يقل عن نشاطه في إيطاليا . وسنجد اليسار « الشيوعي الأرمني » يصدر نشرته الشيوعية .. وكذلك اليونانيون ، وأيضاً المهاجرون الروس من « البلشفيك » . وكانت نشرتهم باللُغة الروسية اسمها « ماريا » .

وفي أحضان هؤلاء - كما كشفت كتب التاريخ - وأهم مذكرات هذه الحقبة ترعرع بعض من صعدوا بعد ذلك إلى حكم مصر . ممن كانوا تلامذة الأنشطة السياسية المستوردة بيد اليهود .

وعندما جاءت الحرب العالَمية الثانية شعر هؤلاء الأجانب واليهود بالخطر الزاحف عليهم إذا وصلت قوات هتلر أو موسوليني . وهكذا خرج اليهود بأنفسهم جهاراً نهاراً لقيادة الإعلام والسياسة المصرية الشيوعية ، وقد كان عدد اليهود عام ١٩٣٧ نحو ٦٢٫٥٩٢ يهودياً جندوا أنفسهم لقيادة العمل السياسي والإعلامي والثقافي في مواجهة زحف الفاشست والنازيين ، وكانت الكتب والمجلات الشيوعية ممنوعة ، ولكنهم احتموا بالامتيازات الأجنبية واستوردوها ، وأمدوا بها زعامات الغد الإعلاميين والسياسيين ، الذين تربوا في أحضانهم .. والذين تعلم الدولة ويعلم كل مسئول تاريخهم !

وأُسست جماعة « مكافحة العداء للسامية » (L.I.S.C.A.) التي امتد نشاطها إلى مدارس الليسية .

وهكذا أنشأ اليهود في مصر التنظيمات الشيوعية الأساسية والتي رعاها « الحزب الشيوعي الفرنسي » . وبدأ تأسيس مدرسة « للاسبرانتو » (اللُغة العالَمية) كنقطة جذب للشباب .. ولم يكن يدري أحد أيامها أن كل هذه الأنشطة تربطها خيوط تحركها أصابع اليهود الذين أنشأوا أيضاً اتحاد أنصار السلام وتبنوا تحويل مصر من الإسلامية إلى العلمانية !

وكان المليونير اليهودى الشيوعى (!) « هنرى كورييل » قد أفلح فى تغطية نشاطه بافتتاح « مكتبة الميدان » حيث وظف فيها السيدة « هنريت » زوجة الضابط الإنجليزي الشيوعي « سام باردل » . وبدأت السلطات البريطانية

تتعاون مع الشيوعيين واليهود ضد التيار الذي يتعاون مع هتلر وموسوليني بطبيعة الحال .. ومن هنا ترون أن الاستعمار البريطاني ، واليهود الصهاينة ، والشيوعيين الماركسيين كانوا حزباً واحداً .

وهنا نشأت الحاجة بسبب عزلة الشيوعيين الأجانب إلى أن تتراجع الأسماء الأجنبية إلى الوراء قليلاً .. وأن يتسمى صغارهم بأسماء إسلامية ، كي يصعد إلى القمة ، أو يتقدم إلى الأمام كواجهة لها حتى تم إعداد الكوادر المصرية التي رتبها .. لتصير هى الواجهة .

وهذا الذي أوجزناه هو الذي يفسر لنا العلاقة بين الصهيونية والشيوعية ، وهذه الكوادر المصرية .. وما يجري اليوم .

ويرصد « د . رفعت السعيد » هنا ظاهرة هامة ، نراها من وجهة نظرنا تفسر لنا الوضع الراهن في مصر ! إنه يرصد كيف نشب في الأربعينيات تياران شيوعيان متضادان : تيار يرى أن العمل السري هو في حد ذاته كارثة تقود إلى السجن ويُغري السلطة بالهجوم . وينادي هذا التيار بعمل علني وقانوني بحت بما يتطلبه ذلك من تأجيل بعض الأهداف ، أو تغيير في الألوان ، والمنطلقات ، والشعارات . وتيار تمسكت به أغلبية الكوادر الشيوعية وهو الإيمان بالعمل السري .. ويرى « د . رفعت السعيد » أن انفصال العمل السري عن العمل العلني كان بداية حتمية لتضاؤل العملين معاً وضعف محصولهما ، وانتهائهما إلى العجز وما يشبه الشَلل .. ثم يفرد سطراً كي يراه ويفهمه من لم يفهم قائلاً : « وهذا هو الدرس » .

ومن عند هذه النقطة بالذات نتساءل : هل خطة إتمام الاستيلاء باسم الناصرية، أو الشيوعية ، أو الاشتراكية ، على المؤسسات القومية ، والمعارضة ، والتي تدل على انعدام الرؤية تماماً ، ودحر القُوَى التي استسلمت استسلاماً كاملاً لهذه الكوادر ، ينبيء بأن الأيام حُبلى ؟ نحن نقول : نعم ! » أ . هـ .

وإضافة إلى مولد وحضانة وتدشين معظم الأحزاب اللّيبرالية والزعماء والقادة

السياسيين في الأوكار الماسونية ، وخروج التنظيمات الشيوعية من رحم اليهودية ، وزواج الشيوعية اليهودية مع الإمبريالية الأمريكية ، ودعم الإنجليز والفرنسيين والروس لهذه الأحزاب ... اتحدت الماسونية الدولية مع الحركة التنصيرية في زرع معطيات فكرية تهدف إلى طمس معالم الخصائص الذاتية للأمة وسلخها من دينها : الرسالة والثقافة والتاريخ .. الدور والانتماء والتوجيهات . وذلك من خلال تجنيد أفراد صنعوا منهم قادة فكر أو رسل تنوير!!

فلم يكد يجف الحبر المشئوم بإلغاء « الخلافة الإسلامية » وخلو ديار الإسلام من الرمز والعَلَم - الذي دام لثلاثة عشر قرناً من الزمان - حتى كتب القاضي الشرعي « على عبد الرازق » أو استُكتب منشوره المسمى « الإسلام وأُصول الحكم » عام ١٩٢٤ من منطلقات ماسونية ، ليرد به على الجماهير المسلمة التي أدمت قلوبها عملية إلغاء الخلافة وبدعة فصل الدين عن الدولة ، زعم فيه أن ليس للإسلام نظام حكم ، وأن الإسلام دين لا دولة ، وأن الجهاد ليس له سند من الدين لأن غزوات النبي كانت لظروف خاصة وفق مقتضيات مرحلة تاريخية ولّت . وقد ظن هذا المعتوه أن الأُمة سترى في ضلالته علماً مفيداً يُريحها من عناء الجهاد لإقامة دولة وخلافة الإسلام . وثارت الأُمة فكراً وحركة على المشروع التبشيري الماسوني الذي قدمه على عبد الرازق وصُودِرَ الكتاب .

واستعار « طه حسين » - أُستاذ الأدب العربي في الجامعة الوليدة - فرض المبشر الإنجليزي « ديفيد صمويل مارجليوث » وألّف منشوره المسمّى « في الشعر الجاهلي » عام ١٩٢٦ ، بعد سنة واحدة من مقالة مارجليوث التي كتبها في مجلة « الجمعية الآسيوية الملكية » في لندن تحت عنوان « أُصول الشعر العربي » عام ١٩٢٥ - مجرد نسخة عربية !! . وحاضر به طلاب كلية الآداب ، وجعل حقائق الدين في موضع الشك ، ونصوص القرآن الكريم في موضع التكذيب ، وقال قالة في القرآن وفي الإسلام وتاريخ الإسلام لم يقلها أحد من قبله . وثارت الأمة إلى أعلا المستويات كُتّاباً ونُوّاباً ووزارة .. وسقط الكتاب .

واستمراراً للهجمة التغريبية العلمانية الوثنية الماسونية التي غرستها القُوَى الصليبية والتلمودية والتنصيرية والإلحادية وعسكر الاحتلال ، في الذهنية الفارغة والمشاعر الخاوية لتلاميذ الغزو الفكري ، الذين سُمُّوا بقادة التنوير أو قاهري الظلام ، بشرنا « طه حسين » بأن تقدمنا لن يتم إلا بذوباننا في عفاريت وأساطير اليونان ، وأن مصر ليست إلا قطعة من الأرض وضعتها « آلهة الأوليمب » على « قرن الثور » ، وطالبنا بأن نُطلّق الهدى شرفنا به الإسلام لنعيش في ضلال الرموز الهابطة سواء أكانت « أوديب » أو « بروميثيوس » أو « أجاكس بن تلامون » ، وإننا - بعد أن حرَّرنا الإسلام من ربقة الأوثان : وجوداً وعقيدة ولساناً وتاريخاً ومستقبلاً - لسنا إلا جزءاً من « ثقافة البحر المتوسط » .

والتقطت القوى الصليبية والإمبريالية والماسونية - الفاشل في دراسته - المدعو « سلامة موسى » من على مقاهي الإسكندرية وأرسلوه إلى أوروبا ليعد عميلاً من أخطر أعداء العروبة والإسلام ، وجاءوا به وألقوه في الصحافة ويسَّروا له الكلمة المكتوبة وروَّجوا لاسمه المشبوه . وفي وقاحة تقيأها في كتابه التبشيري « اليوم والغد » قال هذا الهالك : « ينبغي أن لا يُغرس في أذهان المصري أنه شرقي ، فإنه لا يلبث أن ينشأ على احترام الشرق وكراهة الغرب ، وينمو في كبرياء شرقي ، ويحس بكراهة لا يطيق أن يجرحها أحد الغربيين بكلمة » .

وجاء الماسوني « جورجي زيدان » صاحب كتاب « تاريخ الماسونية العام » - ورغم الكتمان الذي تواصى به الماسون - فإنه صرح علناً بحرب الماسونية للأديان - جاء من بلاد الشام ليُنشيء في مصر « دارالهلال » بكتبها ومجلاتها الأسبوعية والشهرية والدورية التي أسهمت ولا زالت بنصيب كبير في الحركة العلمانية الماسونية ، وليكتب هو نفسه سلسلة « روايات تاريخ الإسلام » التي لا يخرج قارئها إلا بصورة مظلمة دموية عن تاريخنا الوضيء ، الذي صوَّره هذا « الحَبر الماسوني » على أنه تاريخ فتن ومؤامرات وحكايات جواسيس وقصور وغانيات .

وأصدر اليهود في أوائل الأربعينات مجلة سميت « الكاتب المصري » ، استكتبوا فيها من سُمُّوا قادة التنوير ، ويتحدث الكاتب الكبير « محمود شاكر » عن هذه المجلة فيقول :

« وفي خلال هذه الفترة ، نُكبت مصر بمجلة صدرت بأموال يهودية خُدِع فيها كثير من الناس ، كان مرادها أن تستولى على مصدر الثقافة في بلاد العرب ، وتكون أداة توجيه لأغراض بعينها قبل غزو فلسطين العربية في سنة ١٩٤٨ ، وهذه المجلة هى التي يسميها « لويس عوض » بعد موتها بسنين ١٩٥٤ ، « المجلة الزهراء ، الكاتب المصري » وذلك بعد أن انكشف أمرها للناس » [١] .

هذا - إضافة إلى من لقنوهم أمر الدعوة إلى العامية وتطليق اللُّغة الفصحى وكتابة اللُّغة العربية بحروف لاتينية - عرض موجز لنقاط رئيسية ، وليس استقصاء لكل بؤرة التخريب الماسوني الصليبي العلماني ، فهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة شاملة تُعَرِّى هذا الفكر العميل وترده إلى مصادره ، أي كهنته وأحباره الذين وظَّفوا الوكلاء وحرَّكوا الأدوات .

ومع أن أُمتنا بحسِّها اليقظ قد ألقت ذلك الفكر في حينه في مزبلة التاريخ ، إلا أن الجيل التالي أو الجيل بعد التالي لجيل « الروَّاد !! » - وهو يعارك آخر معاركه في عصر الصحوة الإسلامية - يحاول في إلحاح ولجاجة أن يُحيى تلك الجيف المنتنة التي يعتبر فكرها دون المستوى المطلوب لجيل التلاميذ ، فهو في نظرهم « حالة تمرد » فحسب لم يصل إلى « مرحلة الثورة » التي تنقُّض على الأمة « فتقتلع دينها وهويَّتها من الجذور » [٢] .

* * *

(١) محمود شاكر ، أباطيل وأسمار « هذه هى القضية » ص ١٤٢

(٢) راجع الحوار التى أجرته مجلة ، روز اليوسف ، مع المدعو د . مراد وهبة ، الذي قدَّمه مجري الحوار المدعو محمد عثمان بقوله : يفجر المفكر العربي مراد وهبة مجموعة من القنابل الفكرية الجديدة - العدد ٢٥٥١ - ٢ مايو ١٩٧٧

● وننتقل إلى سوريا ..

وعن الدور الماسوني في سوريا يتحدث أحد كبار محلّلي شئون الشرق الأوسط « جورج أنطونيوس George Antonius » في كتابه (The Arab Wakening) فيقول : « إن الماسونية على النمط الأوروبي قد وجدت طريقها إلى سوريا ، وأن شاغلي الدرجات الرفيعة في هذه الجمعية السرية استطاعوا أن يثيروا اهتمام المحفل الماسوني الذي تأسّس هناك بالأنشطة السورية » (ص ٧٩) .

وعندما بدأت الإرساليات التبشيرية (التنصيرية) - أمريكية وفرنسية - تغزو سوريا ، في أواخر عصر الخلافة العثمانية ، لزرع ما يسمى بـ « القومية العربية » - كنبتة خبيثة مضادة للرابطة الإسلامية التي كانت تجمع الترك والعرب في دولة واحدة في أُخوة الإسلام وتحت راية الإسلام ...كان « الماسون » هم الذين يتصلون ويربطون ويُنسِّقون مؤامرات الجمعيات السرية والتي أفرزها الغزو التنصيري والتي انتحلت اسم العروبة ستاراً وخداعاً .. وكان « الماسون » أيضاً ، هم الذين يُروِّجون لمنشورات تلك الفئات العميلة .

يقول أحد تلاميذ الفكر الماسوني : « يرجع أول مجهود للحركة القومية العربية إلى سنة ١٨٧٥ عندما اجتمع خمسة شبان من خرِّيجي الكلية اليسوعية البروتستانتية وكوّنوا جمعية سرية ، كانوا جميعاً من المسيحيين ، لكنهم قدّروا أهمية العمل على ضم المسلمين والدروز ، وكوّنوا جمعية بيروت العربية . وكانت أفكار الماسونيين قد بدأت في الوصول إلى سوريا واتخذوا بيروت مركزاً لنشاطهم ، ولكنهم أنشأوا فروعاً لهم في دمشق وطرابلس وصيدا . وكانت أهدافهم ثورية لا غبار عليها . وبدأت أفواج هذه الحركة تتصل بالجمعية السرية (جمعية بيروت العربية) وكانت وسيلتهم (أى الماسون) منشورات سرية »[١] .

وهكذا التقت الطليعة اليهودية الحركية المسمّاة بالماسونية مع رؤوس الغزوة

---

(١) تاريخ القومية العربية - الثورة العربية ، دار المعرفة ، د . جلال يحيى ص ٦٤

الصليبية الثانية - في صورة المبشرين - لتحريك الإنتاج ، أي إفرازات الغزو النصراني والتلقين اليهودي !!

واستمر التنسيق بين الحركة الماسونية والمؤسسات التبشيرية في سوريا منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى أيامنا هذه حتى أصبح كل أو معظم الذين تولّوا الحكم وأنشأوا الأحزاب والتنظيمات في سوريا ولبنان من منتسبي « المحافل الماسونية » وخرّيجي « الكلية الإنجيلية السورية » التي تُسمى الآن باسم « الجامعة الأمريكية » .

ومن بين الأسماء التي كانت تشغل درجات متقدمة في السيرك الماسوني ورُفعت إلى مراتب « الأستاذ الأعظم البنّاء » ، « فارس الشرق » ، « الأستاذ السري » ، « فارس العقد الملوكي » ، « صاحب مقام أُمية » ، وتولّت الحكم في سوريا ، قبل انقلابات العسكر ، « بشارة الخوري » رئيس الجمهورية اللّبنانية الأسبق ، « سامي الصلح » رئيس وزراء لبنان الأسبق ، « فارس الخوري » رئيس وزراء سوريا ، « صبري العسلي » رئيس وزراء سوريا و« سعيد الغُزّي » الذي كان يشغل مرتبة « رئيس كلى الحكمة لمقام أُمية للدرجة ١٨ للمحفل الماسوني » بدمشق في عام ١٩٣٨ ، ثم صار رئيساً لوزراء سوريا عام ١٩٥٧

ومن بين منشئي الأحزاب وموجهي الأفكار من ماسوني سوريا ولبنان : « ميشيل عفلق » مؤسس « حزب البعث العربي » ، « وأكرم الحوراني » مؤسس « الحزب العربي الاشتراكي » الذي انضم بحزبه إلى ميشيل عفلق ليصبح الحزبان حزباً واحداً هو « حزب البعث العربي الاشتراكي » صاحب التوجهات العروبية الملحدة ، التي استعار لها - تطويراً وتطعيماً - « المادية الجدلية » و « المادية التاريخية » (الماركسية) ليعطي الحزب وجهاً تقدمياً !! وهو الحزب الذي تسلّل منتسبوه العسكريون ، بطريقة منظّمة ، إلى داخل الجيشين السورى والعراقي ، وهم الذين جاءت بهم دبابات النصف الثانى من الليل فى حراسة العم سام ، فحكموا سوريا والعراق ، منذ مطلع الستينات . ويعتمد « حزب البعث » في خلاياه - في معظم الأحوال على فئات طائفية معينة ، مثل الطائفة « النصيرية العلوية » وبعض الطوائف « المسيحية » ،

محلاة بأسماء « إسلامية سُنيَّة » لترويج البضاعة القومية التي تتخطى الطائفية !! أما في العراق فيعتمد على منطقة « تكريت » حتى إن الإخوة العراقيين يسمونه بحق « حزب البعث التكريتي » .

ومن منشئي الأحزاب التي دُشِّنت في الأوكار الماسونية « أنطون سعادة » مؤسِّس « الحزب القومي السوري » في الثلاثينيات . ومن مبادىء هذا الحزب - وفق ما جاء على لسان مؤسسه : « سوريا للسوريين . والسوريون أُمة تامة . القضية السورية قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أُخرى . القضية السورية هى الأُمة السورية والوطن السوري . الأُمة السورية هى وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الجلى . الوطن السوري هو البيئة التي نشأت فيها الأُمة السورية وهى ذات حدود جغرافية تميزها عما سواها . الأُمة السورية هيئة اجتماعية واحدة . تستمد النهضة السورية القومية روحها من مواهب الأُمة السورية وتاريخها السياسي والقومي . فصل الدين عن الدولة . إن أعظم عقبة في سبيل تحقيق وحدتنا القومية وفلاحنا القومي هى تعلق المؤسسات الدينية بالسلطة الزمنية . كان الدين يصلح حين كان الإنسان لا يزال في طور بربرينه أو قريباً منها ، أما في عصرنا الثقافي فإنه لم يعد يصلح » [١] .

ومن مشاهير مروِّجي السموم الماسونية في سوريا ولبنان المدعو « عبد الحليم إلياس الخوري » الذي يقول في سفاهة : « لم يبق أحد يؤمن باللّه وخلود النفس إلا البلهاء والحمقى » . أما الماسوني « جان أبو نعوم » فيقول : « إن الماسونية دين له خطوطه الواضحة وإن تركت الماسونية لأبنائها أديانهم مؤقتاً » .. دين لا يعطى إلا لمن مر بمراحل متعددة ، إذ نرى منهاج الماسونية من الدرجة (١٤) يقول كما تقول « الباطنية » تماماً : الإيمان يجعلنا نقبل كافة العقائد . ولكن ما أن يبلغ الطالب درجة (١٨) حتى يتوارى القرآن - إذ هو لا يُوضع

---

(١) نقلا عن فتحي يكن ، حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام ص ٧٢ - ٧٣

على المذبح إلا في البلاد الإسلامية وفي الدرجات الأولى فقط - ويصعد الكتاب المقدس سدة الرياسة الكبرى ، ويتربع على كرسي سليمان ، وتصبح الماسونية ديناً يُغنى عن سواه ، إذ البحث في سواه تعصب - كما جاء في تعليق صاحب كتاب « الماسونية في العراء » الدكتور « محمد علي الزغبي »[1] .

* * *

● أما العراق ، فقد تولّى الحكم فيه - بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية ومنذ عام ١٩٢٠ وحتى انقلاب ١٩٥٨ - معظم الجواسيس الذين تآمروا مع الاستعمار البريطاني ضد الجيوش العثمانية ، ومن المنتسبين للجمعيات العروبية العلمانية السرية التي باركها ودعّمها الماسون . وأسّس الماسوني « نورى السعيد » - العميل البريطاني الشهير - الذي حارب في صفوف القوات الإنجليزية الغازية للعراق - مدرسة سياسية تناوبت الحكم تحت زعامته بتأييد السفارة البريطانية ، وبمباركة ملوك العراق ، الذين كانوا رعاة « للمحافل الماسونية » في بلد الرشيد ، إلى أن انتهى دورهم ليتسلم « مفاتيح القلعة » في بغداد « البعثيين » و« القوميين العرب » ، تارة مشتركين ، وفي معظم الأحوال يتولى البعث الدور الوحيد .

وكم كانت سعادتي عندما أهداني محام صديق وثيقة أعتبرها تاريخية ، هى المجلة « الماسونية » المسمّاه « التاج المصري - لسان حال الشرق الأكبر المصرى » (العدد ٥٦٢ - السنة الثانية عشر - الجمعة ٢٥ مارس سنة ١٩٣٨) . والتي كما تقول صفحتها الأولى كان « يقوم بتحريرها نُخبة من كبار الماسون » . وقد حصل عليها المحامي الصديق من « أرشيف » إحدى المحاكم ، وقد جاء على صفحة الغلاف أسفل اسم المجلة مباشرة عبارة تقول : « قررت المحاكم الأهلية اعتماد مجلة التاج المصري لنشر الإعلانات القضائية »

ومما جاء فيها وأعتبره « وثيقة » و « تاريخية » :

١ - خطبة « حضرة صاحب السعادة الأستاذ الأعظم الدكتور أحمد ماهر »

---

(١) نقلا عن محمد على الحاج ، الكشاف الفريد ، ص ٣٦٢

في اجتماع انتخابي عقده الماسون لتأييد « الدكتور عبد العزيز أحمد بك » مرشح « الهيئة السعدية » بدائرة المطرية . وهذا يدفع بالبطلان مقولة الماسون بأن الماسونية لا تتدخل في عقائد الناس وانتماءاتهم السياسية ، وليس لها دور في السياسية ، بل هى جمعية خيرية ، شعارها الخدمة والحب والسلام !!

(ص ٢) .

٢ - اقتراح أحد الماسون « بجلسة تثبيت الموظفين العظام للشرق الأكبر المصري » برفع صورة مصطفى النحاس من « نادي الشرق الأكبر » لأنه غير ماسوني . وهذا يدل دلالة قاطعة على هدف الماسونية المعلَن والصريح : احتواء وتجنيد كل القوى السياسية ومحاربة من يظنوه شارداً عن الدائرة الجهنمية .

(ص ١٥) .

٣ - رسالتان دعائيتان ، الأولى من « قدس الأب الجليل الخورى عيسى أسعد كلي الحكمة لمقام قدس بحمص » ، والثانية من « أمين سر محفل الإصلاح وخطيب محفل الزهرة بدمشق محمد عدنان الخطيب » ، موجهتان إلى « الأخ الكلي الاحترام أمين السر الأعظم للشرق الأكبر المصري الأفخم » محمد بك رفعت - الذي صار وزيراً للمعارف في مصر في أول عهد الثورة كما سبق أن ذكرت . والرسائل المتبادلة - هذه - توضح « وحدة التنظيم للأوكار الماسونية » والمتابعة المشتركة لمداولاتها (ص ١٦ - ١٧) .

٤ - نشاط « مقام أُمية الماسونى للدرجة ١٨ بالدار الماسونية بدمشق برئاسة الأخ الكلي الحكمة سعيد بك الغُزِّي » - الذي صار رئيساً لوزراء سوريا بعد عشرين عاماً من هذا التاريخ . وهذا يدل - على التحقيق - على أن مرتبته « الماسونية » الرفيعة كانت الرافع له إلى منصب رئيس الوزراء ، وأن حضانته وتدشينه وإعداده ، قد تم في المحفل الماسوني ، وليس في قصر الحكم ، حتى وإن طالت المدة إلى عشرين عاماً ... ما أصبر الماسون على التخطيط !!

(ص ١٧) .

٥ - تحركات « السكرتير الأعظم للشرق الأكبر المصرى » ، فى الإسكندرية والمنصورة محمد بك رفعت ... بقدر النشاط يكون التصعيد إلى مناصب الحكم ... النشاط الماسونى بالطبع (ص ١٧) .

ونورد صورة زنكوغرافية للصفحات سالفة الذكر ، وللصفحة الأولى من المجلة ضمن وثائق الكتاب .

* * *

● ويورد « محمد على الحاج » بعض النقاط عن « الأخطار الماسونية » كدعامة إسرائيلية نقل بعضها عن « كتاب الماسونية فى العراء » فيقول :

- أمَّنت لمحافلها حصانة دولية ، وغطَّت أهدافها بإصطلاحات هندسية ، ودجَّنت أبناءها مستترة بغيوم تخفى الأطماع اليهودية ، واستثنت نفسها من الترخيص والهزَّات التى تعترى جميع الأحزاب والجمعيات ، بل عطفت نفسها بمعاهدة « لوزان » على الأديان السماوية .

- لعبت دوراً خطيراً فى السياسة العالَمية ، وعملت جاهدة فى الخفاء للاستيلاء على مقدَّرات الشعوب وتقنعت بالإنسانية والمثالية ، وسخَّرت الناس بحكمة « الأفعى » لخدمة « شعب اللّه المختار » .

- ومن أنكى أدوارها ما انصب على « العقيدة » و « الدين » و « الأخلاق » . حيث هدمت عقائد الأمم الدينية والقومية ، كما سيطرت على العروش والكراسى ومجالس الأمم الشعبية والبرلمانية ، وقتلت روح التعاون بين الشعوب وحكوماتها وجيوشها ، كما دعت الذين يخدمون دولتهم بإخلاص سذجاً معتوهين بلهاء .

- شلَّت يد الملايين ووجَّهتهم توجيهاً ملتوياً ، فصافحوا يدها المضرَّجة بدمهم وظاهروها على إقامة « هيكل سليمان » على أنقاض « الأقصى » .

- صالت على تراث الإنسانية الأخلاقى صولة اللئيم الحاقد ، ولقحته بما جعل ثماره اليانعة أشواكاً .

- أخذت أسماء متعددة مثل « الروتارى » - « الليونز » - « جمعية الأسود » « البناى برث » - « شهود يهوه » « البهائية » ، مما يلتقى

بالدرجات والرموز والتأويل القائمة على التكلف والحروف والأعداد ، ويلتقى بنقطة « إشادة الهيكل » .

- إن « الماسونية » وسيلة « استغلال يهودى » ذبحت « الصهيونية » بخنجرها الشعوب بيد بعضها ، وظفرت بأسلاب الغالب والمغلوب ، وعاثت مع الذئب وبكت مع الراعى .

- إنها « حكومة عالمية سرية » تحرص على تسليم زمام العالَم لأبنائها ، وهى سرطان فتك بالأمم ، وحشرة امتصت دم الشعوب ، ووسيلة هدمت فى موظفى الدولة ضمائرهم ، وحرمتنا لذة العدل ، وسيف استُل منذ عشرين قرناً ولن يعود إلى غمده إلا اذا أصاب مقتلاً ، تنفيذاً « للعهد القديم » المصمَّم على إبادة الإنسانية ، وفى المقدمة أمة العرب والمسلمين ، وكذلك فهى معول لهدم تراث العالَم ليدوم دين واحد هو « اليهودية » أو « الماسونية » ، إذ هما اسمان لمسمى واحد .

وهى تخطيط عجيب و « خدمة لإسرائيل » بعيدة المدى ، وسعى دائب لرفع رايتها كى ترفرف ما بين طوروس وبحر الهند على مملكة معدومة الجيران .

و « الماسونية » مطرقة دقَّت أعناق الذين خانوا وأخلُّوا ، فأنزلتهم واديها وأصعدتهم سلمها واستغلت مراكزهم ، وعلَّمتهم الدهاء اليتيم ، وقطفت ثماره لتقطع آخر عِرق نابض بجسم الذين يرون الحفاظ على « القدس » جزءاً من دينهم ، ولتُصم آخر أُذن تسمع نداء « فلسطين » [1] .

على تلك الساحة العربية الإسلامية المستبَاحة ، سياسة وحُكماً وفكراً - كما عرضنا - تحرَّك « الأسود السالخ » [2] حركة واسعة ، وفحيح دبيبه مسموع محسوس منظور ، حتى وصلت « الرأس » إلى صهيون !!

* * *

(١) الكشاف ، ص ٣٥٩ - ٣٦٣

(٢) الأسود السالخ ، هو أقتل ما يكون من الحيات والثعابين .

العدد ٥٦٢ السنة الثانية عشر

عقـــول الرجـــال تحت أســـنة أقـــلامهم ؟ (الصاحب بن عباد)

القاهرة فى يوم الجمعة ٢٥ مارس سنة ١٩٣٨ ٢٣ محرم ســـنة ١٣٥٦

العدد (٥٦٢) من مجلة « التاج المصرية » الماسونية ، لسان حال الشرق الأكبر المصري . الصادر في الجمعة ٢٥ مارس سنة ١٩٣٨ .

خطبة وطنيـــــــــــة رائعة

لحضرة صاحب السعادة الاستاذ الاعظم

التزمت هذه الجريدة خطة الحياد منذ بدء الموقف السياسي الحالي الحاضر مؤثرة عدم الانحياز لفريق دون الاخر . ولكن نظرا لالحاح الكثيرين من الاخوان و رغبتهم في تتبع كلمات صاحب السعادة والاحترام الحتمي الدكتور احمد ماهر الاستاذ الاعظم . رأينا ان ننشر على هذه الصفحات خطبة سعادته القيمة التي ألقاها في الاحتفال الانتخابي يوم الجمعه الماضي تأييد الدكتور عبد العزيز احمد بك مرشح الهيئة السعدية بدائرة المطرية وهذا نصها :—

اخواني :

اشكركم شكرا جزيلا على تفضلكم بعقد هذا الاجتماع لتأييد ترشيح حضرة صاحب العزة المهندس القدير عبد العزيز بك احمد لنيابته عنكم في هذه الدائرة

(تصفيق)

و قبل ان اتكلم اريد ان الاحظ ملحوظتين عن الكلام الذي سمعته الان اولاهما و شكر من تفضلوا فاسبغوا علينا من اطرائهم ما شاءوا و لا سيما حضرة الشاعرين المجيدين و انا كنا نعرف ان الشعر دائما سبيل الى المبالغة ولكن لا تجاوزوا مناز هوا ولا تغرورا

اما الملحوظة الثانية فانها تتصل بما تحدث به حضرة الدكتور فخري حين تكلم عن مساوئ الوعد في العهد الحاضر و انا به يقصد مساوئ الحكم الماضي لان الوعد عبارة عن مبادئ وطنيه

الصفحة الثانية من مجلة « التاج المصري » الماسونية .... ويليها الصفحات أرقام ١٥ ، ١٦ ، ١٧.. وفيها تظهر أسماء لبعض أعلام الفكر والسياسة العرب ، من أمثال الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء المصري الأسبق ، ومحمد رفعت بك وزير المعارف الأسبق ، والدكتور عدنان الخطيب ..... وغيرهم .

الماسونية

الماسونية تتسامى بمبادئها على الحزبية

لعل حضرات القراء لم ينسوا بعد ماحدث بجلسة تثبيت الموظفين العظام للشرق الاكبر المصرى من اقتراح احد الحضور رفع صورة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا من نادى الشرق الأكبر لانه غير ماسونى وما كان من اسراع الاخ الكلى الاحترام محمد بك رفعت السكرتير الاعظم بالاعتراض على هذا الاقتراح ذاهبا الى ان رفعته من العظماء الذين تتجمل بصورهم الدور وانه لايحمل بالماسونيين ان يزهدوا اليوم فى هذه الصورة بعدأن كانت موضع تقديرهم بالأمس لمجرد خلاف فى الرأى بين رفعته وبين صاحب المعالى والاحترام الكلى الاستاذ الاعظم ثم تعقيب الاستاذالاعظم الدكتور احمد ماهر الذى كان يراس الجلسة على هذا الاعتراض بالتأييد والتحبيذ منوها بمبادئ الماسونية التى تتسامى على الحزبية وتحض على التجمل بالخلق الكريم . ومؤكدا انه مازال يجل صاحب المقام الرفيع رغم ماحدث بينهما من خلاف فى سبيل مصلحة الوطن . فى هذا من جانب معاليه اية من الآيات الكثيرة الدالة على مايتحلى به من سمو الخلق وماتنطوى عليه نفسه من صدق الاخلاص الوطنى والترفع عن انزال الخلافات السياسيه منزلة الخصومة الشخصيه هذا الداء الوبيل الذى جر البلاد الى ماتعانيه الآن من الانقسام الوخيم العاقبه .

وقد وقعت كلمة معاليه فى هذا الصدد موقع الاجلال والتقدير فى نفوس ابناء الاقطار العربية الشقيقه فتوالت على السكرتير الاعظم رسائلهم المستفيضة بعبارات الثناء والتحبيذ . وقد رأينا ان نقتصر فى هذا العدد على نشر رسالتين من هذه الرسائل الكثيرة على ان نعود فى الوقت المناسب لنشر غيرها مع كلمة فى الموضوع لم يحق بعد اوان الافصاح عنها

اما الرسالتان فهاهما :

خطاب

من قدس الاب الجليل

الخورى عيسى اسعد

كلى الحكمه لمقام قدس بحمص

سيدى واخى احترام محبه

متى بلغ الاعجاب غايته ، لايستطيع المرء مهما كان قادراً على كتمان خلجات العاطفه . ان يقفل نافذة الحنان من اللسان عن ان يبوح لذلك معذرتى سيدى الاخ اذا عجزت عن كتمان اعجابى بما قرأته فى التاج الاخير عن فضيلة اخ ، الهم ابواه حسنا ، حينما سماه رفعت كانما وحى داخلى النطق لسانهما باسم ينطبق خير انطباق على مسماه مع ندرة ذلك وهل من فضيلة افضل واتم من ان يقف المرء فى اشد دوافع العاطفه وقعة النزاهة والتجرد العميق ، فيأبى على العاطفة ان تتغلب على العقل ويتمكن بقوة حجته وناصع بيانه ان يبقى رسم النحاس فى موضعه ، لان الخلاف فى الراى لايسوغ العداء الشخصى ، ولو ترفع كل ابناء الشرق عن الدوافع العاطفية ، وتركوا الحال للصيرة ، ماأثرت دواعى التفرقه ولاتصدعت وحدته .

فمن صميم القلب اهنئ الاخ السامى الرفعه راجيا ان يظل العلم الخفاق فوق صروح الانسانية الحرة والكوكب السارى المرشد خطوات ابنائها الى الهدى الحقيق .

وتكرم ايها الاخ بقبول كلمات استحدث من اوصاف معنى قلب حساس خالص الوداد ؟

صغير اخويكم

عيسى اسعد

خطاب محفل الاصلاح بدمشق

الى حضرة الاخ الكلى الاحترام امين السر الاعظم للشرق الاكبر المصرى الاقخم .

كثيرا مانرى كبار رجالات البلاد عندما يختلفون فى الآراء او المبادىء يسقطون الى احط المهاوى السياسية فتغلب على اخلاقهم الصفات الفرنية الممقوته وتتجاذبهم الاهواء الحزبيه والمنازعات الشخصية مما يتنافى والمصلحة العامه التى يجب ان ترفع عن كل مايشينها حتى كان هذا دليلا على عدم النضوج السياسى فى بلادنا التى افسد — المفسدون — فيها كل شىء حتى الاخلاق — مع الاسف —

الا أن حادثة اقتراح رفع صورة صاحب المقام الرفيع النحاس باشا من ندوة الشرق الاكبر المصرى دلت بأوضح المعانى على مايتحلى به صاحب السعادة استاذنا الاعظم وامين سره الاكبر ومن وراثهما ابناء الشرق الاكبر ومن ثمة جميع الاحرار الماسونيين من اخلاق سياسية نبيلة وتقيد بالمثل العليا من المبادىء الاخلاقية والتعاليم الفلسفية السامية

إنى — وانا احد الذين قدروا فيكم هذه المبادىء العاليه وشادوا بذكرها حيث امكنهم اتقدم من اخوتكم باسمى تحياتى وتحيات جميع الاخوان مع اعجابهم الشديد بما فطرتم عليه من حصافة العقل ورجاحة المنطق راجيا تقديم اطيب العواطف واجملها الى حضرة الاخ صاحب السعادة والاحترام الكلى الاستاذ الاعظم الدكتور احمد ماهر باشا ومبدع الكون الاعظم يحفظكم لأخيكم ؟

امين سر محفل الاصلاح
وخطيب محفل الزهرة
محمد عدنان الخطيب

مقام اميه

للدرجة ١٨

اجتمع مقام اميه فى مساء يوم الثلاثاء ٢٢ الجارى بالدار الماسونية بدمشق برئاسة الأخ الكلى الحكمه سعيد بك الغزى ورتان من بين اعماله قبول بعض المرشحين والنظر فى شؤون المقام .

السكرتير الاعظم

فى الاسكندرية

سكر حضرة صاحب العزة والاحترام الكلى الاستاذ محمد بك رفعت السكرتير الاعظم فى صباح يوم السبت الى الاسكندرية حيث قضى يومين اشرف فيهما على الاجراءات القائمة فى الدار الماسونية الجديدة التى اتخذها الشرق الاكبر المصرى مقرا لاجتماعات محافله ثم عاد الى مصر شاكراً ما لاحظه من غيرة الاخوان وعنايتهم بما يرفع شأن الماسونية

فى المنصورة

وفى صباح يوم الثلاثاء ٢٢ الجارى غادر حضرته القاهرة الى المنصورة لحضور اجتماع هام استدعاه من اجله اخوان المنصورة وبعد أن اشترك معهم فى اصدار قرارات موفقه لمصلحة مشغل البنات الخيرى والعيادة الطبية المجانيه عاد الى القاهرة مودعا من اخوان المنصورة بالحفاوة والاكرام ؟

وصول رأس الأفعى إلى صهيون

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كانت الصهيونية تأمل مفترضة أن ألمانيا « المنتصرة » سوف تعطيها فلسطين .

وقوّى ذلك الفرض اطمئنان الماسونية العالَمية أن عملاءها الذين يحكمون الدولة العثمانية هم الآن حلفاء ألمانيا ، وقد دخلوا الحرب إلى جانبها ، وأن حكومة الاتحاد والترقى الماسونية اليهودية ، التى تحكم عاصمة الإسلام ، قد شنقت من حذّر فى « المبعوثان » - البرلمان - من ازدياد عدد اليهود فى فلسطين ، وقدّم الوثائق الصادرة من قيادة الصهيونية عن كيفية الاستيلاء على الديار المقدسة فى ظلال حكومة إستانبول .

لكن المفاوضات بين الصهيونية وحكومة ألمانيا فشلت ، ولم يجد « هرتزل » أذناً صاغية لدى الإمبراطور الألمانى « غليوم » .

وفى عام ١٩١٦ - إبّان لهيب الحرب - بدأت الصهيونية العالَمية تتجه إلى مكان آخر . وراحت تبحث عن حليف قوى بديل ، تركبه وصولاً برأس الأفعى إلى أُورشليم ، ووجدت ضالتها فى لندن . وتولّى « وايزمان » هذا الدور نيابة عن اليهودية العالَمية ، وتوصّل مع الحكومة البريطانية إلى اتفاق سرى وعدت بموجبه اليهودية العالَمية أن تحشد كل يهود العالَم لدعم الحلفاء اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، والالتزام بجر الولايات المتحدة - الخاضعة للنفوذ الماسونى اليهودى - الى الحرب لصالح الحلفاء .

وأعلن الأنجلو ساكسون الإنجليز فى « داوننج ستريت رقم ١٠ » وفى وزارات الخارجية والحربية والبحرية والمستعمرات شغفهم حد العشق بضرورة تحقيق « نبوءة » العهد القديم بعودة شعب التوراة إلى « ميراث أرض الموعد » - « ميراث إسرائيل » إلى الحد الذى جعل « اللورد كيرزون » يهتف قبل أسبوع واحد من تصريح بلفور : « إذا كانت هذه هى الصهيونية ، فإنه لا

يوجد سبب على الإطلاق لماذا لا ينبغى علينا جميعاً أن نكون صهاينة » !! حتى إن « ليننتال » يقول : « ان الصهيونية بمفردها ما كانت لتستولى على فلسطين .. إن فلسطين تم الاستيلاء عليها بواسطة المجهودات المتآلفة من المسيحيين الأنجلوساكسون (مثل بلفور ، لويد جورج ، ونستون تشرشل) الذين كان يدفعهم تكريس وإخلاص الأنجلوساكسون للعهد القديم » [١] !!

ويروى لويد جورج - رئيس الوزراء البريطانى - والمدافع القوى عن وايزمان فى تقرير له : « أن قادة الصهيونية أعطونا وعداً محدداً أنه إذا ما منحنا الحلفاء تسهيلات لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فإنهم سيبذلون أقصى ما فى وسعهم لحشد عواطف ومساندة اليهود فى كل أنحاء العالم إلى جانب قضية الحلفاء ، وقد كانوا عند كلمتهم وأعلن لويد جورج أنه مدين بالفضل لـ « وايزمان » لما أسماه تجاربه العبقرية فى تطوير مادة « الأسيتون » الضرورية لصناعة المتفجرات التى أسهمت فى الحرب » !!

وصدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ عن « حكومة صاحب الجلالة التى تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين والعمل بكل ما فى وسعها لتحقيق هذا الهدف » .

وفى ديسمبر ١٩١٧ دخل الجنرال « اللّنبى » القدس معلناً « انتهاء الحروب الصليبية » فى صحبة مرتزقة الطابور الخامس المسمّى « الثورة العربية » .

وكان الأمير فيصل بن الحسين - ممثلاً عن مملكة الحجاز - قد وقّع اتفاقاً مع « وايزمان » - ممثلاً عن المنظمة الصهيونية - اعترف فيه الشريف !! بأن العرب (هكذا) يقبلون وعد « بلفور » ويسمحون بتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

وانتهت الحرب العالمية عام ١٩١٨ بانتصار الحلفاء وهزيمة ألمانيا وتركيا والنمسا . وأدرك الألمان أبعاد المؤامرة اليهودية .

---

(١) What price Israel, p. 174 .

ويذكر تشرشل { مذكرات ونستون تشرشل - اخترنا لك - ص ٤١ - ٤٢ } أن الشعب الألمانى - وفق ما سجلته أحاديث الناس - كان يعتقد أن ألمانيا قد طُعنت فى ظهرها وقد أنشب اليهود أظافرهم فيها ليرغموها على أن تستسلم للأحداث ... وليس سواهم من مستغلين دساسين مفسدين ، يناصرهم البلاشفة الملعونون ، وأن اليهود قد أطاحوا بألمانيا وألقوا بها إلى الهاوية . وكان أحد الأعمدة الصخرية لسياسة هتلر أن السوفييت يهدفون إلى انتصار اليهودية العالَمية .

وفرضت « الماسونية العالَمية » الاعتراف بيهودية فلسطين على مؤتمر « سان ريمو » سنة ١٩٢٠ .

ونشأت « عُصبة الأمم » تحت دعاوى حفظ السلام العالَمى ويقصدون به التوازن بين القُوَى الأوروبية المنتصرة .. واليهود بالطبع .

ويعترف الزعيم الصهيونى « ناحوم سوكولوف » أمام مؤتمر « كارلسباد » الصهيونى المنعقد فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٢ بالدور اليهودى الماسونى من وراء إنشاء هذه « العُصبة » فيقول : « إن عُصبة الأمم هى فكرة يهودية . لقد خلقناها بعد كفاح دام خمسة وعشرين عاماً » .

وصدر قرار عُصبة الأمم فى عام ١٩٢٢ بتعيين بريطانيا « حارساً ووصياً » على فلسطين تحت ما سُمِّى « الانتداب » .

ويذكر « لينتال » أنه رغم أن الولايات المتحدة لم تكن عضواً فى العُصبة ، وعليه فهى ليست طرفاً فى ذلك الإجراء (الانتداب) إلا أنه قد صدر قرار رسمى مشترك من الكونجرس (مجلس النواب والشيوخ) يُصدِّق فى نفس العام على فكرة « وطن قومى لليهود » .

وفى كتابه القيم « التبشير والاستعمار » - الذى ربط فيه بين الاستعمار والتبشير المسيحى فى العالَم - ينقل « أمين الريحانى » عن « بربارة توخمان » رئيسة إحدى الإرساليات التبشيرية الوالهة بإنشاء إسرائيل :

« قالت « بربارة توخمان » : إن الانتداب لا وعد بلفور هو الذى أفسح فى القانون العام مجالاً لإعادة إسرائيل إلى فلسطين . إن وعد بلفور كان إعلاناً لسياسة فقط وكان بإمكان كل وزارة بريطانية تالية أن تتجاهله أو أن تدع الزمن يمر عليه أو أن ترفضه ، ولكن الانتداب - أى ادخال وعد بلفور فى صك الانتداب - كان التعهد الدولى الذى وقّعته دول الحلفاء الكبرى ، التى كانت تعمل باسم عُصبة الأمم ، ثم أكدته فرفعته بذلك بعد أن وضعته فى صلب صك الانتداب إلى مستوى المعاهدات » .

حتى عام ١٩١٩ لم يكن اليهود يُشكّلون اكثر من عُشر سكان فلسطين . وكان معظم المسئولين الإنجليز والأمريكان يعتقدون أن الأقلية اليهودية فى فلسطين ستنمو بمضى الوقت ، وأن الدولة اليهودية - على ذلك - ستكون المحصّلة النهائية لتصريح بلفور .

ولقد تحدّث تشرشل فى مجلس العموم البريطانى عن وعد بلفور قائلاً :

« إنه من التضليل الافتراض أن ذلك كان مجرد حماس صليبى ، ولكنه كان إجراءً اتُخِذ أثناء حاجة الحرب بهدف تعزيز نصر الحلفاء ، والذى من أجله توقعنا وتلقينا مساعدة قيمة » !! .

ولا يستطيع تشرشل أن ينكر تلك الرغبة الجامحة لدى مسيحيى الغرب الصليبى لمساعدة ودعم عودة « الشعب اليهودى » .. « شعب التوراة » إلى صهيون ، إضافة إلى أن الضمير المسيحى !! (الذى لا يصحو أبداً مع المسلمين) كان - ولا يزال - يعتقد أنه بخلق إسرائيل فإنه سيُكَفّر عن جميع الخطايا البشعة التى ارتكبتها أوروبا المسيحية ضد اليهود على مدى التاريخ المسيحى كله .

ومهما كانت الدوافع فإن حكومة لويد جورج هى التى أعطت إشارة التقدم للأمام ، للاستعمار اليهودى لفلسطين .

فمنذ وعد بلفور أُقيم جسر يهودى على رماد حرب ودمار دول ، مخترقاً عالماً

إسلامياً قد سُلِّمت مفاتيح القلعة فيه - قلعة الحكم وقلعة الفكر - إلى الماسون أو تلاميذهم وصنائعهم ، مدعوماً من الاستعمار الأوروبى والأمريكى - الليبرالى والشيوعى . وخلا طريق رأس الأفعى إلى « صهيون » !!

ومنذ البداية استخدم القاضى الأمريكى الماسونى « براندیز » قاضى المحكمة العليا الأمريكية - فى إصرار - عبارة « الجنس اليهودى » والتى استُبدلت فى تصريح بلفور بعبارة « الشعب اليهودى » .

وكان الرئيس الأمريكى « روزفلت » يرى أنه لا مكان لهؤلاء اليهود المساكين (بالذمة !!) يذهبون إليه غير فلسطين .

عينت بريطانيا « هربرت صموئيل » اليهودى أول مندوب سام بريطانى فى فلسطين . وحدثت الاضطرابات فى عام ١٩٢١ ، ولكنها قُمعَت بالقوة ، وبدأت بريطانيا تغيير معالم فلسطين العربية المسلمة ، وأخذ سيل الهجرة اليهودية يتدفق إلى فلسطين . وتولّت تنظيم ذلك الوكالة اليهودية التى تأسست عام ١٩٢٠ ، وتعاونت معها بريطانيا إلى أقصى حد ، وكانت تعمل فى فلسطين وكأنها دولة داخل دولة . فأنشأت المستعمرات اليهودية ، وأقامت بها مخازن للسلاح والذخيرة ، وتدفقت الأموال اليهودية على هذه المستعمرات .

وتسلّم اليهود وظائف رئيسية فى الدوائر الحكومية ، ثم مُنحت الوكالة اليهودية نحو نصف مليون دونم من أراضى البلاد (نحو ١٢٥ ألف فدان) ، ووُضِع تشريع طُرِدَ بمقتضاه سكان ٢٢ قرية عربية من قرى مرج ابن عامر ، وهذه تقطنها نحو ٣ آلاف أسرة عربية ، كما أُخرج ٣٠ ألف عربى من أراضى الحولة وغيرها . ولم يأت عام ١٩٣٠ حتى كان عرب فلسطين قد فقدوا ثُلث أراضيهم .

وتدفقت الهجرة اليهودية وتدفق معها السلاح من كل مكان . زوّدتهم بريطانيا بأسلحة ومعدات لما أسمته « الدفاع عن أنفسهم » ، وزوّدهم الاتحاد السوفييتى بالعتاد الحربى إما مباشرة أو عن طريق تشيكوسلوفاكيا .

وفى عام ١٩٢٩ نشبت ثورة فى البلاد بسبب استفزازات اليهود للمسلمين

حول حائط المبكى وهو الحائط الغربى لساحة المسجد الأقصى الذى يزعم اليهود أنه آخر جزء من آثار هيكل سليمان القديم .

وفى ٢٥ يناير ١٩٣٥ عُقِد مؤتمر علماء فلسطين برئاسة المفتي « محمد أمين الحسينى » - رحمه الله - واتخذ عدة قرارات منها دعوة الشعب الفلسطينيى إلى الجهاد المقدس ، وتألفت جماعات المجاهدين المسلمين [١] .

وأعلنت جماعة « الشيخ عز الدين القسّام » الثورة فى ٢ نوفمبر ١٩٣٥ ، وقد تحوّلت إلى حركة جهاد مسلح ضد البريطانيين واليهود ، إلا أن القوات البريطانية المزوّدة بالدبابات والطائرات ، أخذت تقصف مواقع « القسّام » ورفاقه ، فدارت بين الطرفين رحى معركة عنيفة استمرت من الفجر حتى الساعة العاشرة من صباح ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ خمد خلالها « القسّام » ورفاقه المجاهدون . وانتهت المعركة باستشهاد « القسّام » مع أربعة من رفاقه وقُبِضَ على الباقين ، وأُلقوا فى غياهب السجون [٢] .

وفى ربيع ١٩٣٦ ، بعد ثورة « القسّام » ببضعة شهور ، ظهرت حركة ثورية أخرى بقيادة أحد أعوان « القسّام » فى الجهاد وهو « الشيخ فرحان السعدى » الذى قام بتدريب الشبان على استعمال السلاح . وبدأ فى ١٥ إبريل ١٩٣٦ بالهجوم على قافلة سيارات يهودية فى طريق « نابلس - طولكرم » وتحرسها قوة بريطانية مسلحة . واستمر فى جهاده رغم كبر سنه إذ كان يناهز الثمانين من العمر حتى قُبِضَ عليه وأعدم شنقاً وهو صائم فى رمضان [٣] .

وتلا ذلك انتشار الاضطرابات وقيام اليهود بأعمال الغدر ، وقام أهل يافا فى صبيحة يوم ١٩ إبريل ١٩٣٦ وهاجموا اليهود فى تل أبيب وقتلوا عدداً كبيراً منهم رغم محاصرة القوات البريطانية لهم والتنكيل بالكثير منهم . وتلا ذلك إضراب عام نظمّته هيئة قامت فى نابلس عُرِفت باسم « اللّجنة القومية »

---

(١) الدولة الإسلامية ، د . محمد سعيد الشعفى وزملاؤه - ص ٢١٥ - ٢١٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٤ (٣) نفس المرجع ص ٢٦٥

وأعلنت قيام الإضراب إلى أن تقف الهجرة اليهودية . وتألفت لجان فى جميع المدن والقرى للإشراف على سير الإضراب ، وقد تطوَّر هذا الإضراب إلى ثورة دامية عنيفة بقيادة « فوزى القاوقجى » الذى نظَّم المعارك ، ومن أهم معارك هذه الثورة الكبرى معركة « نور شمس » فى ٢٣ يونية ١٩٣٦ . ومعركة « عين جارود » فى مرج ابن عامر ، وحاولت بريطانيا بكل ما أُوتيت من قوة وبطش أن تقمع الحركة بالتدمير والإبادة والنسف . حتى أبادت مدناً بكاملها ، كما أحرقت المزارع والقُرى وفرضت الأتاوات واستباحت الأموال والأعراض ومزَّقت المصاحف [١] .

وفى أوروبا : فإن حركة دقيقة التنظيم - تدعمها المساهمات المالية الكثيرة من المصادر الصهيونية - أقامت النفق السرى للهجرة إلى فلسطين ... جىء باليهود إلى موانئ ، البحر المتوسط ووُضعوا فى السفن ، وشُحنوا فى ظروف بالغة السرية ، وكانت نسبة كبيرة منهم من دول أوروبا الشرقية حيث كان « الكرملين » منذ الأربعينات قد بدأ لعبته « الشرق أوسطية » لزرع القلاقل فى العالم العربى . وقد برز دور كل من فرنسا والاتحاد السوفييتى ومنظومته الاشتراكية فى تكثيف ودعم الهجرة اليهودية .

وفى الولايات المتحدة : فإن رأياً عاماً مسموعاً عضَّد ودعَّم الهجرة الغير شرعية إلى فلسطين . وكانت منظمات - مثل « العُصبة الأمريكية من أجل فلسطين الحرة » ، « اللَّجنة العبرية للتحرير القومى » ، « لجنة العمل السياسى من أجل فلسطين » ، « اللَّجنة اليهودية الأمريكية » ، « اللَّجنة المسيحية الأمريكية من أجل فلسطين » .... إلخ - تجمع المبالغ الطائلة لدعم منظمات الإرهاب الصهيونية ، وكانت إعلاناتها المتنافسة تدافع عن الإرهاب وتضغط من أجل الحصول على الإعفاء الضريبى فى مساهماتها للمنظمات الإرهابية اليهودية التى أثارت الرعب فى فلسطين ، وقامت بالنسف والاغتيال والخطف مثل

---

(١) نفس المرجع ص ٢٦٦

« أرجون تسفاى ليومى » و « شتيرن » و « البالماخ » ... إضافة إلى عصابة « الهاجاناة » التى كانت تعتبر الجيش الرسمى « للوكالة اليهودية » .

وعُقِدَ فى نيويورك مؤتمر فى مايو عام ١٩٤٢ آخر برنامج الإرهابى اليهودى « دافيد بن جوريون » بدلاً من وايزمان ، وسُمِّى هذا البرنامج : برنامج « بلتمور Piltmore » ويقضى بإنشاء دولة يهودية فى فلسطين وفتح باب الهجرة وتكوين جيش يهودى .

وشكّل « مجلس الطوارىء الأمريكى الصهيونى » لجنة سُمِّيت « اللّجنة الأمريكية الفلسطينية » ، وكانت تضم مئات من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب والوزراء والمحافظين والشخصيات ذات النفوذ من كل مناحى الحياة ... وفى ديسمبر ١٩٤٢ طالب ٦٣ من أعضاء مجلس الشيوخ و ١٨١ من نواب الكونجرس فى بلاغ مشترك بضرورة « استعادة الوطن القومى لليهود » .

وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٥ كتب الرئيس « ترومان » خطاباً لرئيس الوزراء البريطانى « كليمنت أتلى » مقترحاً أن « تصدير مائة ألف مهاجر يهودى سيساعد على رفع مستوى وضع الهجرة اليهودية فى فلسطين » .

وزاد عدد اليهود من ١١ ٪ عام ١٩٢٢ إلى ٣٢ ٪ عام ١٩٤٥ . واستمر الاتحاد السوفييتى والدول التابعة له يشجعون الهجرة اليهودية . ولقد سمح الاتحاد السوفييتى بتمركز ٣٠٠ ألف مهاجر يهودى إلى فلسطين فى موانىء البحر الأسود الروسية فى أكتوبر ١٩٤٧

وتطوّرت الأمور عام ١٩٤٧ إلى أقصى حدود التفاقم بإصرار المنظمة اليهودية على أغلبية يهودية فى فلسطين ، وكان البريطانيون يقاومون كل الجهود لإجبارهم على اتخاذ سياسة جديدة ، وكان العرب يقاتلون اليهود والإنجليز فى وقت واحد .

وصدر قرار الأمم المتحدة « بتقسيم فلسطين » فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ على أساس دولة عربية ودولة يهودية بينهما اتحاد اقتصادى ومدينة « القدس »

تحت الوصاية الدولية ، وقد وضع هذا القرار أكثر من ٦٠ ٪ من أجود أراضى فلسطين ، ونصف مليون من مواطنيها تحت حكم الثلث اليهودى . وعند صدور قرار التقسيم كان يوجد فى فلسطين مليون ومائتى ألف من العرب فى مقابل ٦٢٥ ألف من اليهود . وصدر القرار بأغلبية ٢٥ صوتاً مقابل ١٣ وامتناع ١٧ عن التصويت ، وصوّتت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى معاً إلى جانب قرار التقسيم ، واختتم هذا القرار عمل ١٨ لجنة وبعثة على مدى ٢٥ سنة ، ومداولات فى الأمم المتحدة لمدة سبعة شهور . وكان قرار تقسيم فلسطين هو القضية الرئيسية الأولى والوحيدة التى عملت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى خلالها معاً فى تنسيق وثيق وتوافق تام منذ نشأة الأمم المتحدة . إن التفاهم الأمريكى الروسى بشأن فلسطين كان أعظم حادثة تاريخية هامة فى تاريخ الأمم المتحدة [١] .

وقبل أسبوع واحد من تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار التقسيم ، زار وايزمان الرئيس ترومان ليدعم الموقف الصهيونى وليتأكد من أن خليج العقبة - بوابة المحيط الهندى - لن يُسلخ من الدولة اليهودية .

يقول وايزمان إنه قوّى اتصالاته مع « أصدقائنا » فى واشنطن ودعّم طلبه بالاعتراف بالدولة اليهودية فور إعلانها . وفى يوم ١٣ مايو ١٩٤٨ كتب خطاباً شخصياً إلى الرئيس « ترومان » يطلب فيه من الولايات المتحدة الاعتراف الفورى بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة .

وفى ١٤ مايو أبرق « فرانك جولدمان Frank Goldman » رئيس « المنظمة الماسونية » المسماه « بناى برث B'nai B'rith » - التى كانت تضم معظم أركان الحكم فى البيت الأبيض - للرئيس ينصحه أن يأخذ المبادرة بالاعتراف بالدولة اليهودية الجديدة . وفى الساعة الحادية عشرة والنصف من ذلك الصباح استدعى الرئيس ترومان « إلياهو إبستين

---

(١) Alfred M. Lilienthal, What price Israel, p. 71 .

Elahu Epstein » - أول سفير إسرائيلى فى الولايات المتحدة - وكان عندئذ ممثلاً للوكالة اليهودية فى واشنطن ، وأخبره بأن الولايات المتحدة ستعترف بإعلان استقلال إسرائيل على أن يكون واضحاً بأن طلباً بشأن هذا الاعتراف يجب أن يُقدَّم أولاً [١] !!

وفى الساعة السادسة ودقيقة أُعلن عن قيام إسرائيل . وفى الساعة السادسة وإحدى عشر دقيقة منحت أمريكا الاعتراف . وكانت المعلومات أمام الرئيس ترومان خطاب مؤرخ فى ١٤ مايو ١٩٤٨ معنون فى أعلاه « الوكالة اليهودية لفلسطين » يقول : « إن هذه الدولة ستُقام عند منتصف اللَّيل » ، وكان موقعاً من « إلياهو إبستين » ممثل الحكومة الانتقالية والتى لم يكن لها وجود حينئذ . كانت السلطة الوحيدة القانونية فى فلسطين عند كتابة وتلقى ذلك الخطاب - الانتداب البريطانى . ولم يكد - فحسب - يجف حبر توقيع الرئيس حتى أُعلنت الحكومة الانتقالية . وبعد أربع وعشرين ساعة تقريباً من تصرف الرئيس ، المتسرع الغير لائق ، تلقت وزارة الخارجية الأمريكية برقية من الحكومة الانتقالية الإسرائيلية تطلب الاعتراف بها . وبعد دقيقة واحدة من منتصف اللَّيل فى ١٥ مايو ارتفع عَلَم إسرائيل على الوكالة اليهودية فى « واشنطون » . وأنهى المندوب السامى البريطانى « ألن كننجهام » ستة وعشرين عاماً من الانتداب ... وغادر « حيفا » [٢] .

ورقص الناس فى شوارع تل أبيب وواشنطن ونيويورك . وبكى الأمريكيون من الفرح . وغنُّوا الأناشيد القومية اليهودية . وأدُّوا الرقصات الفلسطينية .. كانوا يصيحون فى هوس محموم بالعبرية « مازلتوڤ Mazeltov » أى « حظ سعيد » . ولوَّحوا بالأعلام الإسرائيلية [٣] .

وعلى الجانب الآخر ، فى جميع العالَم العربى تداعى الناس للقتال ، وهرع

---

(١) What price Israel, p. 81 - 87 .

(٢) المرجع السابق .

(٣) نفس المرجع .

المتطوعون إلى الديار المقدسة ، وخرجت كتائب الجهاد الإسلامية من مصر فرحة محتسبة مستبشرة ، وهى تُردد نشيد « الحق الذى يحشد أجناده ويعتد للموقف الفاصل » وراحت تقاتل العصابات الصهيونية فى فلسطين ، وشاركها أفراد من ضباط وجنود القوات المسلحة المصرية ، استقالوا من مناصبهم قبل أن تدخل الجيوش المصرية بحوالى شهرين ، وقد خلعوا رتبهم ونياشينهم وذهبوا كمتطوعين فحسب ، مفضلين إحدى الحسنيين .

ثم أعلنت سبع دول عربية الحرب رسمياً : مصر وسوريا والعراق والسعودية والأردن واليمن ولبنان ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين فى ظروف بالغة التعقيد .

فى مصر كانت « حكومة النقراشى الماسونية » التى زوّدت جيشها بأسلحة فاسدة ، كان أحد سماسرتها ملك مصر نفسه « فاروق » . وهذه الحكومة التى دُشّن حزبها فى المحفل الماسونى « الشرق الكبير » كانت قد قصّرت فى الاستعدادات الحربية طوال الفترة التى انقضت ما بين صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة وبين قرار إرسال القوات المسلحة للتدخل ، وأنها لم تشتر دبابات رغم أنه كانت توجد عروض معقولة تتحملها ميزانية مصر حسب ما جاء فى لوم المعارضة لحكومة « النقراشى » فى الجلسة السرية التى عقدها البرلمان بمجلسيه فى ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ وناقش خلالها نتائج الحرب »[١] .

وكان قائد الفيلق الأردنى هو الجنرال الإنجليزى « جلوب باشا » الشهير بـ « أبو حنيك » تحت القيادة العليا للملك عبد الله الذى أُزيحت الأستار عن اتصالاته باليهود قبل وأثناء الحرب .

وكان الجيش العراقى مُقيّداً بالعبارة الشهيرة « ماكو أوامر » .

ولم يسلم الجيش السورى هو الآخر من عقبات مدبّرة على طريق القتال ،

---

(١) د . صلاح العقاد - جريدة الوفد : ٢ يناير ١٩٨٦

وباقى الجيوش لم تكن حالتها واستعداداتها أو طرق مواصلاتها تسمح بأى نوع جَدِّى من القتال .

ومع كل ذلك قاتلت الجيوش العربية التى تمكنت من القتال ، وألحقت هزائم متكررة باليهود ، ومعها قوات الفدائيين ، قتالاً شريفاً باسلاً ، رغم كثافة المعدات وتقدم السلاح الذى كان مع عدوهم . وقصفت المدفعية العربية « تل أبيب » ووصلت كتائب الجهاد المتطوعة إلى حوالى ستة كيلو مترات من عاصمة الكيان الصهيونى . واقترب النصر أو كاد ، وطلبت إسرائيل الهدنة بعد أسبوعين من بدء القتال ، وقد أُصيبت بالهلع والذُعر ، ووافقت الحكومات العربية ، وفى مقدمتها « حكومة السعديين الماسونية » التى كانت تحكم مصر - كبرى الدول العربية ، وجيشها وفدائيوها يُشكلّون أكثر من ثُلثى المشاركين فى القتال » !!

وتدفقت على إسرائيل الأسلحة والمعدات الحربية المختلفة بكميات هائلة وخصوصاً الطائرات والدبابات والمدفعية الثقيلة ، ورافق الأسلحة متطوعين من جيوش العالَم الأوروبى - شيوعى وليبرالى - قد خلعوا نسبتهم العلنية إلى جيوشهم الرسمية ، وجاءوا كمتطوعين !!

واستُؤنف القتال . ثم عُقدت هدنة أخرى انتهكتها إسرائيل فى أكتوبر سنة ١٩٤٨ فاضطرت بعض الجيوش العربية الى الانسحاب من مواقع كثيرة كانت قد سيطرت عليها ، وتقدمت العصابات الصهيونية لتغتصب أراض جديدة غير تلك الواردة فى قرار التقسيم ، وفى خلال الهدنة حدثت مذبحة « دير ياسين » حيث دهم اليهود تلك القرية واغتالوا جميع من فيها أطفالاً ونساءً وشيوخاً ، وكانوا عزلاً من السلاح !!

وانتهت الحرب بالهزيمة والنكبة ، وتم توقيع اتفاقية أو هدنة « رودس » فى فبراير عام ١٩٤٩ . وخُلِعَ نحو مليون عربى من ديارهم وشُرِدوا .

ولم يتبق من فلسطين عندئذ على ساحل البحر المتوسط بمدنه التاريخية :

« عكا » و « حيفا » و « يافا » و « قيصرية » و « أسدود » و « المجدل » إلا مدينة غزة وشريط ضيق حولها ، وهو ما عُرِفَ « بقطاع غزة » ، وقد وُضِعَ تحت الإدارة المصرية المؤقتة ، وأما فى الداخل فلم يتبق إلا القدس الشرقية وقطعة من الأرض شرقى فلسطين ، من جنين إلى الخليل ، وهو ما عُرِفَ باسم « الضفة الغربية » ويسميه اليهود « يهودا والسامرة » ، وقد ضمها عبد الله إلى « إمارة شرق الأردن » ليكوِّن منهما « المملكة الأردنية الهاشمية » ، وليترقى هو من « أمير » إلى « ملك » . وهكذا قامت إسرائيل الأولى ، إسرائيل عام ١٩٤٨ ، على امتداد ساحل البحر المتوسط من شمال « غزة » إلى ما بعد « نهارية » مع حدود لبنان ، وعلى السهل الساحلى والسهل الداخلى ووسط فلسطين وصحراء النقب ... منطقة تمتد من شمال « سهل الحولة » عند لبنان حتى « خليج العقبة » !!

وقبل أن نترك هذا الموضوع إلى موضوع آخر فى هذا البحث ، لا بد لى من ثلاث وقفات : الأولى عن « دور الشيوعيين » فى هذه الحرب ، والثانية عن « حكاية » أوردها « حسن التهامى » - أحد الضباط الذين شاركوا فى هذه الحرب ، والثالثة عن « تعليل » محمد حسنين هيكل « للهزيمة » التى نتجت عن الحرب .

● أما الشيوعيون فكعملاء لليهودية - فكراً وتنظيماً - فقد قاموا بدور « الطابور الخامس » فى محاولة فاشلة لتثبيط الروح المعنوية . فألقوا بمنشوراتهم الخسيسة التى تقول : « أيها العمال والفلاحون العرب واليهود : اتحدوا ضد البرجوازية العربية واليهودية ، ولا تشتركوا فى الحرب الرجعية ، بل اعملوا على قيام المجتمع الاشتراكى ، وصولاً بالثورة الشيوعية إلى الأممية البروليتارية » !!

قيىء عملاء نتن لا يحتاج الى تعليق .

● يروى « حسن التهامى » - الذى يصفه هيكل بأنه « عضو الخلية الأولى

التى شكلها جمال عبد الناصر فى تنظيم الضباط الأحرار » - حكاية ذات دلالة معينة ، تلقى بألف علامة استفهام . وأشهد أننى لم أجد مدخلاً واحداً لخيط من الضوء ، يُبدِّد بعض تلال الشك أو يقترب من كشف « شفرة » الألغاز ، لمغزى هذه الحكاية !

فقد نشر « حسن التهامى » مقالاً فى صحفية « الأهرام » بعنوان « زيارة القدس » ، عقب « الزيارة التاريخية !! » التى رافق فيها أنور السادات فيما سُمِّى « مبادرة نوڤمبر ١٩٧٧ » ، ذكر فيه أنه أثناء حصاره مع جمال عبد الناصر فى « الفالوجة » فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فوجىء بجمال عبد الناصر يعطيه تفاحة وبرتقالة ، فلما سأله مستغرباً عن مصدرها ، أجابه بأن « إيجال يادين » قائد القوات الإسرائيلية التى كانت تحاصر الموقع أرسل له صندوقاً من التفاح وصندوقاً من البرتقال !!

وظل ذلك لغزاً عند التهامى حتى جاءت زيارة القدس عام ١٩٧٧ . فأراد التحقق من الواقعة . وفى مأدبة العشاء التى أُقيمت فى فندق « الملك داوود » على شرف السادات ومرافقيه ، وحضرها الوفدان المصرى والإسرائيلى ، وبين طبقى الطعام الأول والثانى ، سأل التهامى « إيجال يادين » - نائب رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت - عن واقعة إرسال التفاح والبرتقال لجمال عبد الناصر ، فأجابه « يادين » بأن ذلك حدث فعلاً وأن جمال عبد الناصر كان صديقاً له ، وكان يعلم أنه يحب الفاكهة والحلوى فأرسل له هدية عبارة عن صندوق من التفاح وصندوق من البرتقال وصندوق من الشيكولاتة !!

تُرى هل كان « إيجال يادين » قائد معركة « الفالوجا » ومحاصرها ومنسِّق العمليات العسكرية بين « الهاجاناة » جيش « الوكالة اليهودية » وبين إرهابى منظمة « أرجون » أثناء الاستيلاء على « يافا » ، والذى خطَّط مع « بيجن » و « جيدى » مجزرة يافا البشعة ، لتنفيذ خطة سُمِّيت « الفرار الوبائى » و « الهرب الأكبر » للأطفال والنساء والشيوخ ومن تبقى من غير حاملى السلاح

بعد المجزرة ... أكان « يادين » ذلك مشغولاً حتى برفاهية عدوه وهو يحاصره ، والاثنان يحاربان حرب بقاء أو موت !؟

خبء ذلك عند أصحابه !!

● كتب هيكل - فيلسوف ومُنَظِّر النظام الناصرى المهزوم - مقالاً فى « الأهرام » ، فى بداية النصف الثانى من عقد الستينات - عقد الهزيمة اللعين - وقبل نكبة ١٩٦٧ بعام أو بعض عام ، التى أسماها « القائد الخالد » !! نكسة !! ووصفها الدكتور رشوان فهمى بأنها « وكسة » . يقول هيكل فى سخف من القول ما فحواه أن سبب هزيمة سنة ١٩٤٨ أن مصر والبلاد العربية لم تكن فى حالة اشتراكية !! وأن الرجال الذين تركوا أوطانهم وراحوا يحاربون فى فلسطين لم يكن لديهم شيء يملكونه أو يحرصون عليه أو يدافعون عنه من أجل هذه الأوطان !! ثم يخلص إلى القول - فى تندر وسخرية - ومن ثَمَّ لم يكن لديهم إلا « وعد بالجنة بعد الموت » !!

وهكذا حوَّل هيكل الوطن ، بكل عوامل الانتماء إليه ، من تاريخ مشترك وثقافة جامعة وأهل وأرض آباء وأجداد ومقام أبناء وأحفاد - حتى من وجهة نظر علمانية بحتة - إلى مجرد سوق صنعته « البرجوازية » أو خرافة « ميتافيزيقية » بثَّها الإقطاعيون وأصحاب رؤوس الأموال فى أدمغة الكادحين فصدَّقوها وراحوا يدافعون عن أوطان الملاَّك ، أى أن دفاع « الأُجراء !! » المضطهَدين عن أوطانهم هو دفاع مرتزقة ، دُفِعوا بالقوة إلى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل (إلا حكاية الجنة بعد الموت) ، قد فرغت معداتهم من عوامل الانتماء ، ومن ثَمَّ كانت الهزيمة !!

وقبَّح اللّهُ الكذب وأهله .

ومع الافتراض الهيكلى - الكاذب بالطبع - بأن كل أرض مصر كان يملكها الإقطاع على النسق الأوروبى القديم ، وأن كل الذين ذهبوا أو أغلبيتهم الكثيفة كانوا من المساكين الشحَّاذين الذين لا يملكون بيتاً أو قيراطاً من الأرض ، ولا يجدون مأوى فى شقة أو غرفة ، عاطلين ومحرومين من العمل الحر فى حقل

أو مصنع أو شركة أو حتى فى دواوين الحكومة ... مع هذا الافتراض ، فإن الرد العملى على هذه المقولة الداعرة قد انقضّ على النظام وفلسفته وصاحبه ومُنَظِّره ، صباح الخامس من يونية ١٩٦٧ ، وفى عز الاشتراكية ، وبعد الثورة الثانية التى صفّى بها الزعيم بقايا الإقطاع حيث هدد بأنه مستعد « أن ألبس البدلة الكاكى وأعمل ثورة جديدة » !! ولم يعد هناك إقطاع - يُعيق النصر - حيث امتلأت بهم سجون « لجنة تصفية الإقطاع » برئاسة « المشير » المنتحر !! وأصبح الشعب كله اشتراكى ، وقطاع عام ـ كمان !!

بل لم تعد هناك « رجعية إسلامية » !! تتحدث عن حكاية الجنة بعد الموت ، ولا « تتاجر بالأديان » ، بعد أن حُجِبت عن المجتمع « التقدمي » ، ووُضِعت في السجون والمعتقلات ، وقصفت المشنقة الرسمية الرؤوس ، وغيبت « أكياس النايلون » غير الرسمية - المطمورة في صحراء العباسية بمن في داخلها - مَنْ مُزِقوا في التعذيب ، ولم يُعلن حتى اليوم عن « فرارهم » !! من مستودعهم في « مكان أمين » !!

وأيضاً - أصبح الفكر والثقافة والتوجيه الإعلامي والتربية والتعليم والتنظيم المعلن والتنظيم الطليعي السري ، اشتراكي حتى النخاع .. وغنّت « أم كلثوم » للقائد المُلْهَم « لم تعطنا الدنيا سواه .. ولا نريد لها سواه .. وسلمت يداه » !!

وإذا كان العامل الديني أو الروحي أو المعنوي غير مفهوم عند مُنَظِّر النظام السابق وتلاميذه . فإنني أحيله - ليس إلى « التراث الإسلامي » ، لأنه رجعي ، أو حتى إلى « التاريخ الفرعوني » - بل إلى واحد من أبرز قادة العدو الذي حاربنا عام ١٩٤٨ ، ووقعنا معه الصلح عام ١٩٧٨ ، إلى « مناحيم بيجن » .

يتحدث « بيجن » عن مغزي « الأحجار القديمة » في « حائط المبكي » ، الذي زعموا أنه كان جداراً في « مملكة داوود » !! بمناسبة صدور حكم عام ١٩٢٩ ينص على حق المسلمين في امتلاك حائط المبكي ، ومحاولة الإنجليز منع اليهود من إطلاق « الشوفار » عند الحائط .. فيقول :

« ربما كان النزاع حول حائط المبكي والمدينة القديمة انعكاساً للكفاح من أجل امتلاك أرض إسرائيل ، ولعله من قبيل الإنصاف للسلطات البريطانية أن يُقال إنها كانت تدرك تماماً القيمة السياسية للرموز التقليدية ، فقد كان باللُّغة الإنجليزية - لا اللُّغة العبرية - أن كتب « دزرائيلي » أن الناس إما أن يُساسوا بالقوة أو بالتقاليد ، ولهذا وجهت السياسة البريطانية محاورها إلى قلب التقليد اليهودي ، كما استخدمت العرب والمسلمين في أنحاء أُخرى . وكالمعتاد ، شُكِّلت لجنة تحقيق أصدرت « حكمها » - هذه المرة - في صورة أمر مجلس شورى لسنة ١٩٢٩ ، كُتب في سفاهة بالغة ، ونص على أن « للمسلمين الحق المطلق في امتلاك حائط المبكي علاوة على الحق في ملكية الساحة المجاورة والمنطقة التي تطل على الحائط » ، كما نص على أنه « محظور » على اليهود أن يُطلقوا « الشوفار » عند حائط المبكي .

« فرض البريطانيون المشهود لهم بمراعاة القانون هذا الحظر بحكم الدين . وإذا كان القانون الذي أصدروه قد حكم بأن حجارة الحائط الغربي من الهيكل العبري تخص مسجد المسلمين القائم على أنقاض ذلك الهيكل ، فلا راد لحكم هذا القانون بطبيعة الحال . تقليد مقدس ! شاهد حي على الماضي المجيد ! ميثاق حقوق منقوش على الحجر القديم ! لكل هذه الأسباب يجب أن تؤخذ حجارة الحائط من اليهود قطعاً . ومما ساعد على تحقيق هذا الغرض أن كان من بين اليهود أنفسهم حلفاء غير منتظرين للعدو كانوا يجادلون في زعم « تقدمي » كاذب بأن بضع بقرات أصيلات خير من كل هذه الحجارة .

« لكن الحجارة القديمة نفسها تدحض هراء أولئك التقدميين العاطفيين الذين يحاولون أن يُدخلوا في روع الأجانب أنهم متحررون من التحزب العتيق . إن هذه الحجارة ليست صامته . إنها لا تجأر بالقول ، ولكنها تهمس . إنها تتحدث في رقة عن السبب القديم الذي كان قائماً هنا يوماً ، تتحدث عن الملوك الذين ركعوا هنا في صلواتهم ، تتحدث عن الأنبياء والرسل الذين هبطت عليهم رسالاتهم ، تتحدث عن الأبطال الذين سقطوا هنا شهداء ، وتتحدث كيف أن

الشعلة العظيمة ، التي كانت مطفأة تارة ومضيئة تارة أخرى ، إنما أشعلت هنا ، كان هذا المنزل ، وهذا الإقليم ، برسله وملوكه ومحاربيه ، ملكاً خالصاً لنا قبل أن يكون البريطانيون أمة . إن شهادة هذه الحجارة ترسل ضوءها عبر الأجيال .

« منذ السنوات الباكرة من سنى استعباد شعبنا كان حائط المبكي مستودع حنين هذا الشعب ، ولا ندع المتهكمين الساخرين يثرثرون ويهذون عن « التصوف » و« المتصوفين » . إن صوت التاريخ ما هو بالشيء الخفى الذي لا يدركه العقل . إن هو إلا عامل قدير في الحقيقة والواقع - ذلك هو الصوت الذي أرادت الحكومة البريطانية أن تُسكته فأصدرت القانون الذي يمنع اليهود من إطلاق « الشوفار » عند حائط المبكى . ولما تجاهل اليهود ذلك الحظر - كما فعل أتباع « يابوتنسكي » ثلاث عشرة سنة متعاقبة - كان هذا المشهد البشع المهين المستفز . رأيتُ ذلك المشهد بعيني رأسي يوم « عيد الفداء » سنة ١٩٤٣ عندما كنا نُصلّي أنا وزُمرة من الأصدقاء عند الحائط .

« كانت الشمس على وشك المغيب . ارتفع صوت جماعة المُصلّين اليهود النادمين عالياً ، كانت تلك صلاة الختام في المكان المقدس ، وكان الوقت وقت المحنة الكبرى في أوروبا ، وحينئذ اندفع رجال الشرطة البريطانيون المسلّحون بالبنادق والهراوات من كلا جانبي الساحة . وقفوا بين المُصلّين يهددونهم بوجودهم . لقد جاءوا « باسم الملك » ليحولوا دون عمل غير مشروع : إطلاق « الشوفار » في ختام سبت الأسباب . وعندما قاربت الصلاة نهايتها اندس رجال الشرطة أكثر فأكثر بين جموع المُصلّين ، بل إن بعضاً منهم أخذ طريقه إلى الحائط ، وعندما سُمِعَ صوت « الشوفار » رغم أنوفهم انفجر غضبهم . أطبقوا على المصلين - بينما كات الصلاة قائمة - وأخذوا يضربون على الرؤوس ، فكان صوت الهروات يُدوِّي في الهواء . هنا وهناك تسمع صيحات المصابين . انبثقت أنشودة « هاتيكفاه » . أخذ البوليس يضرب حينئذ في جميع الاتجاهات . وعمّت الفوضى . ثم انسحبوا أخيراً .

« في تلك اللّيلة وقفنا بجانب حائط المبكي . منكسرة قلوبنا أكثر مما نزل بنا من إصابات . وكنا نقول لبعضنا البعض : « هذا هو الاستعباد بعينه » . إن ما لم يجرؤ ممثلو الروم أن يفعلوه بالأمس يفعله مندوبو بريطانيا اليوم . إن ما رفض أسلافنا أن يتحملوه من الطغاة الأقدمين . وإن دفعوا ثمن هذا الرفض من أرواحهم وحريتهم ، يتحمله اليوم جيل اليهود الذي يصف نفسه بأنه آخر عهود الظلم وأول عهود الخلاص . إن شعبنا الذي لا يحمي أماكنه المقدسة - بل ولا يحاول أن يحميها - ليس شعباً حراً مهما ثرثر عن الحرية . إن الشعب الذي يسمح لأقدس بقعة في أرضه ويسمح لأقدس مشاعره أن تُداس تحت الأقدام ، ليس إلا شعباً من الأرِّقاء ، أرقاء الروح . ولقد عقدنا العزم ونحن وقوف هناك ، وحينذاك ، على أن نُطهِّر شعبنا من هذا العار ، وعلى أننا إذا ما أُوتينا القوة فإننا سوف لا نسمح لأتباع الطغاة أن ينتهكوا حرماتنا المقدسة ويزعجوا المُصلِّين . ويُدنسوا عيدنا » [1] .

أما عن العوامل الدينية والتاريخية والروحية والتشريعية والتراثية فيقول « مناحيم بيجن » في ليلة السبت ١٥ مايو ١٩٤٨ - ليلة قيام إسرائيل وهو يخاطب « شعبه !! » من خلال محطة الإذاعة :

« بعد سنوات طويلة من حرب المقاومة ، سنوات عديدة من الاضطهاد والمعاناة الروحية والجسدية ، يقف المتمردون على الطغيان أمامكم الآن وآيات الشكر على ألسنتهم ، والصلوات الطيبات ملء قلوبهم . إن آيات الشكر هذه قديمة قِدَم الزمن ، فهى التي كان يرددها آباؤنا وأجدادنا تحية للأعياد المقدسة ، وبها كانوا يتذوقون الثمار لأول مرة في موسم الفاكهة . واليوم يوم عيد مقدس حقاً ، وها هى ذي ثمرة جديدة ماثلة أمام ناظرينا . إن التمرد العبري في السنوات ٤٤ - ١٩٤٨ قد كُلِّل بالنجاح ، وهو أول تمرد منذ ثورة الحشمونيين التي تُوِّجت بالنصر ، هُزِم حكم الطغيان في بلدنا ، لقد هُزِم وانهار وتفرَّق وهبَّت

(١) مناحيم بيجن ، التمرد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص ١٤١ - ١٤٣

دولة إسرائيل في معركة داسية ، وبذا رُسِمَ طريق العودة الشاملة إلى صهيون .

« لقد وُضِعَ الأساس - مجرد أساس فقط - للاستقلال الحقيقي . انتهت مرحلة من مراحل المعركة من أجل الحرية ومن أجل عودة شعب إسرائيل قاطبة إلى أرض الوطن ، معركة استرجاع أرض إسرائيل المقدسة إلى أصحابها الذين وعدهم الله بها . وما تلك إلا مرحلة واحدة فقط .

« .....

« ألا إن كل واحد منا في حاجة إلى سلاح من نوع آخر بالإضافة إلى هذه الأسلحة المادية - سلاح روحي ، سلاح التحمل الذي لا تزعزعه الهجمات من الجو ، سلاح تكبد الخسائر الفادحة ، سلاح الصمود أمام الكوارث المحلية والهزائم الوقتية ، سلاح المقاومة الراسخة في مواجهات التهديدات والمداهنة .

« ..... والآن وفي هذا الوقت بالذات تحكمنا حكومة عبرية في جزء من وطننا ، وطالما كان هناك قانون عبري في هذا الجزء من وطننا - وذلك هو القانون الشرعي الوحيد في هذا الإقليم - فلا حاجة بنا ، بعد ، إلى مقاومة عبرية . سنكون جنوداً وبنّائين في دولة إسرائيل ، وسوف نحترم حكومتها لأنها حكومتنا .

« لقد قامت دولة إسرائيل ، ولكن يجب أن نذكر أن إقليمنا لم يتحرر بعد ، وستستمر المعركة ، وها أنتم ترون الآن أن كلمات محاربي « أرچون » لم تكن عبثاً . إن الأسلحة العبرية هي التي ستُقرِّر حدود الدولة العبرية . هكذا كان الحال في هذه المعركة ، وهكذا سيكون في المستقبل . إن الأرض التي وعدنا الله بها أرض موحّدة ، وإن أية محاولات لتمزيق أوصالها ليست جريمة فحسب ، بل إنها كفر وضلال . إن من لا يعترف بحقنا الطبيعي في إقليمنا بأجمعه لا يعترف بحقنا في أي جزء منه . وسوف لا نتنازل عن هذا الحق الطبيعي . وسوف نظل عاملين على توطيد تطلعاتنا إلى الاستقلال التام . يامواطني دولة إسرائيل ، ويا جنود إسرائيل ، إننا في وسط المعارك ، وإن أمامنا أياماً شاقة .

« لا يمكن أن نشتري السلام من أعدائنا بالمصالحة . إن هناك نوعاً واحداً من السلام يمكن أن يُشترى - إنه سلام المقبرة ، سلام « تريبلينكي » . ولتكونوا شجعاناً في هممكم ، مستعدين لمزيد من الابتلاء ، ولسوف نصمد وسوف يكون الله في عوننا ، يحفظ الشباب العبري الباسل ، ويُعين الأمهات العبريات على تقديم أولادهن - كما فعلت « حنا » - إلى مذبح الرب .

« .....

« سوف نمضي قُدماً في طريقنا إلى المعركة ، جند الله ، تلهمنا أرواح أبطالنا الأقدمين من غزاة « كنعان » إلى متمردي « يهوذا » وترفرف علينا أرواح هؤلاء الذين بعثوا أُمتنا بعثاً جديداً بعد مواتها : زيف بنيامين هرتزل ، وماكس فوردو ، وجوزيف ترمبلدور ، وأبو البطولة العبرية الثائرة زيف يابوتنسكي ، ولسوف تكون في رفقتنا أرواح داڤيد رازيل أعظم قوّاد اليهود في أيامنا ، ودوف جرونر أحد الجنود العبريين الأبطال ، كما ستكون في صحبتنا إلى المعركة أرواح أبطال المشانق وغزاة الموت ، وسترافقنا كذلك أرواح الملايين من شهدائنا ومن أسلافنا الذين ذاقوا العذاب وحُرقوا في سبيل إيمانهم ، ومن آبائنا الذين قُتلوا وأُمهاتنا اللائي ذُبحن وأُخوتنا الذين قُتلوا وأطفالنا الذين خُنقوا . سوف نحطم العدو في هذه المعركة ونُخلّص شعبنا الذي قاسى في أفران التعذيب متعطشاً إلى الحرية ، ومتحرقاً إلى العدل والإنصاف » [1] .

ما كان أغنانا عن إحالة أحد « بني قومنا !! » إلى شهادة « مناحيم بيجن » ، فننقل عنه كلاماً ، على النفس ثقيل .. ونحن أُمة انبثقت أساساً من دين .

إن الهزيمة لم تكن بسبب رجال عانوا من « عدم الاشتراكية » !! بل بسبب عملاء الماسونية العالمية ، ووكلاء القوى المسماة بالعظمى ، الذين ابتُليت بلادنا بحكمهم ، ووُظفوا أصلاً لأداء ذلك الدور المرسوم ، بما في ذلك الذين جاءت بهم دبابات النصف الآخر من الليل في حراسة « العم سام » !!

* * *

(١) مناحيم بيجن ، التمرد ، ص ٤٨٤ - ٤٨٨

الماسون على دبابات النصف الآخر من اللّيل
فى حراسة العم سام !!

انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، وأصبح الغرب الأوروبي ضعيفاً من الوجهة الاقتصادية والعسكرية . وشاخت بريطانيا وفرنسا وصارتا أقل مقدرة على تدعيم الإمبراطوريات . وأمسكت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بدفة العالم .

وفي ٢١ فبراير ١٩٤٧ قدّمت السفارة البريطانية في واشنطن مذكرتين إلى وزارة الخارجية الأمريكية تعلن فيهما نهاية الوصاية البريطانية في الشرق الأوسط ، في نفس اليوم الذي كان فيه وزير الخارجية الأمريكي « جورج مارشال » يُلقي أمام حشد من الشباب الأمريكي في « برنستون » خطبة يوضّح فيها « الدور الذي أصبح على الولايات المتحدة أن تلعبه في العالم بعد أن تغلغلت في كل أركانه جغرافياً ومالياً وعسكرياً وعلمياً . ودعا الأمريكيين حيال وضع كهذا لأن يرتفعوا إلى مسئولياتهم لضمان أمن وسلامة العالم » !!

وإذا كانت بريطانيا وأمريكا - مدعومتان من روسيا السوفييتية - قد تبادلتا الأدوار الأولى في تمهيد الطريق أمام « الأفعى » ودعمها حتى وصل الرأس إلى « صهيون » ، وفق مراحل زمنية خططها « المحفل الكونى الماسونى » ، تختص كل واحدة من القوى الاستكبارية بالدور الأول فى هذه المرحلة أو تلك ، وتوافقت أشكال أنظمتنا الحاكمة - الغطاء المحلي - مع تلك المراحل .. فإن الدور الأول قد جاء الآن على الولايات المتحدة الأمريكية لحراسة « الأفعى » وتوسيع مجال حركتها وتأمين لولبها !!

وبدأت الولايات المتحدة تواجه حرباً أطلق عليها الأدميرال « ساورز » مدير المخابرات المركزية وقتئذ - اسم « الحرب التي لا كالحروب » .

وكان الارتفاع إلى مسئولية ضمان أمن وسلامة العالم ومواجهة الحرب التي ليست ككل الحروب هو التدخل الخفي في شئون الشرق الأوسط ، والعالم العربي في المقام الأول ، حيث كانت أمريكا تواجه في سنة ١٩٤٧ ما أسماه « مايلز كوبلاند » : « مشكلة النزاع العربي الإسرائيلي » !!

ووُضعت في واشنطون قواعد « لعبة الأمم » . وأشارت مذكرات الحكومة الأمريكية عام ١٩٤٧ بوضوح وتأكيد إلى أن أجهزة المخابرات والسلك الديبلوماسي كانت على وشك القيام بتغييرات في قيادة بعض دول الشرق الأوسط باللجوء إلى تغيير اللاعبين الذين يُشكّلون حَجر عَثرة في طريق السياسة الأمريكية ، واستبدالهم بآخرين أكثر انسجاماً مع الظروف الراهنة !!

يقول « مايلز كوبلاند » :

« ولكن أين نبدأ ؟ لا يمكن أن نبدأ في تركيا أو اليونان ، فالبلدان حليفان لنا ويريدان ما نريده نحن . وقياداتهما تسهران على رعاية أهدافنا المشتركة ، كما أننا لا يمكننا أن نبدأ في إيران لأننا في انسجام وتفاهم مع قيادتها . وبالتالي فلم يبق أمامنا سوى العالم العربي الذي بدأت الأمور تتفاقم بيننا وبينه ، وأن استلام مقاليد الحكم من أشخاص ذوي ثقافة أوسع وإدراك أعمق سينقل هذه الأقطار العربية من صف المناوأة إلى صف الموالاة لنا » .

أما الهدف فهو « التوصل إلى أي تسوية حول مشكلة فلسطين » ..« وكان وضع القيادات العربية في عام ١٩٤٧ مبرراً كافياً للتدخل بشئون العالم العربي » .

لكن في أي الأقطار العربية تجري التجربة ؟!

ولم يستطع الأمريكان أن يبدأوا من العراق لأن الفريق المكلّف بالتنفيذ لم يستطع مباشرة ذلك دون علم البريطانيين وموافقتهم ، كما أن حكومة المملكة العربية السعودية - رفضت كافة اقتراحاتهم لتغيير طريقة الحكم فيها . وأسقطوا من حساباتهم التدخل في شئون لبنان والأردن ومصر لاعتبارات شتّى . وبحساب البواقي لم يبق أمامهم إلا سوريا .

واستُغلت ظروف انتخابات ١٩٤٧ لمحاولة « إفساح المجال أمام مجموعة من الزعماء على شيء من الذكاء والحنكة والتعاون للوصول إلى سدة الحكم واستلام مقاليد الأمور »[١] .

وقام فريق من العملاء السريين بالمساعدة في هذا المجال دون الظهور بمظهر المؤيدين للمرشحين الموالين لنا . وقامت الشركات الأمريكية الخاصة بالتعاون مع أفراد الجالية الأمريكية وبعض الإرساليات التبشيرية هناك . وتمكّن رئيس إرساليات طائفة الكنيسة الإصلاحية (ميثودية) ، أن ينتزع وعداً من أكبر اتحاد للمثقفين الأكراد بأنهم وزملاءهم لن يقوموا باستغلال أصوات الأميين الأكراد ويكتبوا لهم على أوراق الاقتراع أسماء مرشحي الاتحاد .

وتضمنت خطة التحركات النقاط التالية :

١ - حملة دعائية قامت بها إحدى شركات البترول الأمريكية .

٢ - ترتيبات أُعدت مع بعض مكاتب سائقي السيارات العمومية لنقل الناخبين مجاناً إلى أماكن الاقتراع .

٣ - تزويد مراكز الاقتراع الرئيسية في المدن بآلات أُوتوماتيكية لتسجيل الأصوات حتى تغدو الانتخابات السورية كمثيلاتها في أمريكا تماماً .

وجاءت نتيجة الانتخابات السورية مُخيِّبة للآمال . ولم يفز عملاء الأمريكان . « من جملة الأسباب غضب العرب لاعتقادهم أننا كنا نساند الصهيونية - وهذا صحيح مهما كان المبرر لذلك - ومن ثَمَّ إسرائيل بشكل مفضوح لا تحرج فيه ولا حياء »[٢] .

وأُعلن عن قيام إسرائيل في ليلة ١٥ مايو ١٩٤٨ . ودخلت الدول العربية الحرب وخسرتها على ما سبق أن عرضنا في الفصل السابق .

---

(١) لعبة الأمم - مايلز كوبلاند - تعريب مروان خير - مكتبة الزيتونة ، بيروت ، ص ٦٥ - ٦٦

(٢) لعبة الأمم ، ص ٦٧ - ٦٩

وعجزت أمريكا وريثة الاستعمار الغربي أن تقنع الأنظمة العربية التقليدية لكي تقبل الغرس الزنيم وتُسلّم بالكيان الغريب ، لأن تلك الأنظمة ما كانت لتستطيع - وهى المتهالكة المهترئة - أن تقود جماهير الأمة إلى ذلك الهدف المشبوه . وفشلت التجربة الأمريكية لاحتواء سوريا من خلال التغيير « الديمقراطي » على طريقة الانتخابات .

« وفي تلك الأيام كان الاعتقاد السائد عند كبار موظفي وزارة الخارجية أن الفراغ الذي حدث نتيجة الانسحاب البريطاني من المنطقة ، بالإضافة إلى موقفنا المؤيد للصهيونية في فلسطين - والذي لا مفر منه - قد حصر أهدافنا هناك ضمن حدود بذل قصاري جهدنا لتقليل الخسارة وتخفيف حدة الفشل » [1] .

فراحت أمريكا تقوم بإجراء « المناقصات » لبناء زعماء جدد يمتصون غضبة الجماهير ونقمتها « ببذاتهم العسكرية » وصرخاتهم التهريجية « ونباحهم الإذاعي الاستهلاكي » والمحسوب المدى ، يصرفون حمية الشعوب المحيطة بالكيان الصهيوني ، ويحوّلونها إلى « مسارب » معينة في معارك مصطنعة وقضايا كاذبة ، وحروب « قومية » !! « ثورية » !! « تقدمية » !! « اشتراكية » إلى آخر هذه المعزوفة ، على طريقة الصرف والري حتى ينمو الكيان اليهودي ويزدهر ، آمناً مطمئناً ... وحركة الجماهير « محبوسة محسوبة » في أيدي « الأخوة الصغار » !! « ثوارنا » .. مؤمّني اللّولب !!

وجاءت النُخبة العسكرية في بلاد الشرق الإسلامي على « دبابات النصف الآخر من اللّيل » بتخطيط وتنظيم وحراسة « العم سام » !!

وكانت « سوريا » - وللمرة الثانية - هى حقل التجربة ..

وكانت الخطة عبارة عن حركة يقوم بها الجيش السوري بدعم سري بقصد الإطاحة بالنظام القائم .. وكان انقلاب « حسني الزعيم » .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧١

يقول مايلز كوبلاند :

« كان انقلاب حسنى الزعيم يوم ٣٠ آذار (مارس) ١٩٤٩ من اعدادنا وتخطيطنا . فقد قام فريق العمل السياسي بإدارة الميجر « ميد » بإنشاء علاقات صداقة منتظمة مع حسني الزعيم ، الذي كان رئيساً لأركان الجيش السوري . ومن خلال هذه الصداقة أوحى الميجر « ميد » لحسني الزعيم بفكرة القيام بانقلاب عسكري اضطلعنا - نحن في السفارة - بمهمة وضع كامل خطته وإثبات كافة التفصيلات المعقدة . إلا أن تحركاتنا هذه لم تثر أكثر من شكوك عند الساسة السوريين ، فقد كانت كلها سرية ومتقنة الوضع والتخطيط . وأثارت هذه الشكوك - فيما بعد - فضول رجال الصحافة الغربيين وفئات من الطلبة فقاموا بإجراء مقابلات مع مَنْ كان لهم ضلع في العملية ، كما قاموا بفحص الوثائق التي لها صلة بالموضوع . وكانت نتيجة ذلك أن اعترفوا بصحة شكوك الساسة السوريين ودقتها . بيد أن الانقلاب حافظ على صيغة سورية محضة أمام أنظار العالَم الخارجي إلى أن بدأت الروائح تفوح منه وأخذت الألسن تتناقل « أن حسني الزعيم ليس أكثر من مجرد صبي من صبيان الأمريكان »[١] .

وظن الأمريكان أن الباب قد « فُتِحَ على مصراعيه » أمام السلم والتقدم نتيجة انقلاب « الزعيم » ... والسلم والتقدم الذي يعنيه الأمريكان هو القبول السوري بالكيان الإسرائيلي والصلح مع دولته التي أُعلنت منذ أقل من عام . ولم يكن في استطاعة حسني الزعيم أن يفعل ذلك . وكان محور حركته ذاته ومنصبه الرفيع . بانت الحقيقة وهى أن حسني الزعيم أصبح لا يمثل أكثر من نفسه سواء في علاقاته مع مناصريه الأمريكيين ، أو في طبيعة معاملته للشعب السوري ... أما الجماهير السورية فكانت تطالب بالثأر .

« وفي اليوم الثاني للانقلاب ، أمضى الميجر « ميد » ساعات طويلة مع حسني الزعيم وهو يُحدِّد له أسماء أولئك الذين يجدر أن يكونوا في مناصب

---

(١) لعبة الأمم ص ٧٣

ديبلوماسية ، ومن يجدر به أن يكون سفيراً في قاعة سان چيمس (البلاط البريطاني) وما هى وجبات الطعام التي يجب أن تُقدَّم إلى الرئيس القوتلي في سجنه حتى لا تلتهب القرحة في معدته . وما أن أُذيع الاعتراف الأمريكي بنظام الحكم الجديد حتى بدا حسني الزعيم وكأنه رجل جديد لا يَمُتُّ إلى الماضي بصلة . فقد أبلغني الميجر « ميد » في أحد الأيام فجأة أن علينا أن نتمثل له قياماً كلما دخل القاعة ، وأنه من الضروري تبديل كلمة « أنت » بكلمة « أنتم » في سياق خطابنا له (وكان يتكلم الفرنسية) بل ويُستحسن استبدالها بكلمة « صاحب الفخامة » . وباستثناء هذه الأمور الثانوية فلقد بقيت علاقاتنا معه ودية لآخر أيامه . إلا أنه بدأ يتضح لنا أننا قد أغفلنا أمراً ضرورياً جداً عند رسم خططنا ، وأن الوقت قد حان لبدء البحث عن رجل آخر يحل محل حسني الزعيم الذي لا محالة قد اقترب من نهايته » [1] .

وجاء الرجل الآخر ... وجاءت معه وبعده سلسلة من الانقلابات السورية الشهيرة !!

« وفي صبيحة الرابع عشر من شهر آب (أغسطس) ١٩٤٩ قامت مجموعة من أصدقاء الضباط ، بقيادة « سامي الحناوي » اسماً و « أديب الشيشيكلي » فعلاً ، بمحاصرة بيته وقتله ثم دفنه في المقبرة الفرنسية . وقد أخبرني الشيشيكلي بعدها أنه كان لبقاً معنا ، إذ عامل حسني الزعيم على أساس أنه عميل فرنسي وليس عميلاً أمريكياً . وبعد أربعة شهور تماماً قام الشيشيكلي بدوره باعتقال سامي الحناوي وبدأ بإدارة البلاد من خلال واجهات مدنية متعددة حتى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥١ عندما ظهر على أنه رجل سوريا القوى . وبقى الشيشيكلي في سدة الحكم حتى شباط (فبراير) ١٩٥٤ حيث غادر البلاد هرباً من وجه أحد الانقلابات العسكرية العديدة التي تعاقبت على سوريا منذ ذلك الوقت » [2] .

* * *

(١) لعبة الأمم ، ص ٧٥ - ٧٧ (٢) المرجع السابق

● وهكذا فشل التخطيط والإخراج الأمريكي في سوريا وتحوّل الاتجاه إلى مصر . لأن مصر بإمكاناتها البشرية والطبيعية والجغرافية والحضارية - لها مكاناً يجعل أي تأثير فيها لا ينحصر داخلها ، بل يمتد وينعكس في جميع الأقطار العربية الأخرى .

وكان التسرب الأمريكي إلى مصر قد بدأ منذ أواخر الأربعينات . وكان « الملك فاروق » من أكبر أنصاره ، خصوصاً بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذي هدده الإنجليز يومها بخلعه من العرش . فوجد في أمريكا درعاً بديلاً . وأخذ كثير من الصحفيين والساسة يُبشرون بأمريكا الجديدة . ومن بين هؤلاء مصطفى مرعي وحافظ رمضان وأحمد حسين وعباس عمار وأحمد حسن الباقوري . وقد أسس أحمد حسين (الذي عُين أول سفير لحركة يوليو في أمريكا) ومعه عباس عمار وغيرهم ، ما أطلق عليه « جمعية الفلاح المصري » . وكانت مدرسة « أخبار اليوم » من أشد المتحمسين لدور أمريكي في مصر حيث ستنتقل مصر من خلال « أمريكا الضاحكة » إلى مجتمع مماثل في الديمقراطية والحرية والتقدم .

وعلى هذا الأساس استعار « دين أتشيسون » - وزير الخارجية - « كيرميت روزفلت » في عام ١٩٥١ من المخابرات الأمريكية ليرأس لجنة من الاختصاصيين . كما استعار آخرين من وزارتي الخارجية والدفاع . وجلب آخرين كمستشارين من قطاعي الأعمال التجارية والجامعات . وكانت مهمة هذه اللّجنة دراسة العالَم العربي وبصورة خاصة « النزاع العربي الإسرائيلي » .

وفي أوائل عام ١٩٥٢ أنهت اللّجنة تقريراً حول « لعبة الأُمم » في الشرق الأوسط ، مؤداه أن أمريكا في حاجة إلى قائد عربي تتجمع بين يديه سلطات تفوق كل ما تيسر لأي زعيم عربي آخر من قبل ... سلطات تُمكّنه من اتخاذ قرار سواء رضي به الشعب أم لم يرض . والرجل الوحيد الذي يستطيع الحصول على مثل هذه السلطة هو الشخص الذي يتطلع إليها بشوق .

وكان لا بد لهذا الزعيم كي تُتاح له الفرصة لقيادة شعبه أن يجتمع هذا

الشعب على شيء يخشاه ويكرهه كخطر يهدد الجميع ، ولم يكن هناك خطر يمكن أن يجتمع الشعب عليه إلا إسرائيل ... وكان لا بد من استغلاله صورياً مع تجنب خطر إثارة الشعور إلى درجة تؤدي إلى خروج الموقف من يد « اللاعبين » .

واستُبعدت فكرة الثورة البيضاء التي يقودها - بتوجيه أمريكي - الملك فاروق شخصياً ويُصفَّي بها النظام البرلماني القديم ويحل محله نظام آخر جديد مستبعداً بذلك القوى الثورية التي زعمت المخابرات الأمريكية أنها على وشك القيام بثورة وعلى رأسها « الإخوان المسلمون » و « الشيوعيون » .

وفي مايو ١٩٥٢ وافق « كيرميت روزفلت » على رأى « جيفرسون كافري » السفير الأمريكي في القاهرة على أن الجيش المصري وحده هو الذي يستطيع مواجهة الموقف المتدهور في مصر وإقامة حكم تستطيع الدول الغربية أن تتعامل معه في حدود المنطق والمعقول .

وقد تم الاتفاق على أن العلاقات المقبلة بين الحكومة المصرية الجديدة التي ستتألف بعد الانقلاب والحكومة الأمريكية يجب أن تقوم على أساس شعارات للإعلان فقط . تقول بوجوب عودة الحكم الديمقراطي إلى مصر ، على أن يكون مفهوماً بصورة ضمنية وسرية أن الشروط اللازمة لذلك الحكم الديمقراطي لم تتوفر بعد ، وهى لن تتوفر لسنين طويلة قادمة .

وفي كل الأحاديث التي دارت بين الضباط الأحرار مع كيرميت روزفلت - عميل المخابرات الأمريكية - قبل شهرين من انقلاب عام ١٩٥٢ كان موضوع السخط على بريطانيا هو الموضوع الوحيد الذي دار حوله البحث .

وعاد كيرميت روزفلت إلى واشنطن قبل شهرين من الانقلاب . وقدَّم إلى وزير الخارجية الأمريكية « دين أتشيسون » تقريراً وردت فيه النقاط التالية :

١ - أن الثورة الشعبية التي كانت وزارة الخارجية الأمريكية تخشاها ، والتي كان يسعى إليها الشيوعيون !! والإخوان المسلمون لم تعد ذات موضوع .

٢ - لم يعد هناك أي احتمال يحول دون وقوع ما يرجوه المخطّطون في وزارة الخارجية وأن الجيش سيقوم بانقلابه القريب .

٣ - أن الضباط الذين يُرجَّح أن يقودوا الانقلاب ستكون لهم مبرراتهم القوية . وسيزيد ذلك من حظهم في النجاح وسيجعل منهم مفاوضين مرنين عندما يحتلون مراكز السلطة .

٤ - على الحكومة الأمريكية أن توافق على إقصاء الملك فاروق ، وربما على نهاية الملكية في مصر .

٥ - على الحكومة الأمريكية أن تحجم بعد الانقلاب عن محاولة إقناع العسكرين بإجراء انتخابات أو إقامة حكومة دستورية .

٦ - أما الحاجة إلى عدو يجتمع على كراهيته الجميع (وفقا لمبدأ برتراند رسل) فلن يكون هذا العدو إسرائيل .. بل الطبقة الأولى في داخل مصر .. وكذلك الإنجليز .

وقام الانقلاب ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وإذا كانت السفارة الأمريكية في القاهرة لم تطلع على أخبار الانقلاب في حينها فلا يعود ذلك إلى تقصير من « جمال عبد الناسر » - بطل اللعبة - بل إن السفارة كانت مغلقة في اللّيل . غير أن « على صبري » - مدير مكتب عبد الناصر ورئيس وزرائه وأمين اتحاده الاشتراكي ونائبه على تسلسل وظائفه - قدّم إلى السفير كاڤري تقريراً شاملاً عما حدث قبل ليلة واحدة من الانقلاب . مع تأكيدات بأن الحكومة الجديدة ترغب في علاقات ودية مع الولايات المتحدة .. !!

هذا من ناحية الشكل الرسمي .. أي « السفارة » .. أما واشنطن ومخابراتها في القاهرة ، فكانت تعلم كل شيء من خلال الاجتماعات التآمرية التي سبقت الانقلاب [١] !!

---

(١) راجع : لعبة الأمم ، ص ٨٠ - ٩٥

وكذا : السياسة الأمريكية والثورة المصرية مستخلص من لعبة الشعوب ، ص ٥ - ١٩

وتلا ذلك تأكيدات علنية من « محمد نجيب » القائد الرسمي للانقلاب أرسلها إلى السفارة تقول : « إن قضية فلسطين لا تعنيه في شيء » !! ولكنه زار السفير كافري بعد ساعات طالباً سحب بيانه هذا واستبداله بشيء آخر . أقل ملاءمة للاستهلاك المحلي في الولايات المتحدة ، وأكثر انسجاماً مع الأسس التي كان مهندسو اللعبة يوافقون عبد الناصر على أنها ضرورية لكي ينال العهد الجديد رضا الرأى العام المصري [1] ... أي تسريب معلومات للشعب المصري وللأمة العربية تزعم بأن النظام إنما جاء لينتقم من هزيمة أو عار ١٩٤٨ !! وفي نفس الوقت التواطؤ مع الأمريكان لصرف النظر عن القضية الفلسطينية برمتها ..

وفي كتابه « كلمتي للتاريخ » يهتك « محمد نجيب » الستر عن رأيه في التعايش بين إسرائيل والدول العربية ، وعن اتصالات الانقلاب منذ البداية مع المرشح الأمريكي للرئاسة بخصوص هذا الموضوع ، وعن علاقة مجلس قيادة الثورة باليهود ، سواء أكانوا تجاراً أو حاخامات . يقول « نجيب » :

« عندما زار القاهرة أدلاى ستيفنسون الذي كان مرشحاً لرئاسة الجمهورية الأمريكية قال لي : إن إسرائيل والدول العربية يجب أن تعيش .

ووافقت « أدلاى ستيفنسون » على رأيه وأضفت قائلاً : إنني أعتقد أن إسرائيل يمكن أن تعيش كدولة رمزية مثل الڤاتيكان لا تكون لها أطماع توسعية في أرض العرب .

وقد رحب « أدلاى ستيفنسوس » برأيي قائلا : إنه يمكن أن يكون نقطة بدء للبحث في استقرار الأحوال والأمن في منطقة الشرق الأوسط .

وكان يقيني أن مشكلة إسرائيل ليست صراعاً بين معتنقي الأديان السماوية ... والعرب لا يحملون لليهود عداوة خاصة .

---

(١) لعبة الأمم ، ص ٩٥

وعندما فتح « سلفاتور شيكوريل » وهو « يهودي » محله الجديد الذي بناه بعد حريق القاهرة ، ذهب البكباشي « أحمد أنور » قائد البوليس الحربي مندوباً عن « مجلس القيادة » في حفل الافتتاح ، وحرصتُ على زيارة « معبد الطائفة اليهودية » يوم « عيد الغفران » حيث أمضيتُ وقتاً طيباً مع « الحاخام الأكبر حايم ناحوم » الذي كان عضواً في مجمع اللُّغة العربية .

كان يقيني أن إسرائيل ليست هى عدونا الأول في هذه الفترة ... » [1] .

وهكذا عثر الأمريكان على « لاعب جديد » على مسرح الأحداث تنطبق صفاته على كل ما كانت تجري بشأنه التجارب وما كانوا يسعون للحصول عليه . وأصبح واضحاً أن « ناصراً ما » كان ضرورياً لجميع مراحل « المسرحية » وأن « لعبة بدون ناصر هى كقصة هملت بدون بولونيوس » .

فمنذ البداية كان « وليم ليكلاند » ضابط الارتباط السياسي في السفارة الأمريكية يعرف أن محمد نجيب كان واجهة لعبد الناصر ، وكان محمد حسنين هيكل هو الذي قام - قبل الانقلاب - بتحقيق اللقاءات بين « ليكلاند » والضباط الأحرار ، وعلى رأسهم عبد الناصر !! وفي الأشهر التي أعقبت الانقلاب كان ليكلاند يستقبلهم في شقته المطلة على النيل ... وبينما كانت الجماهير المصرية والعالَم الخارجي يهتف لنجيب ، كانت السفارة الأمريكية تتعامل - من خلال « ليكلاند » - مع « عبد الناصر » كرجل قادر على اتخاذ القرارات .

وكان السفير الأمريكي « كافري » يقوم بين حين وآخر بزيارة محمدنجيب لأسباب روتينية ، وكان يُسلِّمه الرسائل التي كانت واشنطن لا تخشى ضياعها في الطريق !! أما العمل الحقيقي بين الحكومتين الأمريكية والمصرية فقد كان يُدار من خلال « ليكلاند » و « ناصر » ... وبالطبع كان ذلك تحت إشراف « كيرميت روزفلت » المشرف والمنسِّق العام ورئيس « لجنة تخطيط الشرق الأوسط » .. الذي لم تنقطع علاقته بجمال عبد الناصر !!

---

(١) محمد نجيب ، كلمتى للتاريخ ، دار الكتاب الجامعي ص ١٤٢ - ١٤٣

يقول « محمد نجيب » في مذكراته :

« المرة الأولى التي رأيت فيها السفير الأمريكي جيفرسون كافري كانت على مرسي اليخوت في قصر رأس التين عصر ٢٦ يوليو ١٩٥٢ عندما حضر لتوديع الملك تلبية لرغبته ، وتبادلنا التحية دون حديث ... ومضت الأيام دون لقاء حتى لبيت دعوة عشاء في منزل البكباشي عبد المنعم أمين ، وهو منزل أنيق يطل على النيل عند كوبري عباس بالجيزة ، وكان حاضراً معنا جيفرسون كافري وأربعة من رجال السفارة علمت فيما بعد أن اثنين منهم من رجال المخابرات المركزية الأمريكية ، وكان معي جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادى وزكريا محيي الدين ومحمد رياض قائد الحرس ، وتكررت الدعوة مرة أخرى في نفس المنزل بعد أسبوع واحد .

وانقطعت بعد ذلك اجتماعاتي الخاصة مع الأمريكان وإن كانت قد استمرت هذه الاجتماعات سراً مع جمال عبد الناصر وعدد من أعضاء مجلس القيادة . ولما علمت ذلك عارضت هذا الاتجاه بشدة ، ووجهت لهم النصح في أن يبتعدوا عن هذه الاتصالات ، ولكن ذلك لم يمنع مداومة هذه الاتصالات السرية » .

« كنت نازلاً من مكتبي في مجلس قيادة الثورة الساعة ١١ مساءً ، ومررت على جمال عبد الناصر فوجدت عنده « كيرميت روزفلت » الذي حضر العشاء معنا عند عبد المنعم أمين ، فسألته عن سبب وجوده بعد أن توقفت عند باب الغرفة ، فقال لي : إنه كان يرغب في مقابلة سيادتكم .

وقد غضبت جداً من هذا التسلل الأمريكي وأجبت جمال عبد الناصر بجفاء : أنا أكره رجال المخابرات ولا أريد مقابلة هذا الرجل ، وإذا كان الأمريكيون يريدون الاتصال بي فليقابلني السفير الأمريكي . وتركت « كيرميت روزفلت » في مكتب « جمال » واصطحبته معي وقلت له : إن وجود رجال المخابرات الأمريكية في مبنى مجلس الثورة أمر خطير جداً ، وقلت له محذراً : إن

الأمريكيين يريدون تخريب الثورة والقضاء عليها واحتوائها لتسير في ركاب أمريكا ، وقلت له : يجب أن تقطع هذه الاتصالات . فوعدني بذلك . ولكني علمت فيما بعد أن هذه الصلات لم تنقطع بل استمرت وزادت » [1] .

ونشر « حسن التهامي » - الذي يصفه « مايلز كوبلاند » بأنه المساعد الوطني للرئيس جمال عبد الناصر - مقالتين في « الأهرام » متتابعتين ، يفصل بينهما يومان (وكان مقرراً أن تكون سلسلة ثم قُطعت فجأة) تحدّث فيهما عن انضمام عبد الناصر إلى التنظيم الشيوعي « حدتو » تحت اسم « موريس » ، وعن التسليح ، وعن زيارة « التهامي » للولايات المتحدة ومقابلته للمدعو « مايلز كوبلاند » أمام مبنى البنتاجون ..... وغير ذلك مما تضمنته المقالتان من معلومات جديدة .

وما يهمني هنا هي تلك « الصورة الفوتوغرافية » بالشكل الكامل لأصحابها ، من الرأس حتى القدم ، التي نُشرت في صدر الصفحة الثالثة من صحيفة « الأهرام » ، حيث كان مقال التهامي ... والصورة تجمع بين « كيرميت روزفلت » - عميل المخابرات الأمريكية - و « محمد نجيب » و « جمال عبد الناصر » و « زكريا محيي الدين » . وأسفل الصورة تعليق من « الأهرام » يقول : « صورة نادرة من ملف حسن التهامي تجمع بين كيرميت روزفلت ومحمد نجيب وجمال عبد الناصر وزكريا محيي الدين » وبجانبها صورة نصفية وتحتها توضيح من الأهرام يقول : « مايلز كوبلاند صاحب كتاب لعبة الأمم الشهير » .

ولست أعرف ماذا كان المقصود من السماح بنشر المقالتين والصورتين ثم التوقف عن النشر بعد ذلك فجأة !!

مرة أخرى خبء ذلك عند أصحابه !!

ونمضي مع اللّعبة وأبطالها .. أو عملائها ..

---

(١) محمد نجيب ، كلمتي للتاريخ ، ص ١٢٧ - ١٢٩

وبناء على أوامر من الرئيس الأمريكي « أيزنهاور » أرسل « كيرميت روزفلت » شخصية عسكرية من نوعية رجال الثورة لتقييمهم ودراسة أوضاعهم وهو « ستيفن ميد » المغامر وخبير التجسس واستخدام عهد الظلام الذى أقيم فى سوريا . وكتب « ميد » تقريراً إلى روزفلت يقول : « إن هؤلاء الصبيان يرون أنفسهم كأفراد عصابة « روبين هود » المرحة وهم فرحين لأنهم أعلنوا أبطالاً للثورة ، ولكننى لم أجد واحداً منهم قادراً على أن يشرح لى ما تريده هذه الثورة وهم لا يكترثون بالسياسة ، ولعل هذا من حظنا وحظ عبد الناصر معاً » .

ومن نقطة الضعف هذه استطاع عبد الناصر أن يستغلهم جميعاً ويستخدمهم جميعاً ويصفيهم الواحد تلو الآخر . وكان عبد الناصر يرى أن توطيد مركزه يجب أن يوضع فى الاعتبار الأول . ولعل الفشل فى سياسة السودان وسماحه بتطور الأمور بحيث صنعت موقفاً أساء للعلاقات بين البلدين لمجرد أن هذا الموقف مكّنه من إيقاع المسئولية على صلاح سالم وبالتالى يصفيه أو يحرقه ، وكانت النتيجة أنه بدلاً من وحدة وادى النيل طالب السودانيون جميعاً - استناداً إلى موقف الإساءة - « الحزب الاتحادى » و « حزب الأمة » ... « الختمية » و « الأنصار » بالاستقلال بدلاً من الاتحاد !!

وكان لا بد من تأمين النظام من خطر الانقلاب عليه ، فاتخذ كيرميت روزفلت مع السفير الأمريكى « كافرى » الترتيبات اللازمة لاستدعاء الصهيونى الأمريكى « ايخلبرغر » وهو أخصائى فى العلوم السياسية وله تقارير رسمية مؤثرة على الأنظمة العسكرية ، وعمل « ايخلبرغر » تحت إمرة السفير مباشرة فى معزل عن جهاز السفارة . وسهّل له كافرى الاطلاع على المعلومات الواردة من وزارة الخارجية وملحقى السفارة الـ : (C. I. A.) « وكالة المخابرات المركزية » وعقد « ايخلبرغر » محادثات مطوّلة مع أعوان عبد الناصر ، من ضباط الحركة وصحفيين وساسة ، موالين للنظام ، ختمها باجتماعات مع عبد الناصر . وكانت النتيجة سلسلة من التقارير قُدِّمت لجمال عبد الناصر بعد ترجمتها إلى العربية . وكان أهم هذه التقارير « تقرير عن مشاكل السلطة فى

الحكومة الثورية » وقد ترجم إلى العربية وأُضيفت اليه تعليقات من أعضاء يعملون فى مكتب عبد الناصر ثم أُعيدت ترجمته إلى الإنجليزية كى يضع عليه « ايخلبرغر » مطالعته الأخيرة ... وهكذا من الإنجليزية إلى العربية ومن العربية إلى الإنجليزية حتى أمكن الوصول الى الصيغة النهائية . وقد عُرِضت الصورة على العالَم الخارجى على أساس أنها من صنع « زكريا محيى الدين » .

ومن بعض ما جاء فى هذا التقرير :

« إن قاعدة القمع والإرهاب التى يجب على حكومة الثورة أن تلجأ إليها ترتكز على :

١ - **الأنظمة والقوانين** : بحيث تصبح التشريعات أساساً للمحافظة على أمن الدولة ، ويجب أن تكون عامة حتى لا تضيق الحكومة نفسها وتسلب رجال السلطة حرية التصرف .. وأن تحقق التشريعات غايتها المرجوة بتجريم كافة الأنشطة المضادة ، كما يجب عليها أن تمنح قوى الأمن الداخلى الحق فى تحريم الاجتماعات العامة والتجمعات التى تبلغ حد الخطر فى الشوارع . كما أن كافة الأحكام الصادرة بحق المخالفين لأنظمة أمن الدولة يجب أن لا تكون بأى حال من الأحوال مخالفة لرغبة حكومة الثورة وانشراح صدرها .

٢ - **قوى الأمن الداخلى** : تعتبر الدرع الحامى لنظام الأمن فى الثورة . إضفاء الصيغة السياسية عليها لتكون يداً موالية لحكومة الثورة بصفة شبه عسكرية ، وأن تكون مهمة أجهزة المباحث تجميع كافة المعلومات الماسة بوضع الأمن فى الدولة عن طريق إنشاء شبكة واسعة للتحريات ، وإجراء التحقيقات السريعة فى قضايا الأمن ، بممارسة الطرق العادية للمراقبة والاستنطاق ، والتسلل الى المستويات الدنيا لكافة الجماعات المشكوك فى ولائها للثورة . وعليها تطوير جهاز فعّال ضد المظاهرات والاضطرابات .

٣ - **أجهزة المخابرات** : إن دماغ كافة أجهزة الأمن لنظام حكم ثورى هو ذاك الجهاز الذى هو على غاية من السرية ، والذى لا يعرف تفاصيل وجوده

سوى رئيس النظام الحاكم ، ويُطلق على ذلك الجهاز اسم « المخابرات » ، وتقع على عاتق هذا الكيان المتغلغل فى كافة أرجاء أجهزة الحكومة ودوائرها (وحتى خارج أجهزة الحكومة) مسئولية تزويد رئيس الدولة بالمعلومات الهامة والضرورية للقيام بإجراءات فعّالة وفورية ضد الأخطار المضادة للثورة . كما يجب على هذا الكيان أن يُزوِّد رئيس الدولة وكبار رجالها بالمعلومات الكافية لتخطيط سياسة عامة . ومن مهام هذا الكيان أيضاً معرفة كامل النشاطات المعادية والضارة بأمنها ، سواء القائم منها فعلاً والمبتدىء حديثاً ، وسواء الواقع داخل نطاق الحكومة أو خارجها ، وسواء الشامل منها لوزراء الدولة أو لضباطها فى القوات المسلحة ، ولتحقيق هذه الأهداف ، وإنجاز تلك المهمات لا بد لهذا الكيان أن يتمتع بالحرية المطلقة فى الاطلاع على كافة انتاج أجهزة الأمن الداخلى وأجهزة المباحث والمخابرات الأخرى .

٤ - **الدعاية والإعلام** : وعلى حكومة الثورة أن تقوم بشن حملات دعائية مركزة تهدف إلى إعطاء تبرير مقنع لاستمرار استخدامها لوسائل القمع والإرهاب ، ويجب أن تستحوذ مسألة الدعاية المضادة - التى تقوم القوى المعارضة للثورة ببثها - على اهتمام خاص ، بسبب ما يمكن أن تُثيره من مشاكل ، مثل مطالبتها بحرية الصحافة والتعبير عن الرأى . فعلى حكومة الثورة أن تكون مستعدة لفرض المراقبة على الصحافة حال إحساسها بضرورة ذلك . إلا أنه يمكن ضبط الصحافة فى غالب الأحوال من خلال ممارسة بعض الضغط من قِبَل الحكومة ، بأشكال عديدة ، ودون اللجوء الى المراقبة الصريحة . فيكفى مثلاً تعيين مستشار لكل هيئة من هيئات تحرير المجلات والصحف ، وذلك بقصد إبداء الرأى بكل ما هو مُعَد للنشر كالقصص والأخبار ولإعطاء النصيحة والتوجيه بخصوص المواد الصحفية التى تعالج القضايا الهامة العامة . ويمكن إصدار بعض المراسيم - بُغية تدعيم سلطة أولئك المستشارين .

٥ - **القوى العسكرية** : فى الوقت الذى لا يجوز التقليل من أهمية وجود قوة عسكرية ذات كفاءة عالية وولاء تام للنظام الحاكم ، فإنه لا يجوز

أيضاً اعتبار وجودها ذا أهمية مُسلَّم بها جدلاً . فمن أكثر الأمور أهمية ، توفر جهاز فعَّال جداً للمخابرات ضد التآمر والنشاط الهدَّام فى داخل القوات المسلحة . كما يجب دفع المرتبات بانتظام وسخاء حتى تكون أحسن المرتبات فى الدولة ، وحتى يصبح ذلك الجيش - باختصار - جيشاً موالياً تملأ الغبطة قلوب أفراده ، ويغمر السرور نفوس ضباطه .

٦ - **المنظمة الشعبية** : مهما تعددت الأسماء واختلفت فإن النوع الذى يعنينا أن يقوم زعماء الثورة - بالتعاون مع بقية موظفى الحكومة ومستخدميها - بإنشاء منظمة شعبية تشترك فيها جماهير غفيرة من المواطنين ، وتدعى هذه المنظمة أهدافاً وشعارات مثل تلك التى تنادى بتدعيم الثورة والمحافظة على مكتسباتها وزيادة منجزاتها . ولا يجوز الإفصاح عن الغاية الحقيقية لإنشاء مثل تلك المنظمة ، وكل ما يُشاع عن أهدافها هو أنها وُجِدَت لتوثيق الروابط الأخوية بين العناصر المؤيدة للثورة وأهدافها . ولكن هدف إنشائها حقيقة ، إيجاد جبهة للدعاية لصالح النظام الحاكم . إن سر نجاح هذه المنظمة هو بقاؤها بقرب السلطة الحاكمة ، واستمرار إشراف الثورة عليها ، إشرافاً غير رسمى ، كما أن مفتاح بقائها هو عدم سماح الثورة بظهور أى منافس لها . ويجب أن تكون المناصب فى المنظمة بمثابة المكان الذى توضع فيه الجماعات والأفراد الراغبون فى التأثير على النظام القائم موضع المراقبة والامتحان . إن هذه المنظمة الشعبية جزء من المرتكزات الشعبية لنظام الحكم الثورى ، وأنها ستبقى على المسرح بعد انتقال امتيازات الحكم الخاصة بحكومة الثورة إلى النظام الدستورى الجديد ، كما أن هذه المنظمة ستصبح الحزب السياسى الوحيد ، الذى سيضطلع بحمل تقاليد وأعراف الثورة للأجيال المقبلة التى لن تنظر إليها بعين الرضا ولن تتردد بمعاكستها .

٧ - **الدستور الجديد** : يجب أن يتألف الدستور الجديد المدوَّن من نصوص ومبادىء عريضة ، ومع ترك الترتيبات الجزئية للقوانين العادية لتوضيحها والتفصيل فيها ، وحيث إن الحزب الثورى سيكون القوة السائدة والمسيطرة فمن

الضرورى إذن ترك المجال واسعاً أمامه لكتابة الدستور وتعديله حسب مقتضيات زمانه وخبرة زعمائه . ويجب أن يُفسح الدستور المجال أمام ظهور سلطة تنفيذية قوية تتمتع بشعبية واسعة نتيجة انتخابها من قِبَل الأغلبية ، كما يجب على الحزب الثورى أن يتأكد من سيطرته على السلطة التنفيذية كشرط أساسى لاستمرار تفوقه العددى وفاعليته التنظيمية إلى أقصى الحدود الممكنة . وبالوقت نفسه فعلى السلطة التنفيذية أن تكون فى مركز قوى تجاه السلطة التشريعية ، ويجب على النظام القائم ، بعد الموافقة على الدستور وتبنيه رسمياً ، أن يُضفى عليه صبغة من القدسية يصعب معها التغيير فيه والتبديل إن لم يكن هذا مستحيلاً . إن وجود فقرات مفصلة ونصوص مشروطة فى الدستور يترك سلاحاً فى يد الأقلية غالباً ما تتمكن به من هزم إرادة الأكثرية وخاصة فى بعض القضايا السياسية الحيوية . إن الإعداد لقيام سلطة تنفيذية قوية وقادرة - بحسب الدستور - له أهمية فائقة . إن أشد الأرزاء التى تصيب الحكومات التى تواجه سلطة تشريعية متفوقة عليها بسلطاتها وصلاحيتها ، هى عدم الاستقرار السياسى ، الذى ينتج عن تشرذم البرلمان إلى عدة أحزاب وتكتلات صغيرة . وعندما تتوفر سلطة تنفيذية قوية كتلك ، فإن الحزب الذى يملك أغلبية أصوات الناخبين يتمكن عندئذ من السيطرة على كل من السلطة التنفيذية والغالبية البرلمانية . وبهذه الطريقة ، دون سواها ، يتهيأ للبلاد جو من الاستقرار السياسى ، ملازم لطبيعة النظام السياسى وتركيبه » [1] .

وألغيت الأحزاب السياسية . ومُحيت المعارضة . وكُمِّمت أفواه أى نقد سياسى أو إدارى للحكومة . وأُقيمت المجازر البشعة لرجال الحركة الإسلامية ، وضاقت السجون بعشرات الألوف سواء بأحكام هزلية أو اعتقالات دائمة ، وصفيت المقاومة داخل القوات المسلحة من خلال قضايا الرأى ، التى كان أعضاء مجلس الثورة فيها هم الخصم والحكم . واختُطف محمد نجيب ، أول

(١) مايلز كوبلاند : « الأنظمة الثورية ومشاكل السلطة » ، لعبة الأمم ، ص ١٧ - ٣٨

رئيس للجمهورية ، من القصر الجمهورى ، وحُبِس فى المرج ، ولم يخرج إلا بعد عشرين عاماً . ومارست أجهزة القمع دورها على أوسع نطاق !!

وفى مقاله المعجب تحت عنوان « اسمعوا ياشباب ... قضية اللّه » يقول الأستاذ « خالد محمد خالد » :

« اسمع يا شباب :

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ باسم الحرية والديمقراطية والعدالة .. فماذا فعلت بهذه الثلاث ... ؟

سحقت الحرية ... وذبحت الديمقراطية ... وألحقت العدالة بأخوات كان .. !!

فباسم الثورة وفى غياب الديمقراطية ، سيطر حكم الفرد مما نجم عنه الكثير الكاثر والخاسر من المغامرات غير المحسوبة ، ومن الخسائر الفادحة فى الأنفس والأموال ..

وباسم الثورة ، وفى غياب الديمقراطية ، استُبيح الإنسان المصرى فى نفسه ، وفى شرفه ، وفى عِرضه ..

● فمثلاً - كان حمزة البسيونى قائد السجن الحربى يقول للمعتقلين : أنا لا أستلمكم بإيصال !! إشارة الى أنه لن يُسئل عن الذين يختفون منهم ، ويُدفنون أحياء فى صحراء مدينة نصر .. !!

● وفى السجن الحربى ، كان يُؤتى - يا شباب - بأُمهات كأُمهاتكم .. وبنات كأخواتكم ، ويعرين تماماً من ملابسهن ، ثم يُعرضن على آبائهن ، وأزواجهن ، وأبنائهن حتى يعترفوا بما يُطلب منهم أن يعترفوا به ... فإذا لم يفعلوا جيء بمن يفسق بهن أمام الزوج ، أو الأب ، أو الابن ، أو الأخ .. !!

● وفى السجن الحربى « الثورى » جيء بسيدة فاضلة وطرحها المجرمون أرضاً على ظهرها ، وكشفوا عن نصفها الأدنى ثيابها .. ثم أمروها أن تباعد بين ساقيها وفخذيها .. ثم راحوا يتسلون بإطفاء السجائر فى فرجها .. !!

● وفى سجون الثورة هذه ، استورد مجرموها كلاباً مدرَّبة على إتيان الرجال والشباب ... والمجرمون يتلهون بهذا المنظر السعيد ، ويصفِّقون طويلاً للكلب الذى يُنجز مهمته فى اتقان .. !!

● وفى سجون الثورة هذه ، أُخِذَ أُستاذ جامعى - رحمه اللّه - للمثول أمام المحقق ..

كان يقف على يمين المحقق عسكرى شائه المنظر .. وإلى يساره عسكرى آخر يحمل سوطاً مجدولاً .. وبعد انتهاء التحقيق الذى أنكر فيه الأُستاذ الجامعى كل أكاذيبه وضلالاته ... التفت المحقق المهزوم والمخذول الى الضحية وقال له : أترى هذا العسكرى ؟ إنه سيجامعك الآن مجامعة النساء .. فهل تحب أن يتأتيك وهو « محشش » أو وهو « سكران » ... ؟ !

وصُعِق الرجل من المفاجأة ، وراح يهمهم ويغمغم ، ولا يكاد يبين .. وهنا أشار المحقق لحامل السوط فأوجعه ضرباً وجَلداً .. وأعاد المحقق السؤال .. وقال الأستاذ وهو يلتقط نثارات أنفاسه : كما ترى ياسيدى .. !! وأجاب المحقق : لا .. لا بد أن تختار بنفسك وتقول بأعلى صوتك .. تريده « محششاً » أم « مخموراً » .. ؟!

وأنقذه من هول الإجابة شلل أصاب لسانه ... بيد أنه لم يُنقذه من العذاب ، ففقد وعيه وسقط على الأرض .. ثم لم يشعر بما أصابه إلا حين صحى من إغمائه ليجد نفسه مُلقى على أرض زنزانته ممزَّق الجسد ، نازف الدماء .. !! ثم نجد من يقول : هذه حالات فردية .. ولقد كانوا سيضعونها فى خانة المئات أو الألوف لو كانوا هو وأهلهم فى عِداد القتلى والمعذَبين .. !!

● وفى عهد الثورة - يا شباب - شهدت البلاد هى والعباد مخابرات دمَّرت ثقة الإنسان بأخيه ، وبأمه وأبيه ، وعاثت فى الأرض والعِرض فساداً يزرى بكل فساد » [1] ..!!

---

(١) جريدة الوفد : ٩ / ١ / ١٩٨٦ ، ص ٨

وغير ذلك كثير مما عَفَّ لسان الكاتب الكبير عن ذكره ، ومما تحققت به مقولة « القائد الخالد !! » جمال عبد الناصر : « ارفع رأسك يا أخى ، فقد مضى عهد الطغيان » !!

وجُلِب بعض الشيوعيين المؤيدين ، الذين استُثنوا من الاعتقال ومعهم العلمانيون الليبراليون والماسون ، وأُلقى بهم فى الصحافة وخاصة صحيفة « الجمهورية » جريدة النظام ، ووُكِّل اليهم مهمة التشكيك فى الفكر الإسلامى وطعن ما سُمِّى « التراث » و « التنكيت » ... باللَّفظ والكاريكاتير على رجال الدين ..

وخلت الساحة إلا من البطل .. !! وبدأ الخط التصاعدى لتلميع هذا البطل بصورة زاهية ، ليؤدى الدور المرسوم على الساحة العربية .. وخطوة خطوة !! حسب تأمين ونمو وتطورات « المسألة الماسونية » و « دولتها الإسرائيلية » !!

وكانت أُولى هذه الخطوات التى سيصعد بها نجم الزعيم صفقة الأسلحة التشيكوسلوڤاكية .

تقدَّم عبد الناصر بطلب أسلحة من الولايات المتحدة .. ووافقت واشنطن بادىء الأمر .. ثم جُمِّد الطلب لأسباب قيل إنها إدارية .. ثم أُعلن عن رفض الأمريكان تزويده بالأسلحة التى وعدهم بأنها لن تستخدم ضد اسرائيل وإنما لأمن النظام ولتعزيز مركزه فى الداخل ... بما فى ذلك حتى المواد الاستعراضية كخوذ لَمَّاعة ومسدسات فى قِراب جميلة وما أشبه ذلك مما يُضفى على الجيش الهيبة والاحترام .

ماذا يفعل « الرجل » إذن ؟

لا بد أن يبحث عن مصدر آخر للسلاح لأن الغرب خذله .. وبادرت روسيا بالموافقة على تزويد مصر بالسلاح من خلال تشيكوسلوڤاكيا ..

هكذا بدت الصورة الملمعة أمام الناس !!

لكن ما جرى فى « الأستوديو » ، ومن خلف « كواليس المسرح » وما وراء الجدران الصمّاء - التى لم يدم السر طويلاً معها - كان عكس ذلك تماماً !!

« تلقى كيرميت روزفلت رسالة شخصية من عبد الناصر قال فيها إنه على وشك توقيع إتفاقية مع السوفييت ، وانه اذا كان يريد أن يُثنيه عن عقد هذه الاتفاقية فهو يرحب به فى القاهرة .. وهكذا اتجهت أنا وروزفلت إلى القاهرة فى صباح اليوم التالى »[1] .

« استقبلنا فى المطار واحد من أعوان عبد الناصر الذى رافقنا الى شقته فى الطابق الأعلى من مبنى مجلس قيادة الثورة . وكان ينتظر أن يرتج على روزفلت عندما يتقدم إليه بحججه الدامغة ، ولكن روزفلت كان هو الذى أدهش عبد الناصر ، لأنه عوضاً عن أن يُثنيه عن قبول صفقة السلاح السوفييتية ، قال له :

« إن كانت الصفقة فعلاً بهذه الضخامة التى سمعنا بها ، فما عليك إلا القبول بها ، لأنها وإن أغضبت البعض فستجعل منك بطلاً عظيماً وتُكسبك تأييداً فريداً ، فلماذا يا ناصر لا تستغل هذه الموجة المفاجئة من التأييد الشعبى لتتخذ بعض القرارات التاريخية حقاً ؟ ! إننى على استعداد لأن أقبل مشاركة الإسرائيليين للقيام بمجهود مشترك بُغية الوصول إلى سلم دائم فى المنطقة ، إن هم أرادوا ذلك فعلاً . ولم يتمالك ناصر نفسه عند سماع هذا الاقتراح ، فقد طار لُبه فرحاً وقفز مبتهجاً وقال : إنها لفكرة رائعة »[2] .

« وتابعنا مناقشة هذه الفكرة حتى منتصف الليل : فناصر سيدرج إعلانه عن الأسلحة السوفييتية فى بيان ضخم ، فيهتف له لا التقدميون فى مصر فحسب ، بل العناصر المحافظة أيضاً ، ثم يتبع ذلك بحملة حياد دولية يرضى بها جميع الأطراف ، بينما يستمر داخلياً فى إصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية - عن طريق المساعدات الأمريكية ...

---

(١) الساسية الأمريكية والثورة المصرية ص ٩٦ (٢) لعبة الأمم ص ١٧٨ - ١٧٩

« واتفقنا على أن أكتب مسوَّدة الكلمة أو المقطع الذى سيتضمنه خطاب عبد الناصر ، على أن يقوم هو وروزفلت بإنشاء هذا المقطع وتوضيبه فى الليلة التالية .. وفى الصباح ، كانت جماعة من المساعدين تساهم معنا فى إعداد النص ... وكانت المسوَّدة قصيرة .. وفى الساعة الثامنة من مساء اليوم التالى ، كنت مع كيم روزفلت فى شقة عبد الناصر فى المبنى الخاص بمقر قيادة مجلس الثورة ... وقد رضى ناصر عن المسوَّدة ، وقال إنه قادر على أن يُضمِّنها خطابه بسهولة .. وكان التعديل الوحيد أنه لا يستطيع أن يذكر صراحة كلمة « الصلح مع إسرائيل » وسيذكر بدلاً منها « تخفيف التوتر بين العرب وإسرائيل » - وقد رضى روزفلت بذلك واعتبره خطوة كبيرة .

« وأخرج عبد الناصر زجاجة من « السكاتش ويسكى » الذى يحتفظ به عادة للزوَّار الممتازين . وبينما كان يفعل ذلك رنَّ جرس الهاتف ليقول الضابط فى الطابق الأدنى إن « السير همفرى تريفليون » السفير البريطانى يطالب بموعد مستعجل .. ولم يستمر اجتماع « ناصر - تريفليون » أكثر من خمس دقائق .. وجرت بعد ذلك مراجعة مسوَّدة الخطاب الذى سيُلقيه فى متخرجى الطيران .. وعندما دخل علينا عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين ليدعوانا لتناول طعام العَشاء عند السفير أحمد حسين ، وكانت ساعة من المرح ، تعرضتُ خلالها لمضايقات صديقى زكريا محيى الدين الذى لم يعرف إلا منذ ثوان أننى فى القاهرة ، وكنا نتبادل النكات حول ما كان يمكن أن تتحوَّل إليه ملامح السفير البريطانى لو أن روزفلت أو أنا ، دخلتُ قاطعاً عليه خلوته مع عبد الناصر ، وبيدى كأس الويسكى ، لأقول له :

- عفواً جمال ! .. لقد انتهت الصودا ، فمن أين نحصل على المزيد منها » ؟ ! [1] .

هذا عن دور الأمريكان فى الصفقة !!

---

(١) السياسة الأمريكية والثورة المصرية ص ٩٧ - ٩٩

أما عن دور الإنجليز فيها ، فترويه « وثائق وزارة الخارجية البريطانية » - تحليل وتعليق « سير أنتونى ناتنج » ، وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانى الأسبق .

يُقدِّم أنتونى ناتنج للموضوع بقوله : « إن عبد الناصر كان يأمل فى إمكانية ترتيب صفقة بين مصر وإسرائيل ، ودخل من أجل هذا الهدف فى واقع الأمر فى اتصالات سرية مع رئيس وزراء إسرائيل « موشيه شاريت » ، وأن عبد الناصر تردد فى طلب المساعدة من المعسكر السوفييتى ففى أواخر الأربعينيات كانت روسيا تعارض باستمرار مصر والعرب فى القضية الفلسطينية ، والواقع أنها صوَّتت إلى جانب خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين وخلق الدولة اليهودية ، كما أنها خاضت فى حقيقة الأمر سباقاً غير مُشَرَّف مع الأمريكيين لتكون أول دولة تعترف بإسرائيل ، وخلال فترات الهدنة من حرب عام ٤٨ / ١٩٤٩ زوَّد المعسكر السوفييتى إسرائيل بالأسلحة التى استخدمتها للانتصار فى الحرب ».

ويكشف أنتونى ناتنج السر عن الخطة البريطانية ذات المرتكزات الثلاث لتشجيع هذه الصفقة قائلاً :

« ١ - علينا ألا نحاول دخول منافسة مع الكتلة السوفييتية فى تسليح مصر . علينا أن نقبل بكل شرف وكرامة نستطيعها العقود التى توُصلت إليها مصر مع تشيكوسلوفاكيا ، وإذا كان ممكناً فعلينا إغراء عبد الناصر من أجل تحديدها ..

٢ - ولما كانت إسرائيل تكمن فى قلب مشكلة الشرق الأوسط ، فإنه لا تزال هناك طريقة واحدة مشرفة للخروج من مصاعبنا هناك ألا وهى إيجاد تسوية بين إسرائيل وجيرانها العرب . ومهما كانت الفرص والإمكانات غير مشجعة فإن هذا يجب أن يظل هدفنا الرئيسى والملح ، لأننا إذا أخفقنا فى تحقيقه ، فإن شكلاً ما من أشكال التخلى عن إسرائيل سيصبح البديل الوحيد لضياع نفط الشرق الأوسط - وليس من المستحيل أن يشعر عبد الناصر بأنه أفضل قدرة

على التفكير فى تسوية بعد أن استعاد الآن مكانته فى العالم العربى مما يعنى أنه سيستطيع التفاوض من مركز قوة أعظم .

٣ - إن علينا بدلاً من أن نحاول منع سانتا كلوس (البابا نويل) [١] السوفييتى من تسليم السلع والهدايا لمصر - وهو ما كان السوفييت يُصوِّرون أنفسهم عليه - فإن علينا أن نسمح لهم بالفرصة لكى يظهروا على حقيقتهم وهى أن وراء ستار الكرم والسخاء يكمن دب شرس بأسنان حادة ومخالب قوية » .

« وجدت هذه التوصيات تأييداً من وزير الخارجية البريطانى « هارولد ماكميلان » الذى نصح على الفور « أنتونى إيدن » » بذلك » [٢] .

ثم يستدعى الصحفى اللبنانى « سعيد فريحة » ليكتب فى « الأنوار » - وهو يزف للعرب بشارة البطل - أنه رأى وزير الخارجية الأمريكى « جورج آلسن » « ملطوعاً » فى مكتب التشريفاتى « صلاح الشاهد » فى انتظار مقابلة جمال عبد الناصر .. وأن جمال عبد الناصر طرد السفير البريطانى عندما ناقشه فى صفقة الأسلحة !!

وبالطبع يُصَفِّق العرب !!

ثم يُعلن البطل عن سياسته تجاه إسرائيل وتصوره للقضية الفلسطينية فى عرى صريح ، وذلك فى حديث أدلى به إلى مجلة « نيوزويك » الأمريكية عام ١٩٥٥ . وجرى الحديث على النحو التالى :

« س : هل تعتقدون سيادتكم أن من الممكن أن تتحسن العلاقات بين العرب وإسرائيل ؟!

---

(١) الذى تضحك به الأمهات المسيحيات ليلة عيد الميلاد على أبنائهن فيزعمن أنه - أى بابا نويل الطيب - قد أحضر لهم هدايا العيد !!

(٢) وثائق وزارة الخارجية البريطانية - كيف تمت ترتيبات صفقة الأسلحة التشيكية لمصر - تحليل وتعليق سير أنتونى ناتنج - الأهرام ٢٩ / ١ / ١٩٨٦ ، ص ٥

ج : أعتقد أن هذه العلاقات يمكن أن تتحسن إذا أبدت إسرائيل رغبة صادقة فى الوصول إلى سلام عادل ، إننا لا نفرض شروطاً للسلام ، وإنما نُصرّ على أن تُبرهن إسرائيل على حسن نياتها وإخلاصها بقبول قرارات الأمم المتحدة .

س : ما هى الشروط التى لا بد من توافرها لقيام سلام بين العرب وإسرائيل ؟!

ج : الشرط الأول : أن تُثبت إسرائيل رغبتها الصادقة فى السلام ، وقد رأينا من سوء تفسير إسرائيل لاتفاق الهدنة وخرقها له ما يحملنا على أن نسألها : ماذا تعنيه بالسلام ؟

إن السلام العادل لا يمكن أن يتحقق إلا بقبول قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين وتعويضهم ، وتدويل القدس .

س : هل لديكم أية مشروعات عدائية ضد إسرائيل ؟

ج : من المحقّق أنه ليست لدينا نيّات عدائية ضد إسرائيل أو ضد أية أمة أخرى ، وأنا كجندى ، قد رأيت من المعارك ما يجعلنى أرغب فى السلام بإخلاص ، وكزعيم لبلادى ، أعرف مقدار ما يجب عمله لتحقيق الرخاء لمواطنىّ . إن الرخاء والسلام يسيران جنباً إلى جنب ، ولا محل للحرب فى مشروعاتنا الإنشائية » [1] .

وهكذا أعلن الزعيم أنه يرغب فى السلام ، أى الصلح ، وأن المشكلة الفلسطينية تنحصر فى « تدويل القدس » و« تعويض اللاجئين » و« اعتبار خطوط هدنة رودس نهاية المطاف » . ونسى الزعيم - وهو رجل عسكرى - أنه شتّان بين اتفاقيات الصلح واتفاقيات الهدنة فيما يختص باستقرار الأمور لأنها خطوط مؤقتة وليست حدوداً للدول المعنية . وكان من الضرورى على حد تعبير الفريق « صلاح الدين الحديدى » أن يكون الحل الدائم « بجولة عسكرية ثانية

(١) تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر - مصلحة الاستعلامات ص ١٣٢ - ١٣٦

تتحدد بنتيجتها الأوضاع النهائية فى المنطقة بأسرها ، وعلى ذلك فعلى الدول العربية - ومصر على رأسها - أن تعمل حساباً لهذا اليوم المرتَقب إن أرادت أن تعيش ، ومن السذاجة وقصر النظر ، اعتبار اتفاقية رودس نهاية الصراع فى الشرق الأوسط » [١] .

وكان الرد العملى لإسرائيل الغارة الإسرائيلية على « خان يونس » فى إبريل عام ١٩٥٥ ، وعملية « الصابحة » فى سبتمبر من نفس العام ، و« الكونتلا » بعدها بأيام ... وهكذا تفجرت خطوط الهدنة .

لكن الأخطر هو اجتياح إسرائيل لمنطقة « العوجة » المصرية التى ضمتها إلى أراضيها عام ١٩٥٥ وكانت من المناطق المنزوعة السلاح حسب اتفاقية رودس . وتم تعتيم إعلامى كامل ولم يعلم أحد إلا من له صلة بالشئون العسكرية وبعض المراقبين أن إسرائيل قد استولت على أراض مصرية جديدة ، وتسترت القيادة على هذا الاستقطاع ، بل وما هو أكثر من التستر . يقول الفريق « صلاح الدين الحديدى » :

« كانت إسرائيل دائماً هى البادئة فى القيام بهذه العمليات العسكرية المحدودة ، وتمكنت بهذا الأسلوب الإيجابى من القتال أن تتمتع بالمبادأة ، الأمر الذى جعل القيادة العامة للقوات المسلحة شديدة الحساسية ، تتصرف طبقاً لتصرفات العدو وليس طبقاً لما تُمليه عليها مطالب تأمين أراضيها ، وبلغ من أمر هذه الحساسية أن منعت إجراء أى استطلاع جوى أو أرضى داخل المناطق التى تسيطر عليها إسرائيل ، حتى لا تُثيرها وتدفعها إلى القيام بعمل انتقامى » [٢] .

حتى المعلومات عن العدو وما يجرى فى سيناء كانت تصل عن طريق البدو الرُحَّل .. وابتُدِع نظام خاص لإجازات الأفراد يُقلِّل من كفاءة الوحدات وقدراتها

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ - مكتبة مدبولى - ص ٨١ - ٨٢

(٢) المرجع السابق .

على القتال .. ومُنحت امتيازات فى الرواتب وتحسينات فى مستوى الإسكان وصلت حد الكماليات .. وعاشت القوات المسلحة حبيسة لأوضاع سياسية وجدت نفسها مضطرة أن تجاريها وتتكيف معها .. لكنها ابتعدت عما يجب أن تكون عليه حال قوات تستعد لتلقى الصدمة الأولى فى صراع حتمى مرتقب .

وهكذا لا حرب ولا استعداد لقتال .. ولم يحن أوان الصلح ، لأن الصلح ليس من أدوار البطل .. لا بد أن تتم فى عهده سلسلة من الهزائم تجعل صلح الأمر الواقع مستقبلاً - بعد أن تكون نفسية الأمة قد مُلئت إحباطاً واستعدت له - هو الخيار الوحيد .

وفى أكتوبر ١٩٥٦ اجتاحت إسرائيل كل سيناء بعد أن أصدر البطل المُلهَم قرار الانسحاب الشهير الذى تم معظمه على الأقدام لمسافة متوسطها ٢٠٠ كم ، ووقف اليهود على الضفة الشرقية لقناة السويس . ثم جاءت القوات البريطانية والفرنسية لتحتل بور سعيد بدعوى حماية حرية الملاحة فى قناة السويس .. وهو ما عُرِف بالعدوان الثلاثى .

وأعلنت أمريكا وقوفها بجانب عبد الناصر ، وفشل التخطيط البريطانى الفرنسى « بعد أن اصطدم بصخرة الموقف الدولى حينئذ ، والذى كان ينحصر فى أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن قد أعطت الإشارة الخضراء لحليفاتها فاعتبروا متمردين » [١] .... وسحبت أمريكا هؤلاء المتمردين !!

وفى صفاقة وجه أعلن عبد الناصر أنه انتصر واخترع عيداً أسماه عيد النصر !!

ويُوضِّح الفريق صلاح الحديدى حقيقة ذلك النصر :

« وتلقفت أجهزة الدعاية المصرية هذه النتائج وكانت فرصتها الذهبية ، فتحوّل الانسحاب من سيناء إلى مخطط استراتيجى مُعَد من قبل ، كما صور

---

(١) الفريق صلاح الدين الحديدى - شاهد على حرب ٦٧ - ص ٥٥

قتال بور سعيد الذى استمر لعدة ساعات قبل سقوط المدينة وعزلها ، بالأعمال التى تمت فى روسيا وأوروبا إبّان الحرب العالمية الثانية . وهكذا ضاعت الحقيقة واختفت معها الأسباب الحقيقية للهزيمة التى وقعت بالقوات المسلحة المصرية ، سواء بضرب القواعد الجوية وتدمير سلاح الطيران عن آخره تقريباً قبل أن يشترك فى القتال ، أو بالسرعة التى تم بها الانسحاب من سيناء ، ما صاحب هذا من هرج ومرج وفقد السيطرة على القوات ، أو بنجاح القوات الإنجليزية فى احتلال مطار الجميل ببور سعيد رغم توقع محاولة الاستيلاء عليه بل التأكد من ذلك مسبقاً » [1] .

وبالطبع لا يغفل الشاهد - وأنا معه وكل المصريين - دور البطولات الحقيقية التى قام بها أفراد من القوات المسلحة فى تلك الظروف العصيبة ... بطولات تُحسب لهم كضباط وجنود ، وليس لقيادتهم العليا المشبوهة .

واذا كانت بريطانيا وفرنسا قد خرجتا من « المولد بلا حمص » ، فإن إسرائيل قد خرجت من حملة ١٩٥٦ وجيوبها ممتلئة .

« ١ - نزلت قوة الطوارىء الدولية إلى مصر ، وقبلت الحكومة وجود هذه القوات على أراضيها بينما رفضت إسرائيل ذلك . وطالبت هذه القوات بعدم وجود أية قوات مصرية لمسافة عشرة كليو مترات من الحدود ، ووافقت السلطات المصرية على التنازل عن هذه المسافة - أى نقل الحدود للغرب لمسافة عشرة كيلو مترات . ولم يكن تأثير هذا الوضع قاصراً على الناحية العسكرية البحتة ، بل تعداه إلى الناحية النفسية والمعنوية للقوات ، فقد ظلت أرض العدو بعيدة عن الأنظار ، وظلت مسافة العشرة كيلو مترات فى أرضنا مجهولة نشعركأنها تابعة للعدو ونتجنب الوصول إليها كما لو كنا نتوقع فيها نيرانه ومقاومته لوصولنا ، وحُرمنا من مراقبة العدو ومعرفة عاداته وأحواله وتفاصيل أعماله اليومية الروتينية .

---

(١) المرجع السابق .

٢ - لا يعلم إلا الله حقيقة العلاقات التى تكون قد نشأت بين بعض أفراد قوات الطوارىء الدولية وبين الطرف الآخر - إسرائيل - فى الشرق ، وعلى رأسها الإغراء لتحقيق مصالح ومنافع ذاتية فى فترة وجيزة يقضيها خارج وطنه ، وفى خدمة قضية لا تعنيه كثيراً .

٣ - استولت القوات الإسرائيلية على منطقة شرم الشيخ المسيطرة على الممر الملاحى الضيق بين الشاطىء المصرى وجزيرتى تيران وصنافرة ، وبذا أصبحت الملاحة فى هذا المضيق آمنة من أى تدخل مصرى . وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية من منطقة شرم الشيخ رابطت فيها قوة من قوات الطوارىء الدولية ، ولكن استمرت الملاحة وازدادت معدلاتها وظهرت « إيلات » كميناء بحرى تعتمد عليه إسرائيل اعتماداً كلياً فى ربطها بالبحر الأحمر وبدول شرق إفريقيا وآسيا . ولعل قيادتنا السياسية قد وافقت على مرور السفن الإسرائيلية فى هذا الخليج أو اضطرت أن تغض عنه الطرف . ومع ذلك فلم يكن هذا الكسب محل اهتمام الكتّاب فى مصر ، وكأنه عار ينبغى إخفاؤه فظل مجهولاً من الرأى العام المصرى .

ومن المسلّم به أن حرية الملاحة فى خليج العقبة تُعتبر من أساسيات وجود إسرائيل فى المنطقة العربية ، يعتمد عليها اقتصادها بل تتوقف عليها حياتها إلى حد بعيد ، ويكفى أن نذكر أن أكثر من ٩٠ ٪ من البترول الذى تحتاجه إسرائيل ، والذى يصلها من إيران ، يأتيها باستخدام البحر الأحمر والخليج العربى ، وإن امتنعت الملاحة عن إسرائيل فى خليج العقبة فستصبح حبيسة فى رقعتها ، محاطة بدول معادية لا يصلها بالخارج إلا البحر المتوسط الذى لا يصلها بإفريقيا والشرق الأقصى إلا بعد الدوران الواسع حول إفريقيا - من غربها - متحملة أبهظ التكاليف » [١] .

وبعد فضيحة الهزيمة ، واستقرار الأوضاع مع إسرائيل ، والتسليم المشبوه بما

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٧١ - ٧٨

وضعت يدها عليه من أراض جديدة ومنافذ بحرية ، كان لا بد من مغامرة جديدة يصرف بها الزعيم الجماهير عن التفكير فى موضوع إسرائيل بعد ست سنوات من وجود النظام ، الذى زعم أصلاً أنه جاء - أو على الأقل ضمن ما جاء من أجله - للانتقام مما حدث فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨

كان لا بد من شىء يعطى للناس « المعالجة التبادلية » (Correlative Correction) « والمَخرَج أو التنفيس العاطفى » (Emotional Outlet) .

وكانت الظروف مواتية ...

« فقد شهد عام ١٩٥٦ توطداً زائداً فى العلاقات « السورية - الروسية » إلى الحد الذى بات معه رتق الصدع فى الجبهة الموُحدة تجاه السوفييت ، أمراً غير بسيط ، وأصبح نورى السعيد فى العراق فى موقف صعب ومكشوفاً كلية ، وكان الملك حسين يتظاهر بالالتحاق بركب جمال عبد الناصر دون أن يشعر بالارتياح والاستقرار ، وكانت الأوضاع فى لبنان على وشك الانفجار .

وفطن عبد الناصر إلى قواعد لعبة الأمم فوجد فيها البلسم الشافى . ولجأ إلى التشاور مع أصدقائه الأمريكيين واستنفرهم للتعاون معه بُغية سد الثغرة التى ظهرت فى « جبهته ضد الشرق » [١] . « فى الوقت الذى كان يتشاور فيه مع السوفييت على مشكلة سد الثغرة فى جبهته الغربية ، التى أصبحت كثيرة الثقوب كالمنخل . وأرسل رئيس المخابرات المركزية الأمريكية إلى جمال عبد الناصر يخبره أن الولايات المتحدة لا تُخطط لشىء بالنسبة لسورية وأنه من الأفضل بالنسبة إليه أن يهتم بالنشاط التخريبى السوفييتى هناك . وأكد أصدقاء عبد الناصر الأمريكيين له أنه بسبب تجارب سابقة أحرقت الأصابع الأمريكية فى سورية ، فليست للأمريكيين أية نية للتدخل فى شئون ذلك البلد .

---

(١) لعبة الأمم ، ص ٢٥١

وهكذا فإن فكرة عقد صفقة مع عبد الناصر بشأن سورية كانت مغرية لكل من الأمريكان وعبد الناصر على حد سواء » [1] .

وكانت الصفقة هى الوحدة ... وحدة مصر وسورية تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة .

فعلى مستوى الجيش استطاع عبد الناصر إيصال « عبد الحميد السرّاج » إلى وظيفة رئيس « المكتب الثانى » فى الجيش السورى - أى المخابرات - وقام السرّاج بدوره بجمع مجموعة من حوله من الضباط أطلق عليهم « الوحدويين » أو « الناصريين » ، وزعهم على جميع أفرع القوات المسلحة السورية ..

وعلى المستوى الحكومى والنيابى حدث التقارب بين حكومتى « سعيد الغزى » و « صبرى العسلى » المتعاقبتين ، اللّتين مهدتا للوحدة منذ أوائل عام ١٩٥٧ .. واتخذ البرلمان السورى قرار الموافقة ..

وأُعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ برئاسة جمال عبد الناصر .

وكان « حزب البعث » - الذى أصبح أحد زعمائه « أكرم الحورانى » نائباً للرئيس - هو الذى أعطى ما سُمِّى « الزخم العقائدى » لدولة الوحدة .... !!

ومعطيات البعث هى العروبية العلمانية - أى اللادينية - المضادة للإسلام .

ورحبت الجماهير العربية - بحق - بدولة الوحدة دون أن يغيب عن بالها التناقض بين « شمول » الإسلام كدين يجمع العرب وغير العرب ، وبين « محدودية » القومية كولاء علمانى .

فالعرب والمسلمون بعامة يؤمنون بأن دينهم دين ودولة فى آن واحد ، ومن ثَمَّ فالوحدة هدف تاريخى لهم ضد التجزئة ، التى فرضها الاستعمار الأوروبى ، ومن قبله أُمراء الأجناد .

---

(١) السياسة الأمريكية والثورة المصرية ، ص ٨٦ - ٩٠

فالعرب مسلمون ديناً وتراثاً وحضارة وتاريخاً وكيفاً وهوِيَّةً وانتماءً . وهم عرب أيضاً بحكم المولد واللسان ، لا بحكم الجنس أو العِرق ، لأن الإسلام هو الذى عرَّب المنطقة العربية بأسرها ، والإسلام ليس أشد الحقائق وأبرزها نصوعاً فى تاريخ العرب ، بل إن حضارتهم جميعها قد برزت وتطوَّرت فى أحضانه ... ومن ثَمَّ فهم ليسوا فى حاجة إلى تلاميذ الماسون والمبشرين ليفلسفوا لهم وجودهم القومى العلمانى ... ليسوا فى حاجة إلى صبية اليهود والغرب من أمثال قسطنطين رزيق أو مشيل عفلق أو جورج حبش أو منيف الرزّاز ... وغيرهم .

« فلم يميز العرب المسلمون بين ديانتهم وقوميتهم ، وظل هذا القران بين الدين والقومية قائماً حتى يومنا هذا ، وقد قرر عميد سابق للجامعة الأمريكية ببيروت ، أن الطلبة اعتادوا أن يكتبوا خانة الوطن عند تقدمهم بطلبات الالتحاق صفة « مسلم » أكثر مما اعتادوا أن يكتبوا سورى أو فلسطينى ، وهكذا »[1].

« والعربى العادى ما زال حساساً للغاية فيما يتصل بمشاعره بالنسبة للوحدة الدينية ، أكثر مما هو حساس بالنسبة للأُخوة العربية بشكلها العلمانى ، والقومية العلمانية هى أيديولوچية العرب المتعلمين ممن تأثروا بالغرب تعليماً وقدوة . بَيْدَ أن الولاء للإسلام يُبقى الحس السائد للهوِيَّة والوحدة بالنسبة الغالبية العظمى من عامة الناس فى المدن والقرى »[2] .

وبناء على سياسة توزيع الأدوار فى « أمن الشرق الأوسط » ، وحماية الوجود الصهيونى ، تميزت الفترة من عام (١٩٥٦ إلى ١٩٦٢) باتفاق روسيا وأمريكا على سياسة متوازنة فى المنطقة ، بين النفوذ الأمريكى وتسريب الفكر الشيوعى . كانت أمريكا تهدف إلى تهيئة الأجواء ، فى العالَم العربى ، من خلال جمال عبد الناصر ، لدخول الشيوعية فكراً وأيديولوچية أنظمة حكم ، لا

---

(١) مورو بيرجر ، العالَم العربى اليوم - دار مجلة شعر - بيروت - ص . ٢٢ .

(٢) مرور بيرجر ، العالَم العربى اليوم ، ص ٢٧٧

أحلافاً مضادة للغرب ، تخرج عن لعبة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز !! وكان لإسرائيل مصلحة كبرى فى هذا المخطط الشيطانى الرهيب والبعيد الأعماق .

فالشيوعية أقدر من الغرب على محاربة الإسلام ، وابعاده حركة وفكراً وجهاداً ، عن أداء دوره تجاه إسرائيل ... والشيوعية العربية - تحت الولاية الروسية - هى التى اعتبرت العصابات الصهيونية المقاتلة فى فلسطين « جيش التحرير الوطنى الإسرائيلى » !!

« ولاعتبارات عالَمية يجهلها رجال الأعمال وإن علموا بها فلا يستسيغونها ، فإن حكومتنا قد أمسكت فى السنين الأربع التى تلت عام ١٩٥٨ عن اتباع سياسة معادية لناصر كلياً » [١] .

وفى عام ١٩٥٦ دعا « الحزب الشيوعى الإيطالى » المنظمات الشيوعية فى مصر إلى الاتحاد ، وبعد مفاوضات طويلة ، حددت خلالها تلك المنظمات الأهداف المشتركة التى ستعمل لها ، وافقت على الاتحاد ، فى يناير ١٩٥٨ ، تحت اسم « الحزب الشيوعى المصرى » .

وفى بحثه المكثف « التاريخ السرى للشيوعية فى مصر » يتحدث « نبيه عبد ربه » عن بعض أسماء تلك المنظمات الشيوعية وتاريخ نشأتها وأسماء مؤسسيها فيقول :

« ... وبرغم أن العديد من المنظمات والواجهات الشيوعية قد وحدت فى مصر ، إلا أن الملاحَظ أن جميع مؤسسى هذه المنظمات هم من اليهود ، كما أنها توزعت فى اتجاهين رئيسيين للتخصص فى تنفيذ الأهداف ، فانقسمت إلى منظمات شيوعية روسية ، ومنظمات شيوعية صهيونية .

فقد أسس الخواجة (جوزيف روزنتال) « الحزب الشيوعى المصرى » عام (١٩٢٠) ، كما أسس اليهوديان الروسيان (فيجدور) و(ناداب) عام ١٩٤٢

---

(١) مايلز كوبلاند ، لعبة الأمم ، ص ٢٧٩

« الحركة المصرية للتحرير الوطنى » وموّل هذه الحركة اليهودى الإيطالى الأصل (هنرى كوريل) صاحب بنك كوريل فى مصر والملقب بالرفيق (يونس) ، كما أسس اليهودى (هيكل شفادتس) منظمة « الأيسكرا » الشيوعية ، وفى عام ١٩٤٢ أيضاً أسس اليهودى (مرسيل إسرائيل) « منظمة تحرير الشعب » كما أسس اليهودى (شوارتز) « الحركة الديمقراطية الشعبية » ، وقد اتحدت هذه المنظمة مع منظمة « الأيسكرا » وكونتا « الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى » والتى عُرفت باسم « حدتو » . وقد بلغ عدد المنظمات الشيوعية فى مصر حتى عام ١٩٥٢ أربع عشرة منظمة » [١] .

ويقول « مورو بيرجر » وهو يتحدث عن تلك الفترة :

« وخلال عام ١٩٥٧ ، وبالأخص فى صيف ١٩٥٨ ، أعانت الكتلة السوفييتية الأهداف القومية فى مشكلتى لبنان والعراق .

ثم ازدهرت العلاقات الثقافية والأيديولوچية ، أيضاً بين الكتلة السوفييتية والدول العربية المتقدمة ، وهى مصر وسوريا والعراق . فقد ذهب مئات الشباب العربى لدراسة العلوم والتكنولوچيا فى الاتحاد السوفييتى وشرق أوروبا . ثم تدفق على مصر وسوريا والعراق عدد لا حصر له من البعثات الثقافية والراقصين والمغنين والممثلين . وأُغرقت المكتبات وأكشاك الصحف فى مصر وسوريا والعراق بالأدب الروسى وبأعمال ماركس الكلاسيكية ، والدعاية الشيوعية ، بل إنها فازت بحصة الأسد فوق أرصفة الشوارع ولدى باعة الكتب والمجلات والصحف . ثم امتلأت صحف هذه البلاد بعبارات « الاشتراكية » و« الشيوعية » و « الواقعية الاشتراكية » - وجميع المترادفات الشيوعية الثقافية والأيديولوچية ، عندما حج مئات المثقفين إلى مكة الجديدة فى روسيا والصين وشرقى أوروبا » [٢] .

---

(١) الدعوة ، العدد الثالث عشر ، رجب ١٣٩٧ (يونية ١٩٧٧) ص ٢٧

(٢) العالم العربى اليوم ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥

ومع أن إسرائيل قد حوصرت تماماً بين إقليمى الجمهورية العربية المتحدة ، الإقليم الشمالى (السورى) شمالاً ، والإقليم الجنوبى (المصرى) جنوباً ، وبين الجيشين الأول شمالاً والثانى جنوباً . . . إلا أن العلاقات كانت « سمناً على عسل » مع زعيم العروبة وقوميته ، ولم يحدث ما يُعكِّر صفوها ، ولمدة ثلاث سنوات ونصف ، وهى فترة الوجود السياسى لهذه الجمهورية ، منذ النشأة وحتى الانفصال !! بل لم يفكر « القائد الخالد » !! حتى فى استرداد ما فرُط فيه هو ، من أراض مصرية ، اقتطعتها إسرائيل منه ... آسف من مصر !!

وراح - كبديل - يصرف الجماهير عن قضيتها الأساسية ، يدخل فى قلب المعارك اللبنانية من غير نتيجة . واشتعلت بينه وبين عراق « عبد الكريم قاسم » معارك الدائرة الجهنمية ، التى لم تفض إلا إلى استنزاف الدماء والموارد وفرض اليأس وإشاعة الدمار وإشعال الحرائق وتكريس الثارات وكأنه أمر يُراد .

وكان « عبد الكريم قاسم » قد قام بانقلابه العسكرى ، مدعوماً من عناصر بعثية وشيوعية وقومية « مستقلة » وقومية « ناصرية » .. إلخ ، عندما أصبح دور « نورى السعيد » و« النظام الملكى » فى العراق دوراً عجوزاً مهترءاً ، مكشوف العورة ، لا يلائم مقتضيات خطوط « اللعبة الدولية » التى تُرسم من وراء الحدود . ثم انتهى دور عبد الكريم قاسم نفسه الذى بدأه فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ وخُتِمَ بمصرعه عام ١٩٦٣ ، ثم تتوالى الانقلابات حتى انقلاب البعث العراقى الأخير ، وانفراد « صدّام حسين التكريتى » بحكم العراق .

وكان الأمريكان يُفضِّلون « ناصراً » على كل حكام المنطقة ، سواء أكانوا زعماء انقلابيين أو ملوكاً ورؤساء تقليديين ، لأن لـ « ناصر » دوراً محدداً ، فى مرحلة أو مراحل معينة !!

« كنا نفضله على قاسم العراق وعلى الملك سعود وحتى على الرئيس اللبنانى شهاب (الذى كان ينظر إليه بعض ديبلوماسيينا على أنه « نجيب ولكن لا ناصراً معه ») . وبغض النظر عن المصائب التى كانت تحل به كل ثلاثة أو

أربعة أعوام ، فإن ناصراً كان يزداد قوة وصموداً . فهو هناك ، ودائماً هناك ، والتفكير بغيره عبث ، والعبث حرام » [1] !!

وبعد منتصف ليلة ٢٩ سبتمبر ١٩٦١ خرج « حيدر الكزبرى » على رأس كتائب من القوات المسلحة السورية واستولى على إذاعة دمشق وأعلنت بيانات تقول بأن الشعب السورى قد تخلص من ديكتاتورية عبد الناصر السوداء . وأشهدت تلك البيانات العالَم الحر على خلاص سورية من نظامه البغيض - وكان حيدر الكزبرى ذاك أحد مديرى مكتب « المشير عبد الحكيم عامر » نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة - والذى كان موجوداً فى سورية أيام ذلك الانقلاب ... وفى نفس الوقت كان الطيار « موفق عصاصة » يقود سرباً من الطائرات ، حلّقت فوق دمشق وهدّدت بضرب بعض الأهداف بالقنابل ، إن أعاد عبد الناصر الاستيلاء على سورية بالقوة .. ووقّع بعض الساسة السوريين وثيقة الانفصال ، وكانوا من اتجاهات مختلفة ، ومنهم البعثى الشهير - أحد أعمدة الحكم السابق - حكم الوحدة - صلاح البيطار !!

وهكذا ضُرِب أمل شعبى فى مقتل ، ليس لأن الجماهير العربية السورية كانت تكره الوحدة ، ولكن لأن العروبيين العلمانيين الملاحدة ، وهم الذين فاوضوا أصلاً من أجل هذه الوحدة ، وأُسندت إليهم الوظائف القيادية سواء فى الوزارة أو الاتحاد القومى - أى الحكم والتنظيم السياسى - فى سورية ، كانوا عملاء بالفكر والأجر .

أما أنهم عملاء بالفكر « ففى الجامعة الأمريكية فى بيروت وُلِدَت فكرة القومية العربية وترعرع دُعاتها » [2] و « أن أكثر من تسعين بالمئة من قادة حركة القومية العربية الأقحاح هم من خريجى الجامعة الأمريكية فى بيروت ،

---

(١) لعبة الأمم ، مايلز كوبلاند ، ص ٢٨٩ (٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٩

وكانت تُسمى سابقاً الكلية الإنجيلية السورية » [1] إلى غير ذلك مما سبق أن تعرضنا له .

وأما أنهم عملاء بالأجر فترويه وثائق « محاضر محادثات الوحدة » فى عرى صريح . فعندما جلس عبد الناصر فى المحادثات التمهيدية ما بين (١٤ مارس، ١٧ مارس) ، بين وفود مصر وسورية والعراق فى الاجتماع الأول (١٤ مارس ١٩٦٣) ، وتعاتب الجميع عن الماضى ، اتهم « على صالح السعدى » نائب رئيس وزراء العراق ، « أمين عز الدين » - الملحق العمالى فى سفارة مصر فى بغداد ، بأنه قال : إن لكل رأس ثمن ، واتهم « طالب شبيب » - وزير الخارجية العراقى الحكومة المصرية بأنها تدفع أموالاً لشراء الأُجراء ... عندما حدث هذا النقاش ، رد « عبد الناصر » بأنه دفع أيضاً لـ « حزب البعث» ولمؤسسه « ميشيل عفلق » - الأمين العام ... وجرى الحوار التالى :

« جمال عبد الناصر : احنا دفعنا لحزب البعث أموال .. أموال كثيرة .. ودُفِعَ لحزب البعث . ٧ ألف جنيه فى فترة متقاربة : . ٣ ألف جنيه ، فـ . ٤ ألف جنيه .

عبد الكريم زهور : امتى .. امتى ؟؟

جمال عبد الناصر : فى سنة ....

طالب شبيب : فى تسعة وخمسين .. وفى ثمانية وخمسين .

جمال عبد الناصر : إلى نهاية ١٩٥٩ ... والمبلغ استلمه ميشيل عفلق .. اللى خد . ٣ ألف جنيه و . ٤ ألف جنيه فى فترة ستة أشهر » [2] .

إن وضعاً كانت تلك بذوره المتعفنة لا يمكن أن يدوم مهما أُقيمت من حوله جميع الأسناد !!

لكن عبد الناصر أعزى الانفصال إلى « الرجعية العربية » و « الإقطاع »

---

(١) تعليق المترجم « مروان خير » ص ٢٦٩

(٢) محاضر محادثات الوحدة ، الأهرام ، ص ٢١ ، مارس - إبريل ١٩٦٣

و « الرأسمالية » بصفة عامة ، وإلى « الشركة الخُماسية » التى تضررت من قوانين يوليو الاشتراكية ، والتى كان يديرها « مأمون الكزبرى » .

وعلى ذلك تم حل « الاتحاد القومى » وبدأ الإعداد « للجنة تحضيرية » تعد لمؤتمر وطنى يعرض عليه جمال عبد الناصر « الميثاق » كمنهاج للعمل فى مصر . وصدر « الميثاق » متبنياً الاشتراكية العلمية تُصاغ بها الحياة على أرض مصر . وأعلن عن قيام الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى يضم ما سُمِىَ تحالف قُوى الشعب العامل .

وتميَّزت الفترة من (١٩٦١ - ١٩٦٧) بتراجع أمريكا خطوة إلى الخلف لتُفسح المجال لروسيا حتى يتم تنفيذ المخطط المتفق عليه لصالح إسرائيل .

وتطبيقاً لعقد العمل الماسونى هذا ، تحرك عبد الناصر على ثلاثة محاور فى وقت واحد ، لصرف الأمة - والشعب المصرى بصفة خاصة - عن القضية المركزية ، والخطر الرهيب على الحدود فى الشرق ، العائق المانع بين شرق البلاد العربية وغربها ، « الڤيروس الغريب » المزروع فى قلبها .

ففى الداخل كان كل هم النظام الناصرى المهزوم تعميق « الحقد الطبقى » بين الشعب وتأجيج « الصراع الحركى » تحت ستار ما سُمِىَ « تأصيل الفكر الاشتراكى » مع إشاعة جو من الإرهاب يمكن أن يُطلق عليه فى تلك الفترة بحق « عصر الرعب » .

أعلن الحزب الشيوعى المصرى حل نفسه بنفسه وانضمام أعضائه كأفراد إلى الاتحاد الاشتراكى العربى الذى كان من ضمن مهامه الرئيسية كتابة التقارير عن الأفراد والجماعات والمؤسسات ، وتحريات عن الرأى العام فيما سُمِىَ تحديات المرحلة ، ومنذ نهاية ١٩٦٤ ومع بداية ١٩٦٥ أُنشىء « كادر سرى » داخل الاتحاد الاشتراكى سُمِىَ « التنظيم الطليعى » ، ضم قيادات النظام والكوادر النشطة للشيوعيين ، مع بعض الأفراد العاديين ممن يسهل صبهم فى القالب الجديد . وكانت وظيفة هذا « الجهاز السرى » كما حددها صانعوه : أن يكون

عصباً للاتحاد الاشتراكى يتولى توجيهه ، وأن يكون له مُنشِّطاً ، يُحركه إلى كل مواقع العمل والفكر ، وأن يُسرع بإنجاز « التطبيق الاشتراكى » . وكانت جلساته سرية ، وأعضاؤه سريين منظمين فى صورة خلايا لا تعرف بعضها أبداً ، وتصدر عنه نشرة دورية سرية تُسمى « طليعة الاشتراكيين » . وله مهام أخرى منها ملاحقة ومتابعة من يُشَك فى ولائه للاشتراكية فى مواقع الإنتاج والخدمات والجامعات والمدارس وأجهزة الثقافة والإعلام . وتركزت كل السياسة داخلياً وخارجياً ، تربوياً وثقافياً وترفيهياً ، بما فى ذلك الأغانى - على صنم ، اسمه « الاشتراكية » التى لم تكن فى حقيقة الأمر إلا رأسمالية الدولة أو اشتراكية توزيع الفقر !!

وقد جاء فى قرار حل « الحزب الشيرعى المصرى » نفسه ، واندماجه فى الاتحاد الاشتراكى : « إن القاهرة تخدم الماركسية السوفييتية فى رفعها شعار الاشتراكية العربية ، كما تكافح بإخلاص الرجعية الدينية » ، « وأن التحول الاشتراكى المصرى يجرى على أساس ماركسى صادق ، وأن أى شعارات غير شيوعية ترفعها القاهرة هى للاستهلاك المحلى » .

وعن التغلغل الشيوعى داخل الاتحاد الاشتراكى يتحدث « أحمد زين العابدين » اليسارى السودانى فى مجلة « النداء » السودانية فيقول : « إن الخواجة هنرى كوريل فى القاهرة هو المُعلِّم والمموِّل الأكبر لهذه الحركة ، وقد اتخذت هذه الحركة قراراً بالدعوة إلى تقسيم فلسطين قبل قرار الأمم المتحدة بعامين ، ثم جاءتها الأوامر من موسكو بالاتحاد مع حركة ماركسية أخرى يتزعمها يهودى آخر اسمه الخواجة « شوارتز » ، وقد استطاعت الحركة الناصرية أن تضم رجال هاتين الحركتين وتسلمهم زعامة فروع كبيرة فى الاتحاد الاشتراكى » .

أما الرجعية الإسلامية التى يقصدها الحزب الشيوعى المصرى ، وضربها عبد الناصر عام ١٩٦٥ ، فيما أسماه « فيه حزب رجعى فى البلد

ولازم نُصَفِّيه » ، فلم تكن هيئة بعينها أو جماعة إسلامية تاريخية بذاتها ، وإنما كان المراد بها تصفية الفكر الإسلامى فى مصر ، بدليل لا يقبل أدنى شك ، أن معظم الذين حوكموا وصدرت بحقهم أحكام ، كانوا من شباب الجامعات والمدارس الثانوية وبعض الفئات الأخرى ، وهؤلاء لم يسبق لهم الانضمام إلى الجماعة الإسلامية التى رُوِّج أنها كانت تُدبِّر لنسف الطرق والكبارى ومحطات الكهرباء واغتيال قادة الحكم . ويوم قامت الثورة المزعومة ، أى انقلاب عبد الناصر ، كانت أعمارهم بين ثلاث وسبع سنوات !! وكذلك كان حال المعتقلين فى السجن الحربى ممن رؤى عدم تقديمهم للمحاكمة . أما الذين اعتُقلوا من الجماعة الإسلامية التى نسب لها النظام تدبير الانقلاب المزعوم ، فقد اعتقلوا كتحفظ « أمنى » ! فحسب ، والذين أُدينوا منهم لم يتجاوز عددهم العشرات ، معظمهم فيما سُمِىَ تنظيم مالى ، أى جمع تبرعات . باستثناء قلة لا تجاوز أصابع اليدين ، بعضهمَ أُعدم والبعض الأخر حُكِم عليه ما بين عشر سنوات والمؤبد ... كانت الآلاف التى اعتُقلت فى عام ١٩٦٥ من جيل النظام وتربية النظام ، والآلاف الأخرى لم تستطع الأجهزة أن تنسب إليهم أى شبهة فى تحرك تنظيمى من قريب أو بعيد .

وطمأن الاتحاد السوفييتى إسرائيل على انصراف عبد الناصر عنها ، فى مرحلة الاحتواء السوفييتى ، فى خطاب ألقاه السفير الروسى فى « المؤتمر اليهودى العالمى » الذى عُقِد فى إسرائيل عام ١٩٦٦ وقد جاء فيه :

« إنى أُناشدكم هنا فى إسرائيل وفى المجتمع اليهودى العالمى أن تؤيدوا سياسة الاتحاد السوفييتى فى الشرق العربى لأنها سياسة فيها كل النفع والخير لإسرائيل واليهودية العالمية » !!

« وإن إسرائيل حكومة وشعباً تعلم أتم العلم بأن ازدياد النفوذ السوفييتى فى الوطن العربى وزيادة اعتماد العرب على الاتحاد السوفييتى عسكرياً ودبلوماسياً واقتصادياً هو فى المرحلة النهائية - وفى المرحلة الحاضرة أيضاً - يعزز سلامة إسرائيل تعزيزاً راسخاً » !!

وإذا كان الناس يتندرون منذ قرون على أهل القسطنطينية ، فيما سُمِيَ « السفسطة » البيزنطية ، بشأن الجدل العقيم حول أشياء تافهة ، انشغل به مفكروهم ورجال دينهم ، وظلوا كذلك حتى ليلة سقوط مدينتهم ، فإن ما حدث فى مصر لا يستحق التندر فحسب ، بل إنه جدير بالدمغ والإدانة . ففى منتصف مايو ١٩٦٧ قبل أيام من الهزيمة النكراء ، التى سقط فيها ثُلث الأرض المصرية فى أيدى اليهود ، علاوة على قدس الأقداس وما بقى من فلسطين والجولان ، اجتمع « قادة الفكر الاشتراكى » فى مصر من كبار أعضاء « التنظيم الطليعى » والمُنَظِّرين العقائديين ، شيوعيين وناصريين ، ووزراء وصحفيين كبار وأساتذة ماركسيين ... اجتمعوا على مدى ثلاث جلسات برئاسة « كمال الدين رفعت » نائب رئيس الوزراء وأمين الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى ، ليناقشوا تعريفات ويحددوا مفاهيم ، صدرت فى سبع وعشرين صفحة ، أترك للقارىء الكريم الحكم عليها ، وأنا أنقل بعض ما جاء فيها ، وكم كنت أتمنى أن يتسع المجال لنقل المحاضر كلها :

« فؤاد محيى الدين : أرى أن نقوم بعمل مسح اجتماعى لقوى الشعب الموجودة لنحدد موقفها من الثورة ومن تقدم الثورة .

كمال رفعت : أريد أن أُضيف النقطة التالية وهى : هل الفرد هو الذى يختار الطبقة أم هى التى تُفرض عليه ؟ وفى كلا الحالتين يوجد وضع طبقى .

فؤاد محيى الدين : والحرفيين والحلاّقين والنجارين والذين يعملون فى حوانيت لا يدخلون ضمن العمال وهذه قضية تعريف الرأسمالية الوطنية .

محمد أنيس : وجدتُ أن من يمارس العلاقات الإقطاعية ليس قاصراً على كبار الملاك ، بل على صغار الملاك الزراعيين ، وخطر فى بالى وضع حد لهذا الموقف وهو طرح فكرة « الأرض لمن يزرعها » حتى لا تمارس علاقة إقطاعية .

فؤاد محيى الدين : مالك الثلاث أفدنة يشتغل وله موقف مضاد ، هل نعتبره طبقة ؟

عباس رضوان : يحدث أننا نرى حالات : فرد من طبقة معينة فى المجتمع تهيأت له الظروف الى أن ينفذ إلى طبقات أُخرى .

أحمد بهاء الدين : نبدأ بأى طبقة - كالفلاحين أو العمال مثلاً - ونناقشها . ما هى حدودها وما هى شرائحها أو فروعها ونخرج بتحليلات موضوعية عن كل فئة .

كامل زهيرى : هناك ما يشبه التناقض الرئيسى بين المِلكية وبين العمل .

كمال رفعت : الذى يعيش على المِلكية فعلا ولا يعمل فهو شخص مستغل . ومن الواضح أن العنصر الأساسى والفعّال فى الاستغلال هو المِلكية .

أحمد بهاء الدين : لقد تحدثنا فى الطبقات وتحدثنا فى الاستغلال ولم نعرف أيهما أهم ؟

عبد الرازق حسن : أعتقد أن الطبقة مرتبطة بالاستغلال .

كمال رفعت : فى تصورى أن جميع المناقشات ما هى إلا تمهيد لمعرفة ما هى القوى التى يمكن أن تسير فى الخط الاشتراكى .

أحمد بهاء الدين : إن اللجنة العُليا لتصفية الإقطاع تنظر صوراً من الاستغلال غير مرتبطة بالمِلكية .

عباس رضوان : أعتقد أن الطبقة الوسطى تكون مرتبطة بالاستغلال .

محمد أنيس : مثل هذه الطبقة أو هذه الفئة لا يمكن أن تكون موجودة فى المجتمع الاشتراكى .

عبد الرازق حسن : إذا قمت بعملية عزل يمكن أن نصل الى نتيجة ، وهى أن هناك تناقضاً أساسياً بين العمل والمِلكية .

فؤاد مرسى : المالك للأرض ولا يزرعها بنفسه ويؤجرها يعمل عملية متخلفة جداً وهي ما نسميها بسمنة إقطاعية حتى ولو كانت هذه القطعة فداناً واحداً .

أحمد بهاء الدين : يوجد فرق بين تحديد الفئات وبين الصور التى تتعداها هذه الفئات فى ظروف ضعيفة مثل شخص أجير مضاد للثورة . هل لهذه الفئة معالِم واضحة ! ؟

كمال رفعت : لماذا تكون الشكوى دائبة فى المجتمعات الاشتراكية من طبقة المثقفين .

محمد أنيس : يُخيَّل إلىّ أن أقرب القطاعات إلى الرأسمالية هو قطاع المثقفين لأن التداخل بين القطاعين كبير .

كمال رفعت : لا تنسى التأثير الخارجى ، فالاستعمار الجديد له وسائله لأنه يُركِّز على هذه الفئة .

عبد الرازق حسن : لا سيما وأن هذه الفئة تشكل خطورة بعد أن انتصرت وأُزيل من طريقها طبقات كثيرة .

كمال رفعت : النتيجة التى نريد الوصول إليها بالنسبة لهذه الطبقة المتشابكة كيف يمكن تقييمها وكيف نُقَيِّم ثوريتها ؟

فؤاد مرسى : لقد توقف بحثنا عند موضوع الطبقة والطبقات ، وكانت هناك رغبة فى تشريح المجتمع المصرى إلى طبقات .

كمال رفعت : المشكلة فى الواقع هى الطبقة الوسطى ، فكيف تصبح هذه الطبقة قوة اشتراكية ؟

عباس رضوان : فيما يتعلق بإخراج طبقة من نطاق الفئات الثورية أو إدخالها فيه فإن الميثاق قد حدَّد هذه الفئات وافترض بقاء تناقضات مستمرة فيما بينها .

فؤاد مرسى : إن الرأسمالية الكبيرة مستبعَدة تماماً من تحليلى ، وكلامى ينصب على الرأسمالية الوطنية ، إنى أقول إن جمهرة من الناس ، الذين ليسوا

عمال [1] وليسوا رأسمالية كبيرة ، كانت متداخلة فى مصالحها مع الاستعمار والاحتكارات ... ما زالت بدون تحديد كبير .

كامل زهيرى : لا يمكن القول أن كل الطبقات تتساوى فى مواقعها الثورية .

أحمد بهاء الدين : المعيار الذى قيل هو فى الواقع معيار حقيقى ، فإذا قلنا ثورية بمعنى الكلمة ، فإننا لن نجد طبقة كاملة فى مصر ينطبق عليها ذلك بحكم ظروفها .

كمال رفعت : هل الطبقة العاملة تعتبر قوة ثورية ؟

فؤاد محيى الدين : سيادتك تقول إنه إذا وُضِعت خطة والتزمت بها طبقة فإنها تكون ثورية .

أحمد بهاء الدين : السيد الأمين لا يقصد الالتزام بالمعنى الأخلاقى .

كامل زهيرى : نعود للمعيار الأصلى للتمييز بين من يعتمدون على المِلكية ومن يعتمدون على العمل ، فمن يعتمد على المِلكية مُستغِل بطبيعته ومُعاد للتنمية .

كمال رفعت : إن ما أشار اليه الدكتور فؤاد مرسى هو تساؤل يقول : هل المفروض أن تكون الطبقة العاملة ثورية ؟

فؤاد محيي الدين : فى سنة ١٩٦٢ أعيدت صياغة النظرية الثورية للبلاد . وحدث تطور بعد ذلك من ١٩٦١ حتى سنة ١٩٦٧ فإن الرأسمالية التى قبلناها معنا فى التحالف لم تصبح كلها منتجة ، وهنا فإن القيادة الثورية سوف تواجه هذا الموقف بإجراء فى المستقبل .

فؤاد مرسى : فى مصر حالياً ، هل الرأسمالية المتوسطة ليست ثورية ؟

---

(١) صحة اللّفظ « عمالاً » كما تقضى بذلك لغة العرب !! لكننا نقلناه عن صاحبه كما ورد ، حتى لا نُتهم « بالتحريف الاشتراكى » ، فربما يكون للفظ بهذا « الضبط » دلالة « ثورية » !!

كامل زهيرى : إن تحديد مستقبل الرأسمالية الوطنية أمر واجب ، ولكن لا بد أن يكون بشروط واضحة .

فؤاد مرسى : إن إجراءات عام ١٩٦١ قد هزّت الملكية إلى الأبد .

أحمد بهاء الدين : إن خطورة الرأسمالية الصغيرة يكمن فى كثرة عددها »[١] .

إلى هذا الحد كان عِهر الكلمات وتفاهة الفكر الذى سبق الهزيمة النكراء !!

وبالتوازى مع التخريب العقائدى وزرع الحقد والصراع فى المجتمع المصرى كان لا بد للنظام - وهو يؤدى دوره المرسوم - من البحث عن مغامرة خارجية يغطى بها على الفشل فى سورية ... كان لا بد من ضربة مضادة يواجه بها الوضع العربى فى أعقاب الانفصال . ولا يهم أين تكون الضربة المضادة ، أو مدى النجاح المحتمل ، وذلك كان هدفاً ثانوياً . أما الهدف الأساسى فهو استدراج القوات المسلحة واستنزاف طاقاتها فى حرب لا مبرر لها ، حتى فى الأحوال العادية ، بُغية إبعادها عن مهامها القتالية الرئيسية تجاه عدو على الحدود ، والصراع بيننا وبينه ليس ترفاً فكرياً ، لكنه صراع حياتى ، من حيث نكون أو لا نكون .

وكانت تلك ، هى « مغامرة اليمن » ، والزج بالقوات المسلحة كطرف فى الصراع الدائر هناك ، حيث امتدت الحرب الأهلية مشتعلة الأوار - بسبب ذلك التدخل - لمدة خمس سنوات ، بلا حصاد عاد على الأمة العربية ، إلا أن يكون الدمار الرهيب . ولستُ أدرى ما هو معامل الارتباط بين « رجعية » البدر و « تقدمية » السلاّل فى الصراع العربى الإسرائيلى ، أو حتى فى وحدة الأمة العربية ! ؟ وماذا فعل تقدميون أكثر من السلاّل والبيضانى والعمرى ، فى عدن أو

---

(١) الكاتب ، « حول القوى الثورية فى المجتمع » - العدد ٧٤ - مايو ١٩٦٧ ، ص ٧ - ٣٢

سورية أو العراق ، وعلى رأسهم « القائد الخالد » !! جمال عبد الناصر - الأكثر تقدمية من الجميع ، وعُروبية من الجميع - فى هذا الصراع .

كانت الظروف التى قاتَل فيها الجيش المصرى فى اليمن عام ١٩٦٢ وحتى عودته بعد نكبة ١٩٦٧ ظروفاً قاتلة لجيش حديث ، المفروض أنه مُعَد أساساً لقتال الجيش الإسرائيلى العصرى ، فى تسليحه وفى تفكيره وأسلوب قتاله .

ومن عجب أن يذكر « هيكل » فى « الأهرام » عام ١٩٦٧ ، أن حرب اليمن قد دربت فرقاً كاملة من القوات المسلحة على الحرب القادمة مع إسرائيل ... كان يكذب بالطبع ، ويعطى التبرير المخادع للشعب المصرى وللأمة العربية.

وجاءت الحرب مع إسرائيل ... وكانت مغامرة اليمن - كما هو مُخطَط لها فى تصورى - من عوامل الهزيمة حتى لو أخذنا بظاهر الأسباب .

وعن وجود القوات المسلحة المصرية فى اليمن واستنزافها ، قبل وأثناء حرب ١٩٦٧ ، يتحدث « الفريق صلاح الدين الحديدى » فى كتابه المعجب « شاهد على حرب ٦٧ » فيقول :

« واذا تذكرنا أيضاً أن الوجود المصرى فى اليمن ، والذى بدأ منذ أواخر عام ١٩٦٢ لم يكن قد انتهى حتى عام ١٩٦٧ ، بل وازداد تدريجياً حجم القوات التى تُساند هذا الوجود على مدى السنوات ، حتى بات يؤثِّر على الخطط الموضوعة للدفاع عن سيناء ، وليس هناك ارتباط بين الميدانين حتى يُؤثِّر أحدهما على الآخر ، وابتلعت جبال اليمن الشامخة وجشع القبائل ورجالها ، وتذبذب موقف المشايخ وترددهم ، أفضل التشكيلات والوحدات ، وعندما كانت القوات المصرية فى سيناء تقاتل وتكافح من أجل الحفاظ حتى على حياتها عام ١٩٦٧ ، كان هناك عشرات الألوف من زملائهم على بُعد ٣٠٠٠ كم فى اليمن ، لا يستطيعون أن يشاركوا فى المعركة بأكثر من الجلوس إلى أجهزة الراديو يستمعون ويُعلِّقون » (ص ٩٤) .

ولم يكتف النظام باستنزاف الجيش ، بشراً ومعدات ، فى حرب اليمن ، بل

حوّل الجيش المصرى من حارس للوطن ، إلى حام للنظام ، علاوة على إهماله فى التدريب وتزويده بالمعدات ، ومن أبرز الخطوات التى اتُخذت فى هذا الشأن ما فصّله « الفريق صلاح الدين الحديدى » فى أمانة ودقة ، فى كتابه سالف الذكر، ولا بأس من أن نورد بعضها ، وبالذات تلك التى حدثت فى الشهور القليلة لهزيمة ١٩٦٧

إضافة إلى ما كان يُطلق عليه فى القوات المسلحة « المشاكل المزمنة » ، نظراً لتكرارها كل عام ، أصدرت القيادة العُليا للقوات المسلحة فى صيف ١٩٦٦ حركة تعيينات وتنقلات واسعة بين القادة والضباط شملت عدداً كبيراً منهم من أكبر الرتب إلى أصغرها تطبيقاً لمبدأ الولاء قبل الكفاءة (١) .

كان العمل فى مناطق سيناء وقطاع غزة يحتاج إلى كفاءة ويقظة واحتراف حقيقى للجندية عند تلقى الصدمة الأولى فى حالة صدام مسلح مع إسرائيل على الحدود ، وقد شمل مبدأ « الولاء قبل الكفاءة » هذه المناطق الهامة ، وعُيِّن فيها الأكثر ولاءً دون النظر إلى كفاءتهم الحقيقية وأصالة روح القتال فيهم (٢) .

ضرورة انتماء الضابط إلى إحدى الشلل كمظهر للولاء ، وكانت خيوط الولاء كلها تتجمع فى يد من بيدهم الأمر فى القوات المسلحة الذين يمنعون ويمنحون ، يحللون ويحرمون بل يفصلون من الخدمة أو حتى يعتقلون (٣) .

تعيين العقيد شمس الدين بدران وزيراً للحربية وهو من خريجى عام ١٩٤٨ . وكان يعمل مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة عبد الحكيم عامر ، وكان أحد العمد التى ترتكز عليها القرارات الهامة المتعلقة بكبار الشخصيات وتعيينهم فى وظائف الدولة الكبرى ، عسكرية ومدنية . ولم تكن ثقافته العسكرية أو خدمته الميدانية تؤهلانه لذلك ، فهو لم يحضر دورة دراسية واحدة بعد

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٢٣ - ٢٤ (٢) المصدر السابق ، ص ٢٦
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤

الثورة منذ أن كان برتبة نقيب . وتدرج فى الترقى دون المؤهلات القانونية اللازمة حتى وصل إلى رتبة العقيد ، ولذا كان اهتمامه بعيداً عن النواحى الفنية ، وتخصص فى الإشراف على الشئون العامة للقوات المسلحة التى تُمكِّنه من إدخال أنفه فى كل شيء ، فتنقلات الأفراد وترقياتهم ، وإيفادهم إلى بعثات تعليمية فى الخارج ، والتأكد من ولائهم وعدم انحرافهم ، ورعايتهم والترفيه عنهم ، وأحوالهم الشخصية ، كل هذا يتبع الشئون العامة [١] .

لا شك أن تاريخ القضايا السياسية فى مصر بعد ثورة يوليو (تموز)١٩٥٢، سيُظهر جلياً الدور الهام الذى لعبه شمس بدران فيها ، والجهود الشاقة المضنية - وربما غير الإنسانية أحياناً - التى قام بها فى التحقيقات الخاصة بالقضايا الهامة التى اتُهِم فيها الإخوان المسلمون وغيرهم بقلب نظام الحكم ، والسلطات الواسعة التى كان يتصرف على أساسها فى القوات المسلحة وخارجها ، واشتراكه فى لجان تصفية الإقطاع التى كان يرأسها المشير ، وتعيين العديد من المحافظين ورؤساء المؤسسات والهيئات فى وظائفهم من المقرَّبين إليه ، ولا شك أن الرئيس الراحل كان يشمله بثقته وعطفه ويوافق بصفة عامة على أعماله وتصرفاته [٢] .

وقد ساعد شمس بدران فى النجاح الذى حققه فى توطيد سلطته ونفوذه ، أنه كان أحد أفراد مجموعة تعمل مع المشير ، عُرِف عن معظم أفرادها الانتهازية أو الفساد ، ووجدت تلك المجموعة فى هذه الظروف فرصتها لتعيث فساداً ، مُشبعة شهواتها المادية والحسِّية على حساب سلطات المشير ، وأموال الدولة [٣] وسمعة القوات المسلحة ، وتشعبت هذه المجموعة وانتشر نفوذها . وكان بعض

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٣٥ - ٣٧ (٢) المصدر السابق ، ص ٣٩

(٣) من هؤلاء المدعو « على شفيق » مدير مكتب المشير للشئون الرياضية . وقد هرب بأمواله إلى لندن ثم وُجِدَ مقتولا فى أحد الفنادق وتحت وسادته مليون جنيه إسترلينى (فكة) ..... مجرد (فكة) فقط !!

أفراد هذه المجموعة على درجة عالية من خفة الروح واتقان التهريج ، فقاموا بدور مهرج الملك على أحسن وجه !! [١] .

فتحليل شخصية « شمسي بدران » وتفنيد ما قام به من أعمال ومسئوليته عن نكسة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، تحتاج إلى الكثير من الشرح والإيضاح [٢] .

وسادت الانفصالية كل فرع من فروع القوات المسلحة ، ففى الكثير من الاختراقات الجوية التى تمت فى مجالنا الجوى قبل ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ كان السبب الرئيسى فى عدم إمكان اعتراض الطائرات المخترقة يرجع إلى عدم يقظة أفراد الدفاع الجوى ، أرضيين أو جويين ، هذا بالإضافة إلى أن المعدات المتيسرة لم يكن الاهتمام بصيانتها والمحافظة عليها محل عناية كبيرة ، ولم يكن شكل التعاون بين القوات الجوية والتشكيلات البرية واضحاً تفصيلياً لجميع المستويات المُناط بها هذا التعاون ، نظراً لإحجام القوات الجوية عن تنفيذ المشروعات المخططة لهذا التعاون [٣] .

وصل مستوى التدريب بالجنود فى معظم السنوات السابقة للنكسة حتى مستوى فرقة مشاة ومدرعة ، ولكن فى (عام ٦٦ / ١٩٦٧) وافقت القيادة العامة للقوات المسلحة على أن يقتصر تدريب التشكيلات فى المنطقة العسكرية الشرقية - وهى المنطقة المناط بها الدفاع عن سيناء - على تدريب مستوى سرية مشاة أو مدرعة ، كيف نسمح للقوات التى ستتلقى الصدمة الأولى مع العدو أن تكون أقل من مستواها التدريبى عن باقى القوات المتمركزة فى العمق ؟ [٤] .

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٤٠
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٦
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٢ - ٦٤
(٤) المصدر السابق ، ص ٧٠

ولا يعلم إلا الله هل كان القصور فى التدريب عام (٦٦ / ١٩٦٧) سبباً فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ أم أن الأمر كان أضخم من موضوع التدريب ! ؟

ظهرت فئة جديدة فى القوات المسلحة ، عملت على توسيع قاعدتها وزيادة عددها ، ومع مرور الوقت نالت من النفوذ والسلطان والمزايا المادية ما جعلها مترابطة متكاتفة ، ذات مصالح واحدة . ولكن هذه الفئة لم يعمل معظمها على رفع مستوى أفرادها فى النواحى العلمية والعسكرية ، حتى يكون الولاء للوطن وللجيش ، بالإضافة إلى الثورة ورجالها ، وكأن الولاء والكفاءة نقيضان ، كان تأمين الوطن من وجهة نظر هذه الفئة ينحصر فى مراقبة باقى الضباط والتماس الوسائل البوليسية للوقوف على ميولهم أو تعليقاتهم على الأحداث ، ثم نقل هذه الاستنتاجات إلى قمة الموالين ، وهذا الأسلوب فى مراقبة الضباط ومتابعة أفكارهم ونقل الأخبار عنهم ، كان يسير جنباً إلى جنب مع الأسلوب الرسمى الذى تقوم به إدارة المخابرات الحربية وغيرها من أجهزة الأمن الأخرى فى الدولة . وهكذا وجد الضباط أنفسهم يعيشون فى جو غامض وغريب ، الحظوة فيه لمن انتمى إلى إحدى الشلل ، وتتبع هذه الشلل الوسائل البوليسية العتيقة فى تلمس الشعور والاتجاهات ، كما كانت القوات المسلحة برُمتها تُعتبر الحامية للثورة ورجالها إذا ما أبدت أية جهة أخرى إتجاهاً مخالفاً فى يوم من الأيام [١] .

إن الأخطاء التى وقعت فيها القيادتان السياسية والعسكرية قبل وأثناء حرب يونيو ١٩٦٧ كانت قد وقعت قبل ذلك فى حرب ١٩٥٦ ، أى قبل أكثر من عشر سنوات ، ويصف الدكتور عبد العظيم رمضان هذه الأخطاء القديمة أنها كانت « بروفة » لأخطاء حرب ١٩٦٧ [٢] .

ومن ناحية التسليح وتدبير ما يلزم القوات المسلحة من معدات ، التى كنا

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٩١ - ٩٢ (٢) المرجع السابق ، ص ١٠

نعتمد فى الحصول عليها بالكامل على الاتحاد السوفييتى والتى كان يُتفق عليها من حين إلى آخر كانت تصل فى مواعيد متباعدة ، وكان بعضها لا يصل إطلاقاً رغم الاتفاق على تاريخ الوصول .

لم تكن هناك خطة عامة للتسليح ، للوصول بالقوات المسلحة فى تاريخ محدد ، مهما طال أمده ، إلى موقف يسمح لها بإجراء هجوم عام ، ويهدف فى هذا السبيل الى الحصول على تفوق عددى ونوعى على التسليح الإسرائيلى ، وكانت خطة التسليح تسير بلا هدف محدد لتحقيق سياسة استراتيجية معينة !! (١) .

ورغم كل تلك الخطايا التى ارتكبها نظام عبد الناصر فى حق القوات المسلحة ، فقد صدرت الأوامر فجأة وبدون مقدمات يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ بوضعها على أعلى درجات الاستعداد ، وقيل فى التعليل ذلك أن المعلومات قد أكدت أن إسرائيل بصدد غزو الجمهورية العربية السورية ، وأنها تجرى حشد قواتها على الحدود السورية ، مع أن جهاز الحصول على المعلومات قد نفى وجود حشود عسكرية معادية تجاه سورية ، وأنه لا يرى ضرورة لإعلان حالة الطوارىء القصوى فى القوات المسلحة .

وكان « حزب البعث » هو الذى يحكم سورية ، فى ذلك الحين ، تحت القيادة الفعلية للمدعو « صلاح جديد » « الأمين العام القُطرى » لحزب البعث و « رئيس أركان الحرب » للجيش السورى فى نفس الوقت . وكان « النصيرى » البعثى « حافظ الأسد » وزيراً للدفاع وأميناً قُطرياً مساعداً للحزب ، وكان « ميشيل عفلق » القائد المؤسس وأمين عام القيادة القومية لحزب البعث غير مطرود من سورية ... كان هناك فى دمشق يبارك الجميع ويتبارك بموهبته الجميع « كعراب » للجميع !!

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٩٤ - ٩٥

وقد أعلن عبد الناصر - فيما بعد - أن معلوماته التى استند عليها قد جاءته من رفاقه السوريين ، عبر أنور السادات ، بعد عودته من زيارة لسورية ، وأن « السوفييت » هم الذين اكتشفوا الحشود ، وأبلغوا بها السوريين ... حكاية سخيفة !! أحسن منها - حبكة وإتقاناً - حكاية الفأر الذى قُطع ذيله، فذهب الى النجار ليركب له الذيل ، والنجار يُريد مسماراً ، والمسمار عند الحداد ، والحداد يُريد بيضة ، والبيضة داخل الفرخة ، والفرخة تُريد قمحاً ، والقمح فى الجرن ... إلى آخره !! ومع ذلك فحكاية الفأر مقطوع الذيل نحكيها لأطفالنا الصغار ، تسلية لهم ونحن نُسلمهم لنوم هادىء عميق . وهناك فارق كبير بين حكاية الفأر ودورانه فى دائرة تركيب ذيله ، وبين معلومات عبد الناصر عن حشود « إسرائيلية » : عن أنور السادات ، عن الرفاق السوريين ، عن الرفاق السوفييت .... الفارق هو أن الذى قُطِعَ ذيله كان فأراً استطاع وصل المقطوع ، أما فى حكاية عبد الناصر فإن الوطن هو الذى قُطِعت أوصاله وذُبِح ، وحُرِق ومُزِّق خير أجناده ، لا لذنب ، أو ضعف في رجولتهم أو غيرتهم ، لكن لأن قائدهم الأعلى قذف بهم متآمراً ليخلص منهم ، ويجلب العار على وطنهم وأمتهم ، تحقيقاً لدور آداه حتى هلك ، وتنفيذاً لاستراتيجية « الماسونية العالمية » !!

تُرى ماذا حدث منذ ١٤ مايو ١٩٦٧ وحتى ٥ يونيو ، يوم الضربة الإسرائيلية ، ثم إعلان عبد الناصر الرسمى عن الهزيمة يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ ، بعد أربعة أيام من بدء المعركة ! ؟

وأرى لزاماً علىّ أن أصطحب مع القارىء الكريم لنتابع معاً شهادة رجل أمين هو « الفريق صلاح الدين الحديدى » ، مع شهادتين إحداهما « لشمس الدين بدران » نفسه ، أمام المحكمة العسكرية التى حاكمته فيما سُمِىَ « بقضية المشير » ، والثانية لأحد « أمناء الهيئة البرلمانية لمجلس الأمة » فيما نسبه إلى « إذاعة السر لمذكرات المشير » .

يقول « الفريق صلاح الدين الحديدى » :

١ - بدأت المرحلة التحضيرية لاشتباكات الأيام الستة بمجرد إعلان رفع درجات الاستعداد للقوات المسلحة يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ ، وانتهت بإطلاق الطلقة الأولى التى أطلقها الجانب الإسرائيلى صباح يوم ٥ يونيو ، ولا بد لى فى هذا المجال أن أشير إلى أن الجانب الذى يتمتع بالمبادأة . والذى قرر أن يتبع سياسة هجومية فى عملياته ، يمكنه أن يتحكم فى مدى الفترة التحضيرية ، فهو الذى يقرر اليوم المناسب له لبدء هجومه (يوم ى) ، ويرتبط تحديد هذا اليوم بالوقت الذى يحتاجه لإكمال استعداداته العسكرية وتكييف ظروفه السياسية . أما الجانب الذى اتخذ الدفاع أسلوباً لعملياته ، فإن فترته التحضيرية غير معلوم نهايتها بالتحديد ، وقد يصبح فى وضع لا يُحسد عليه إذا ما أنهى الجانب الآخر تحضيراته وبدأ فى تنفيذ خططه الهجومية ، بينما هو ما زال يعمل لاستكمال استعداداته [١] .

٢ - تمت التحركات إلى الجبهة فى عُجالة ، وقاست قوات المنطقة المركزية الأمرين فى تحركاتها ، نظراً لعدم خبرتها السابقة فى القيام بمثل هذه التحركات الطويلة ، ولقلة الطرق التى تخدم هذه التحركات . إذ لم تزد هذه الطرق عن طريقين صحراويين ، طريق القاهرة - السويس ، وطريق القاهرة - الإسماعيلية، فازدحم الطريقان ، وتعطلت مركبات كثيرة على طول الطريقين ، الأمر الذى أدّى إلى وقوع حوادث كثيرة ، وفشل المشرفون عليها فى تنظيمها وإتمامها بالانضباط اللازم [٢] .

٣ - إن مضاعفة حجم قوات الجيش فجأة ، وفى فترة قصيرة ، أدّت إلى ظهور إحدى المشاكل المزمنة فى القوات المصرية بشكل حاد ، أعنى بها مشكلة نقص الضباط ، والوقت خطير والظرف مُلِح . وعدم توفير الفنيين من سائقى الدبابات والعربات وعمال الأجهزة اللاسلكية وباقى الأجهزة الفنية ، ففقدت القوات

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٦٢ (٢) المصدر السابق ، ص ١٦٣

العاملة التى نالتها عملية الفتح التعبوى ، أصالتها وكيانها ، بل ومقدرتها القتالية . وبذا صار تحرك هذه الوحدات إلى الجبهة تحركاً أشبه بنقل مهاجرين من مدينة إلى أخرى تحت ضغط الفزع والاضطراب ، غايتهم الوصول إلى المحل الجديد وليفعل اللّهُ ما يشاء بعد الوصول [١] .

٤ - برغم مرور بضعة شهور على الحركة الواسعة التى تم فيها تعيين قادة جدد لتشكيلات ووحدات القوات المسلحة فى صيف ١٩٦٦ ، وبالرغم من الحقيقة الكبيرة والمعروفة جيداً أن الوحدة أو التشكيل يعمل كفريق واحد ، يجب أن يكون متفاهماً ومتجانساً ، وكانت المدة التى انقضت منذ صيف عام ١٩٦٦ حتى مايو ١٩٦٧ تكاد تكفى للوصول إلى هذا التفاهم والتجانس ، ومع ذلك فقد صدرت الأوامر بتغيير عدد كبير من هؤلاء القادة مرة أُخرى لغير أسباب واضحة ، عُيِّن بدلهم قادة جدد ، بعضهم قليل الخبرة بطوبوغرافية سينا وبخططها الدفاعية ، والبعض الآخر انقطعت صلته بالتشكيلات التى كان يقودها من قبل ، والجميع لا تربطهم أية علاقة بقياداتهم الجديدة . ومن أمثلة ذلك القرار الذى عين ضابطاً كبيراً كان يعمل فى عاصمة ألمانيا الغربية قائداً لتشكيل فى سيناء بعد أن ساقته الظروف إلى زيارة مفاجئة للقاهرة ، لم يقض فيها إلا بضعة أيام كانت كافية لتقع عليه عيون المسئولين ، فيُوضع فى هذا الاختبار الصعب ، ومن سوء الطالع أن يُطالِب هذا الزائر تعيين صديق له ليعمل رئيساً لأركان تشكيله ، فأجيب إلى طلبه فيصبح على رأس التشكيل قائد ورئيس أركان لا تربطهما به سابق معرفة ، وقرار آخر مشابه تضمن نقل قائد فرقة ليتولى قيادة فرقة أُخرى قبل الاشتباكات بأيام معدودة ، فلا هو استطاع أن يتفهم خصائص الذين سيشتركون معه فى المباراة المرتقبة ، ولا استطاعت فرقته القديمة أن تتعرف على طباع قائدها الجديد [٢] .

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ (٢) المصدر السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧

٥ - وعلى مستوى قيادة الجبهة المصرية صدر قرار فجائى بعد إعلان حالة الاستعداد بأيام قليلة بإنشاء قيادة جديدة تعلو المنطقة العسكرية الشرقية التى كان مقرراً أن تتولى جميع المسئوليات شرق قناة السويس ، وأُطلق على هذه القيادة الجديدة : القيادة الأمامية للجبهة ، وعُيِّن قائد القوات البرية قائداً لها ، بل إن كثيراً من ضباطها كان بعيداً كل البعد عن سيناء جسماً وتفكيراً واهتماماً ، كما أن قائدها لم يسبق له الخدمة فى سيناء إلا لماماً ، وهكذا وجدت المنطقة الشرقية نفسها وبعد مجهود شاق يذلته فى الأيام الأولى التى تلت يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ أمام منافس خطير لم يكن فى الحسبان ، فكان رد الفعل الطبيعى أن تعمل قيادة المنطقة التى تحوَّلت إلى قيادة جيش ميداني - كما كان مخططاً من قبل - على مقاومة نفوذ القيادة الجديدة ، وإقامة العراقيل أمامها ، وقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير ، وقد ساعدت القيادة العليا فى القاهرة على جعل الموقف غامضاً والمسئولية غير واضحة ، فبينما أصدرت أوامرها بتشكيل القيادة الجديدة ممثلة لقيادة المشير عبد الحكيم عامر فى الجبهة مؤقتاً ، داومت على الاتصال بقيادة المنطقة الشرقية ، مُصدرة إليها تعليماتها ، متجاهلة فى نفس الوقت ، وفى معظم الأحيان ، القيادة الجديدة [١] .

٦ - عندما زاد تدفق القوات عبر قناة السويس متجاوزة مطالب المعركة الدفاعية ، ورغبة فى امتصاص حماسة القادة والضباط والقوات التى حُشِدَت فجأة ، كلفت القيادة العامة قيادة الجبهة بوضع خطط لعمليات هجومية غير طموحة لا تستهدف أكثر من إظهار المقدرة على العمل ، ولكن لا تتورط فيه منتظرة ردود الفعل إزاء هذه العمليات الهجومية فى المجال الدولى مستبعدة الاستمرار فيها حتى النهاية . ولم يكن له لون مميز ، فلم تتحدد استراتيجية هجومية تضع كل القوات فى ظروف تخدم هذه الاستراتيجية وتحشد كل مواردها تطبيقا لمبدأ الحشد ، حتى تكون الضربة ذات قيمة ، فلم تجهز دفاعات النطاقين

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٦٨ - ١٦٩

الثانى والثالث تجهيزاً كاملاً بمثل النطاق الأول ، ولم يتم احتلالهما بل بقيت القوات فى مناطق حشد بالقرب من النطاق المخصص لها ، تحاول إخفاء وجودها ووقاية نفسها [1] .

٧ - ولما كان الأمر بالهجوم وعبور طائراتنا خط الحدود المصرية إلى داخل الأراضى الإسرائيلية متمركزاً فى أعلى السلطات السياسية ، فقد اكتفت هذه السلطات بعدم إصدار الأمر بالانطلاق ، إلى أن أمر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعقد مؤتمر عسكرى سياسى مساء يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ ، ولقد كان لهذا الاجتماع التاريخى الموسّع أثر كبير على سير الأحداث التى وقعت فيما بعد ، ويعتبر - بحق - نقطة تحول كبرى ، وفى نفس الوقت درساً واضحاً عن علاقة السياسة بالشئون الحربية وارتباطهما ، وأثر الخط السياسى المتبع على سلامة الاستراتيجية العسكرية . وأشار الرئيس أنه لا يستبعد الاحتمال بشن حرب من الجانب الإسرائيلى ، بل يتوقعه ١٠٠ ٪ سيما بعد تشكيل وزارة حرب وتعيين الجنرال موشى ديان وزيراً للدفاع فى هذه الوزارة . ثم استطرد الرئيس عرضه للموقف بأن أعلن أن استراتيجيتنا قد تحوّلت إلى استراتيجية دفاعية بحتة تلزمنا بأن نكون فى حالة يقظة تامة من أعمال العدو ، وأن إسرائيل لو قررت القيام بعمليات هجومية فلن يتأخر قيامها بهذه العمليات عن يومين أو ثلاثة ، وأن إسرائيل ستبدأ بضربة جوية ضد قواتنا الجوية ودفاعنا الجوى حتى يتم شلها وإخراجها من المعركة ، وطلب من العسكريين الاستعداد لتلقى هذه الضربة ، وهنا ساد الوجوم غرفة الاجتماع واعترى العسكريين نوع من القلق والصمت قطعه قائد القوات الجوية ، موضحاً أن تحول استراتيجيتنا العسكرية من الهجوم إلى الدفاع سيؤثر تأثيراً كبيراً على موقف القوات الجوية ، وأن الفرق سيكون كبيراً بين الحالتين لأن الروح المعنوية لقواته ستتأثر كثيراً فى حالة الانتظار لتلقى ضربة إسرائيل - وكانت اجابة الرئيس الراحل : خضوع العسكريين الكامل

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٧٧

للقرارات السياسية للدولة . وكان القرار السياسى الذى اتُخِذ فى هذه الفترة أشد قسوة على العسكريين فى مصر حيث إنه حتم عليهم فقد المبادأة ، ثم تلقى الضربة المعادية [١] .

٨ - ذكر لى أحد شهود العيان أن نقط المراقبة التابعة له أبلغته ليلة ٤ يونيو (حزيران) أنها شاهدت نشاطاً وتحركات غير طبيعية ، وأنه قام بإرسال هذه المعلومات إلى كل من قيادة الجبهة ورئاسته المباشرة فى القاهرة ، ولكنه علم فيما بعد أن هذه الرسالة عُرِضت على قائد الجيش فى سيناء بعد ظهر ٥ يونيو (حزيران) ، أى بعد انتهاء الضربة الجوية وبعد توغل القوات الإسرائيلية فى الأراضى المصرية . فقيام العدو بعمل عدائى داخل حدودنا مهما كان صغيراً ومهما كانت أهدافه محدودة قبل تدمير قواتنا الجوية وقبل استخدام العدو لقواته الجوية ، كان من الممكن أن يُشعل الموقف كله حيث كان التوتر قد بلغ أقصاه ، وكان من الممكن أن تقوم القوات المصرية - البرية والجوية - بعملية ردع فورية تؤثر ولا شك على التخطيط الذى وضعته القيادة الإسرائيلية لتدمير قواتنا الجوية فى قواعدها [٢] .

٩ - إن هناك سؤالاً هاماً يحتاج إلى إجابة : هل علمت القيادة المصرية وقيادة الجبهة على الأقل بهذا الهجوم على الموقع المتقدم بمجرد وقوعه أم لم تعلم ؟ إن كانت قد علمت به فهل كانت تتصور أن هذا الاشتباك الذى أدّى إلى دخول قوات العدو داخل حدودنا مثله مثل عملية الاستيلاء على العوجة التى قام بها العدو عام ١٩٥٥ وانتهت دون رد فعل عسكرى على الإطلاق من جانبنا ؟ وحتى رد الفعل السياسى كان مجرد بيان خافت ألقاه مندوبنا فى هيئة الأمم المتحدة وقتئذ - أم كانت تتصور أن مثله مثل المشاجرات التى تقع فى شوارع القاهرة بين شخصين يُمسك أحدهما بتلابيب الآخر ، ثم يكتفى المتشاجران

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٧٩ - ١٨٢ (٢) المصدر السابق ، ص ١٨٩ - ١٩١

بما وجهه كل إلى خصمه من سب وإهانة ، وربما تمزيق الملابس ثم تكون نهاية المشاجرة ؟ [١] .

١٠ - عندما بدأت الطائرات الإسرائيلية المعادية قيامها من قواعدها ، متجهة إلى أهدافها المختلفة فى مصر ، الأمر الذى ظهر معظمه واضحاً على شاشات الرادارات فى الجبهة الأردنية ، أسرعت قيادة القوات الأردنية التى كان على رأسها الشهيد الفريق أول عبد المنعم رياض ومعه عدد من المعاونين المصريين بإبلاغ هذه المعلومات لاسلكياً إلى كل من القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، وفى نفس الوقت إلى قيادة قواتها الجوية ، وقد كان من الممكن أن تكون هذه البرقية نقطة تحول لصالحنا فى تاريخ المعركة ، ولكن الإهمال من ناحية وعدم أخذ الأمور بالجدية اللازمة من ناحية ، حالت دون الاستفادة من هذه المعلومات الثمينة ، إن الظروف الطيبة التى هيأها لنا القَدَر فى خطأ العدو بالهجوم المبكر على الموقع المتقدم فى « أُم بسيس » ، وكذا فى اهتمام القيادة الأردنية بالتعاون مع الجبهة المصرية على أحسن ما يكون التعاون بين جيشين لدولتين متحالفتين فى معركة واحدة ، قد ذهبت سُدى [٢] .

١١ - الفوضى التى كانت عليها عناصر من بعض وحدات عادت من الجبهة إلى القاهرة ، ولم يكن معروفاً على وجه التحديد أسباب عودتها المبكرة ، وقد أبلغتنى القيادة العامة أن الوحدات التى وصلت من الجبهة إلى القاهرة فى ذلك اليوم (يوم ٧ يونيو) قد وصلت بنوع الخطأ ، وأن علينا أن نُعيدها ثانية ، وفعلاً عاد معظمها مع غروب الشمس من معبر جنوب البحيرات ، ولفت نظرى الحالة السيئة والإنهاك البدنى والنفسى الذى كانت عليه هذه الوحدات بعد أن أمضت الأربع والعشرين الساعة الأخيرة فى تحركات مستمرة مُعَرَّضة للقصف الجوى . بدأت سيول من الوحدات بسياراتها ومعداتها تتدفق على العاصمة دون عمل

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٩٣ (٢) المصدر السابق ، ص ١٩٥

أى ترتيب لاستقبالها وتنظيم إيوائها ، واتجهت من تلقاء نفسها إلى معسكراتها القديمة [١] .

١٢ - تمت مشاورة بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ووافق الرئيس الراحل على انسحاب القوات المصرية من سيناء كإعلان واقعى عن هزيمتها فيها . ذلك القرار الذى اقتطع من مساحة مصر أكثر من ثُلث أرض وادى النيل وكان قراراً سياسياً أكثر منه عسكرياً ، ومن الغريب أن يبقى هذا القرار سراً مكتوماً لفترة من الوقت لا يعلم به أحد فى القيادة العامة وقد علم به رئيس الأركان مصادفة . وأن القرار قد صدر شفوياً . مرت هذه الأحداث الضخمة بسرعة وبساطة وكأن ما حدث عام ١٩٥٦ من انسحاب القوات إلى غرب القناة أصبح تقليداً يجب أن تتبعه قواتنا فى كل جولة مع إسرائيل ، وقد أثبت هذا القرار - أنه كلفنا أضعاف ما كان يُحتمل أن يصيبنا من خسائر لو قاتلنا المعركة الدفاعية بثبات وترو أو حتى لو قمنا بعملية الانسحاب كوحدات وتشكيلات منظمة تأتمر بأوامر القادة والقيادات وتنفذ التعليمات بطريقة عسكرية صحيحة . وكانت النتيجة أن فقدنا الآلاف من أبناء القوات المسلحة ، وكلهم فى عمر الزهور قدّموا حياتهم دون مقابل ، رخيصة بلا هدف حققوه ، لفظ أكثرهم أنفاسه الأخيرة فى ظروف غير إنسانية ، قاسوا فيها آلام الجوع والعطش وضربة الشمس ، ونزف الجرحى منهم دماءهم الزكية فوق رمال الصحراء المحرقة . فليس من المعقول أن يكون قرار الانسحاب فى رأس المشير عبد الحكيم عامر أو قائد المنطقة الشرقية ، أو القيادة السياسية وما زالت بعض القوات والمعدات فى طريقها من القاهرة - أو من منطقة القناة - إلى سيناء الشرقية ، كما أنه ليس من المعقول وقد أعطتنا الطبيعة مضيقاً مثالياً للدفاع عن ممر متلا على المحور الجنوبى ومضيقين مناسبين عند الختمية ورمانة وعلى المحورين الأوسط والشمالى ومع ذلك يكون الانسحاب إلى غرب قناة السويس !! [٢] .

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٢٠٢

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩

١٣ - ونظر شعب مصر مشدوهاً إلى الحال الذى وصلت إليه قواته المسلحة ، وتساءل عما أوقعنا فى هذه الهاوية السحيقة ، وتوزعت عواطفه بين الألم لما حاق به من هزيمة وضياع ، وبين الأمل فى تدارك الموقف ورد الاعتبار . وتذكر بمرارة ما كان يقرأ فى الصحف عن مدى القوة التى بلغتها قواتنا المسلحة ، وبدأ يشعر أنه وقع فريسة لخدعة كبرى ، وإلا فأين الصواريخ التى رآها بعينيه ؟ أين القاهر والظافر ؟ أين قواتنا الجوية التى كثيراً ما سمع عن طريق مختلف وسائل الإعلام أنها أكبر وأقدر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط ؟ ماذا فعلت الأسلحة السوفييتية فى الدفاع عن الوطن ؟ ولِمَ سهَّل لنا ، بل أغرانا الحلفاء السوفييت على الدخول فى هذه المغامرة يوم أثارونا بمعلوماتهم عن حشود إسرائيلية تعتزم غزو الشقيقة سورية ؟ لماذا وقفت أمريكا منا هذا موقف لا سيما وقد أُذيع أن السيد زكريا محيى الدين سيتوجه بعد أيام قلائل إلى واشنطن ليقابل المسئولين فى الولايات المتحدة الأمريكية بحثاً عن مخرج يرتضيه كل الأطراف ؟ (١) .

١٤ - ان تاريخ الجندية المصرية تاريخ مُشرِّف على مدى الزمن ، وقد ازدهرت مصر ما أنتصرت جيوشها وكانت دائماً تنتصر إذا ما وُجِدَت القيادة الرشيدة ، وقد قاتل الجندى المصرى دائماً فى سبيل أهداف شريفة وسامية . إن النصر الذى أحرزته إسرائيل لم يكن نتيجة بسالة قواتها المسلحة أو شجاعة أبنائها بقدر ما كان نتيجة تقاعس القيادة المصرية (٢) .

وصدق الرجل فيما قال !

* * *

أما عبد الصمد محمد عبد الصمد فى كتابه « العشاء الأخير للمشير » فيقول : « ربما أرادت الأقدار أن يصطحب جمال معه هيكل لما جاء إلى القاعدة المتقدمة فى سيناء واجتمعنا مع عدد كبير من الضباط الطيارين وكانوا فى قمة

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٩

الحماس فقالوا له : احنا لازم نضرب فى الأول ولا يمكن أن ننتظر حتى تضربنا إسرائيل كما حدث في حرب السويس .. وقالوا إنهم لا يستطيعون الانتظار طويلاً وألحوا عليه فى الرجاء فى أن يعطيهم أمراً بالضرب أو وعداً قريباً ، ولكنه رفض فقال لهم : إنه يجب أن يخضعوا للقيادة السياسية وأنه بهذه الصفة وبصفته أيضاً القائد الأعلى للقوات المسلحة سيوقع أشد عقوبة إذا عادوا لمثل هذا الحديث أو حاولوا التدخل فى الخطة العامة السياسية والعسكرية ، وعليهم الطاعة بدون مناقشة وتنفيذ الأوامر » [1] .

ويقول أيضاً : « يقول عبد الحكيم : إنه لما رفض جمال الخطة الهجومية بالبدء بالضرب بالقوات الجوية ثم دخول القوات البرية إلى الأراضى الإسرائيلية حيث تدور المعركة فى أرضهم لأول مرة ولا يستطيع طيرانهم التدخل فى المعركة لاشتباك قواتنا بقواتهم ، وكان جنودنا فى غليان حماسهم ومشتاقين لأكلهم فى معركة ثأر .. وضعنا خطة دفاعية بإخلاء غزة وكان بها أحسن قواتنا والتمركز فى الوضع الذى يجعلنا متى بدأت إسرائيل الهجوم نبدأ على الفور فى الهجوم على النقب لتدور المعركة فى أرضهم كما أردنا من الخطة الهجومية والالتحام بهم فلا تفيدهم طائراتهم حتى لو نجحت الضربة الجوية الأولى منهم ... ولكن جمال رفض هذه الخطة أيضاً ورفض الانسحاب من غزة قائلاً : و « البريستيج » بتاعنا ؟ وأقول إيه للعرب » ؟ ! [2] .

* * *

أما « شمس الدين بدران » فقد سأله حسين الشافعى رئيس المحكمة التى حاكمت شمس وزملاءه فيما عُرِف « بقضية الاستيلاء على القوات المسلحة » أو « قضية المشير » :

– ألم يُحذركم السيد الرئيس بأن إسرائيل كانت ستضرب خلال أيام ؟

---

(١) العشاء الأخير للمشير – مذكرات المشير – أسباب الهزيمة ، دار التعاون للطبع والنشر ، ص ١٤٦ – ١٤٧

(٢) المرجع السابق .

فرد شمس الدين بدران : نعم .. « علم الرئيس من مصدر أمريكى » أن إسرائيل ستضرب خلال ٢٤ أو ٤٨ ساعة !!

والغريب أن هذا الكلام نُشر على الناس فى حينه وفى الصحف الثلاث . إذن كانت هناك صلات موصولة بين جمال عبد الناصر والأمريكان ، رغم إعلان النظام فى تلك الفترة ، ومنذ سنوات سبقت ، معاداته لأمريكا ، والتشهير بها ، رئيساً وحكومة فى خطابات جمال عبد الناصر وصحفه وإذاعته ... لكن الأهم هو كيف علم الرئيس بأن إسرائيل سوف تشن العدوان ثم لا يتقى ذلك بضربة وقائية ! ؟

هل لأن الرئيس البطل كان قد أعلن وفى كبرى الصحف العربية « الأهرام » ومن خلال صيفه « هيكل » بأن مصر قررت أن تتلقى الضربة الأولى ؟ حتى ظن الناس أن ذلك كان تكتيكاً عسكرياً للخداع ، تفتق عنه ذهن الرئيس المُلهم !! إذ كيف يتصور المرء أن يبلغ العته والخيبة برئيس دولة وقائد جيوشها الأعلى ، أن يقدم دعوة مفتوحة لعدوه كى يدمر قواته !!

لقد كان الوضع السياسى والاستراتيجى للدول العربية التى اشتركت فى الحرب من أفضل الأوضاع المؤهلة للنصر :

قبل الحرب وقعت معاهدات دفاع مشترك بين كل من مصر وسوريا ، بين مصر والأردن ، بين مصر والعراق .

وأصبحت القوات المصرية والقوات الأردنية تحت قيادة واحدة هى القيادة المصرية ، وقد تولى « الفريق عبد المنعم رياض » من القيادة المصرية قيادة القوات الأردنية ومعه عدد من المعاونين المصريين .

وكانت هناك قيادة مشتركة للقوات المصرية والقوات السورية ، كما أن سوريا هى - كما قيل - كانت سبب دخول المعركة .

وكانت العلاقة بين « مصر - عبد الناصر » و « عراق - عبد الرحمن

عارف » على خير ما يُرام ، وكان عبد الرحمن عارف رئيس العراق رجل مصر هناك .

إذن فالجيوش المحيطة بإسرائيل ، شمالاً وجنوباً وشرقاً ، والدول صاحبة هذه الجيوش ، كانت على اتفاق تام ، سياسياً وعسكرياً قبل المعركة . كما أن العراق « بقائده الكبير عبد الرحمن عارف ذى القلب الكبير الذى أعطى بغير حدود » - كما وصفه عبد الناصر فى خطاب التنحى - كان عمقاً ومدداً للجيوش المقاتلة .

هذا عن الوضع السياسى ، أما عن الوضع الاستراتيچى العسكرى فيتحدث عنه قائد كبير متخصص فى هذا الشأن ، وهو يُقَلِّب الأمر فلا يرى أسباباً مقنعة عند بحث الناحية العسكرية « لتقاعس بعض المسئولين من ساسة الدول العربية عن الاستفادة من الوضع الاستراتيچى الذى وجدت هذه الدول نفسها فيه وهى محيطة بإسرائيل من جميع الجهات ، فليس لإسرائيل حدود مع أية دولة أخرى غير عربية - ويبلغ طول الحدود أكثر من ٩٥٠ كم ، خلاف حدودها على البحرين الأبيض والأحمر ، وتتميز مرتفعات الجولان بالتحكم الكامل فى الأراضى الإسرائيلية التى تواجهها تحكماً قَلَّ أن يكون له مثيل فى حدود دول العالَم ، كما تقترب الأرض اللبنانية قرباً شديداً من أغنى مناطق إسرائيل وأكثرها كثافة سكانية ، وأنشطها صناعة وأكبرها ثروة ، وفى نفس الوقت ، يشطر خط البصر للناظر إلى البحر المتوسط من الأرض الأردنية إسرائيل إلى قسمين عند خصرها الذى لا يزيد عن ٤٠ كم ، وتستطيع قوة تعمل منْ الأرض الأردنية مناسبة فى حجمها ، صادقة فى عزمها ، إذا ما وصلت إلى البحر ، أن تشطر إسرائيل إلى جزئين منفصلين ، شمالى وجنوبى ، يمكن التعامل مع كل جزء على حدة بقوات الدولة ، أو الدول التى تواجهها . بالإضافة إلى هذا نُذكِّر بتحكم شرم الشيخ فى المسافة التى تفصلها عن جزيرة تيران المصرية ، ومن الممكن التحكم فى الملاحة الإسرائيلية عبر هذا المضيق الذى يصل بين إيلات والبحر الأحمر .

هذا هو خلاصة الوضع الاستراتيچى العسكرى الذى كانت فيه إسرائيل قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وهو وضع من أسوأ الأوضاع التى يمكن أن تكون فيه دولة ، ومحاطة بشعوب كارهة لوجودها ، معادية لها ، من جميع الجهات » [١] .

تُرى ! ؟ أكان كل ما حدث بشأن المسألة « الإسرائيلية - الناصرية » ، منذ أن ابتُليت مصر بعبد الناصر - منذ عام ١٩٥٢ وحتى الهزيمة عام ١٩٦٧ - وكما عرضنا - أكانت كل تلك السلسلة المحكمة الحلقات ، مجموعة من الصدف العاقلة ، وُجِدت إحداها فأدت إلى الأخرى ، والثانية أدت إلى الثالثة ... وهكذا دواليك !! ضمن دائرة صدفية ، دائبة الحركة ، مؤمَّنة اللُّولب ! ؟ .

أم أنها كانت المؤامرة ، المخطَّطة المُنَسَّقة ، بقضها وقضيضها ... بقدِّها ، طولاً وعرضاً ، حجماً وعمقاً ، عارية عورة مولدها ، وعار نتيجتها ، كما ولدتها أمها الماسونية ، من غير حتى أوراق التوت ، وخباؤها أوهى من بيت العنكبوت ! ؟ .

أكبر الظن أنها كانت كذلك !!

على أن هناك ثلاث نقاط ينبغى أن نُزيل عنها اللبس :

١ - علاقة جمال عبد الناصر بالأمريكان فى عقد الستينات ، عقد الهزيمة اللَّعين .

٢ - حقيقة ما أُعلن عنه فى روسيا من أنه اكتُشف مؤامرة اشترك فيها الإخوان المسلمون .

٣ - غلقه للمحفل الماسونى وحظر نشاط الماسونية فى مصر .

● أما أن علاقته بأمريكا كانت سيئة فقد كانت دعوى كاذبة . وأما تطاوله على أمريكا فى خطاباته فقد كان تهريجاً متفقاً عليه لتبرير تأجيره لروسيا لأداء

---

(١) الفريق صلاح الدين الحديدى ، شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٣ - ١٤

الدور الاشتراكى فى مرحلة مخطط لها سلفاً . ودليلى على ذلك حجم التعامل مع أمريكا مقارناً بغيرها من الدول عام ١٩٦٥ ، عام « من لا يعجبه البحر المتوسط فليشرب من البحر الأحمر » !! ، التى وجهت فى خطاب علنى من جمال عبد الناصر إلى الرئيس الأمريكى ، ففى عام ١٩٦٥ نظم « بيتر مانسفيلد » قائمة بقروض مصر الأجنبية وتسهيلات الدفع الممنوحة لها . فَوُجِدت على النحو التالى :

● من الدول غير الشيوعية :

الولايات المتحدة	٦ر٥٣٥ مليون جنيه مصرى .
ألمانيا الغربية	٩٣ر. مليون جنيه مصرى .
إيطاليا	٩ر٩٢ مليون جنيه مصرى .
اليابان	١٧ر. مليون جنيه مصرى .
فرنسا	١ر. مليون جنيه مصرى .
بريطانيا	٤ر٥ مليون جنيه مصرى .
هولندا	٥ر. مليون جنيه مصرى .
سويسرا	٤ر. مليون جنيه مصرى .
السويد	٣ر٣ مليون جنيه مصرى .
وغيرهم	٦ر٣ مليون جنيه مصرى .
المجموع	٥ر٧٧٢ مليون جنيه مصرى .

● من الدول الشيوعية :

الاتحاد السوفييتى	٥ر٣٣٢ مليون جنيه مصرى .
تشيكوسلوفاكيا	٦٢ر. مليون جنيه مصرى .

ألمانيا الشرقية	٤٥ر.	مليون جنيه مصرى
بولندا	٢٤ر٤	مليون جنيه مصرى .
المجر	١٢ر.	مليون جنيه مصرى .
يوغسلافيا	٧ر.	مليون جنيه مصرى .
المجموع	٤٨٢ر٩	مليون جنيه مصرى .
● البنك الدولى	١٩ر٧	مليون جنيه مصرى .
● هيئة التمويل العالمى	٣٦ر.	مليون جنيه مصرى .
المجموع الكلى	١٣١١ر١	مليون جنيه مصرى .

(٣ ١٥ر٥٣ مليون دولار تقريباً)

هذا إلى جانب المساعدات الغذائية التى قدمتها له الولايات المتحدة إضافة إلى بيعها قمحاً لمصر يُسدَّد ثمنه بالجنية المصرى !!

أكانت أكبر دولة فى العالَم - وهى تُقدِّم له أكبر القروض والمساعدات وتسهيلات الدفع - عاشقة لسواد عيون القائد الخالد ، خائفة من بطولته ، أم أنها كانت تريد استبقاءه دوراً ومؤامرة ! ؟

● أما حكاية مؤامرة الإخوان المزعومة فقد كانت ادعاءً كاذباً ، وقد أكد « صلاح نصر » - مدير المخابرات العامة المصرية السابق - كذب ذلك الادعاء ، حيث قال : « كان عبد الناصر مقتنعاً أنهم ارتكبوا جريمة محاولة القيام باغتيالات لقلب نظام الحكم وأن القبض عليهم كان للتحفظ حتى تنتهى التحقيقات ، وفى رأيى أنه اعتقل كثير من الإخوان فى عام ١٩٦٥ بلا مبرر ، وكان لى وجهة نظر أبديتُها فى ذلك حينما علمتُ بالأعداد الكبيرة التى اعتُقلت بواسطة المباحث الجنائية العسكرية والمباحث العامة ، وأنه ليس هناك داع لاعتقال هذا العدد الضخم من الإخوان ... ولذا بعد البدء فى الاعتقالات وإيداع كثير من الإخوان فى مبنى الشرطة العسكرية طلب منى عبد الناصر التحقيق فى

هذه القضية فرفضتُ وقدمتُ استقالتى على أساس أن هذا ليس من اختصاصى ، وبقيتُ فى منزلى حوالى أسبوعاً بعد تقديم استقالتى ، ثم طلبنى عبد الناصر لمقابلته فى منزله بمنشية البكرى وسوّى الموضوع بأن ترك هذه القضية فى يد المباحث الجنائية والمباحث العامة » [١] .

ويرد « صلاح نصر » على المدعو « حسنين كروم » الذى حاول أن ينفى عن عبد الناصر علمه بالتعذيب الوحشى للإخوان المسلمين ، فيقول : « .. أما ما جاء على لسانك بعد ذلك لتستنتج أن عمليات التعذيب ضد الإخوان المسلمين مورست دون استئذان عبد الناصر أو علمه ... إلى آخره ... فهذا اجتهاد منك واستنتاج ، ولكننى لا أحب أن أجتهد أو أستنتج فى مسائل تتعلق بمصائر الناس » [٢] .

● أما أن عبد الناصر قد أغلق « المحفل الماسونى » فى شارع عدلى عام ١٩٦٣ ، فهذا صحيح !! لكن ماذا كانت تريد الماسونية العالمية من عبد الناصر أكثر مما فعله - وهى التى أتت به أصلاً - كأقوى أدواتها فى المنطقة !؟ إن إغلاق المحفل الماسونى لم يكن إلا ستاراً تحققت من ورائه أخس مؤامرة فى التاريخ العربى والإسلامى . وليس عجباً أنه أثناء إعداد القرار الجمهورى بغلق المحفل الماسونى ، تسربت « النية » إلى منتسبى « المحفل » فتخلصوا من الوثائق والمستندات الحافلة بالأسماء الوبيئة !!

ولقد ذكرتُ هذه النقاط الثلاث لأن لها علاقة وشيجة بالمسألة الإسرائيلية . إذ أن عبد الناصر كان قبل كل هزيمة أمام إسرائيل يقوم بإجراءات وحشية لتصفية التيار الإسلامى ، وينظف نفسه ظاهرياً من كل علاقة علنية له باليهود ، ويُعلن أنه فى صراع مع الإمبريالية العالمية !!

أما حكاية « لا صوت يعلو فوق صوت المعركة » و « إزالة آثار العدوان »

---

(١) حسنين كروم ، الصامتون يكذبون ، دار مأمون للطباعة ، ص ١٨٩ - ١٩٠

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٢

فلم تكن إلا إلهاءً للجماهير وتكميماً لأفواهها . فقد أوعز لصحفيه ومستشاره الأثير « هيكل » بأن يكتب مقالاً طويلاً فى « الأهرام » يُحذِّر فيه القوات المسلحة ، ليس من الحرب فحسب ، وإنما من مجرد التفكير فى عبور القناة إلى الضفة الأُخرى ، لأن خط بارليف سيحرقهم ويُحوِّلهم إلى رماد ، وأن الخسائر ستكون رهيبة ... وذلك فى مقال أسماه « تحية للرجال » ، مما دعا « عبد الهادى ناصف » لأن يرد على « هيكل » برأى المصريين جميعاً فى صحيفة الجمهورية بمقال تحت عنوان « تحية مردودة من الرجال » ، ويقصد : مرفوضة .

بل إن دائرة من الشك تحيط بمقتل « الفريق عبد المنعم رياض » رئيس أركان القوات المسلحة ، الذى تكلم فى الأردن عن مسئولية الهزيمة ، تحدث عنها « اللواء الحناوى » ، فيما يرويه « عبد الصمد محمد عبد الصمد » ، حيث قال : « وليس مصادفة أن ينشر رجل له مكانته وعلى مسئوليته هو اللواء الحناوى فى مجلة أُسبوعية مصرية « السياسى » منذ أكثر من عامين أن الفريق عبد المنعم رياض لم يمت مصادفة ، وأن جهة مصرية (ذكرها فى مقاله) ظلت تُذيع تحركاته والمواقع التى يزورها حتى أُصيب من قنبلة إسرائيلية ونُقِلَ فى عربة إسعاف للعلاج ، وظلّت تلك الإذاعة تذيع تحركات عربة الإسعاف ! .. ثم يذهب عبد الناصر إلى القيادة العامة ويكون موجوداً فيها اللواء الحناوى صديق الشهيد والفريق محمد فوزى ، ويطلب عبد الناصر عدم إذاعة الخبر لبعض الوقت ويُذاع على أنه حادث سيارة ، ثم يسمعون الخبر يُذاع من إذاعة لندن فيُذاع الخبر ! ويقول اللواء الحناوى : إن الفريق عبد المنعم تكلم فى الأردن عن مسئولية الهزيمة وكان معه بعض الذين اعتُقلوا وحوكموا فى قضية المحاولة مع المشير والذين سبق لهم (الكلام !!) وقال بعضهم : « طيب ما هو الفريق رياض تكلم زينا اشمعنى احنا » ! ؟ وكان ما كان ! [1] .

ومات عبد الناصر عام ١٩٧٠ بعد أن قبل مشروع « روجرز » للسلام !! بين

---

(١) العشاء الأخير للمشير - ليست مصادفات ، ص ١٥٣ - ١٥٤

العرب وإسرائيل ، وهو مشروع لا يخرج فى إطاره العام عن اتفاقية « كامب ديڤيد » بين بيجين والسادات ... وبعد أن قبل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ قبل موته بأكثر من ثلاث سنوات وهو قرار صاغه اللؤم اليهودى والخبث البريطانى فى عبارات ملتوية تتحدث عن انسحاب إسرائيلى من أراض عربية احتُلت ، وعن تعويض للاجئين واعتراف بإسرائيل !! وبالمشروع والقرار قضى عبد الناصر على « لاءات » الخرطوم الثلاث : لا صلح ، لا مفاوضة ، ولا اعتراف بإسرائيل .. تلك « اللاءات » التى مُنِحَ بموجبها مساعدات الدعم فى مؤتمر السودان !!

* * *

● أما فى سوريا ، فإن « حافظ الأسد » - الذى كان وزيراً للدفاع أثناء المعركة - قد سلم « الجولان » لإسرائيل من غير قتال ، وأعلن سقوط « القنيطرة » قبل أن تصلها القوات الإسرائيلية ، وكانت الجائزة التى تسلمها حافظ الأسد هى تنصيبه رئيساً للجمهورية العربية السورية بعد تصفية مجموعة « صلاح جديد » .

ويبدو أن الدور والظرف فى سوريا لم يكن يتطلب بعثياً فحسب ، بل كان يقتضى خستين أخريين : هما « النصيرية » و « الخيانة » . لم يكن نظام صلاح جديد - وفق التركيبة الطائفية فى سوريا - بقادر - وصلاح جديد نفسه سُنِّى الانتماء - على سحق الجماهير السُنِّية ودك المدن على مَن فيها ، تفريغاً للشعب من دواعى الجهاد . فجىء بحافظ الأسد ، « بعثياً » « نصيرياً » « خائناً » ، ليؤدى ذلك الدور . والنصيريون عملوا من قبل جواسيس للتتار وعملاء للفرنسيين ، كطائفة مجهولة الأصل زائفة العقيدة ، تستوجر من كل معادٍ للإسلام والعروبة .

ولعل إخوتنا فى سوريا والعراق ولبنان لا زالوا يذكرون قضية المدعو « إياد ثابت » - الاسم المستعمار للجاسوس الإسرائيلى الذى ظل فى دمشق أميراً

للصالونات وشريكاً « لآل أسد » فى صفقات تجارية وعمولات .. تُفتح له دواوين الحكومة وقصور الرئاسة على اتساع الأبواب . وقد ظل النظام العراقى يذيع وينشر فى إذاعته وصحفه - لأسباب خاصة بالنظامين العراقى والسورى - هويَّة ذلك الجاسوس الإسرائيلى ، لمدة عام كامل ، ولم يرعو حافظ الأسد ، حتى انتشرت الرائحة العفنة فى كل مكان من سوريا ، فاضطر للقبض عليه وإعلان « اكتشافه » كجاسوس !! ومحاكمته ثم إعدامه فى ميدان عام . ونعته إسرائيل باسمه الحقيقى « إيلى كوهين » !!

وأدخلت أمريكا حافظ الأسد بعقد عمل تحت ما يُسمى حفظ التوازن الطائفى فى لبنان .. وراح هناك بجيشه ذى القيادات البعثية والطائفية ليذبح الفلسطينيين فى « تل الزعتر » ويتواطأ مع إسرائيل وموارنة لبنان لتصفية المقاومة الفلسطينية ، ويُفسح الطريق لغزو إسرائيل للبنان !! كانت المصفحات والمدرعات وناقلات الجنود الإسرائيلية تمر بجوار الصواريخ السورية !! فى لبنان ومعسكراتها وكأنها « ريش النعام » !! لا طلقة واحدة ، بل ولا حتى دبوس إبرة وُضِعَ أمام « كاوتشوك » إحدى عجلات السيارات الإسرائيلية !!

ولا زال حافظ الأسد منصرفاً ، حاجباً الشعب السورى ، عن صراعه الحياتى مع اليهود ، إلى لعبة الحرب الأهلية فى لبنان ، متحالفاً مع الأمريكان ويحارب الشعب السورى بأسلحة الروس !! وكان أبرز استخدام لتلك الأسلحة - وفق ما صدرت من أجله أصلاً - « مذبحة » العصر فى « حماة » التى راح ضحيتها أكثر من أربعين ألفاً من مسلمى السُنَّة ، سُوِّيت جثثهم بالأرض ، ودُكت من فوقهم البيوت والمتاجر والمدارس والمستشفيات .

* * *

● وفى السودان قام « جعفر نميرى » بانقلاب مايو ١٩٦٩ فى حراسة العم سام ، إجهاضاً للحركة الشعبية التى كانت ملامحها قد بدأت تتحدد وترسم

معالِم الطريق . وتقلّب نميرى فى الولاءات المختلفة المُخطّطة بين روسيا وأمريكا ، وأحياناً تضع بريطانيا بعض اللمسات ، حسب مراحل تطور حكمه البغيض . وبالسلاح الروسى ، وبالتخطيط الأمريكى ، وإشراف نظام عبد الناصر ، أباد نميرى نحو خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين فى جزيرة « أبا » .

وكان آخر المخطّطات تمسحه المشبوه بالشريعة الإسلامية ليظهرها ، بأنفاسه العفنة - وهى الغرّاء - بصورة مُزرية أمام أعدائها فى الخارج والداخل ، حتى تُعطى الفرصة لكارهيها لأن ينادوا باستحالة التطبيق !!

وفى ليلة سوداء ، ومن تحت عباءته المختالة البيضاء ، خرج يهود الحبشة المعروفون باسم « الفلاشا » ، ليستوطنوا فلسطين .. !! وقد تم تدبير أمر ترحيلهم - الذى خجلت الحبشة الشيوعية الصليبية منه - من مطار السودان ، باتفاق سرى بين نميرى وأمريكا وإسرائيل .

* * *

● وفى طرابلس جيىء بـ « معمر أبى منيار » الملّقب خطأ « معمر القذّافى » !! وسواء صدق ما قاله عنه « عمر المحيشى » من أنه من يهود مصراته ، أو ما يدّعيه هو من عروبة مُركّزة ، فإنه ، ومنذ أن ابتُليت به ليبيا والمنطقة ، لا زال طفل القوّتين العُظميين المدلّل ، حتى لو داعبته إحداها بتهديد كاذب لتصنع منه بطلاً ، على طريقة « القائد الخالد » الذى قال له : « معمر .. إنك تذكرنى بشبابى » !!

وقد بدأ القذّافى « ثورته » !! بإعلان عن تدينه ، ورفاقه ، ثم انتهى إلى إنكار السُنّة المطهَرة ، وهدّد علماء المسلمين فى ليبيا ، فى مؤتمر عقده تحت ضجيج هتافات « لجانه الثورية » بأنه إذا عارضه العلماء فسيتخذ إجراءات مشابهة لتلك التى اتخذها « أتاتورك » ، الذى اعتذر عنه قائلاً : « إن أتاتورك كان مضطراً لاتخاذ تلك الإجراءات ليواجه بها الرجعية الدينية » !!

وكان من أبرز أعماله الإجرامية تصفيته الجسدية للشاب المسلم « صالح بوصير » - وزير خارجيته فى السنوات الأولى لحكمه . وقد تم بتدبير بينه وبين إسرائيل ، حيث أسقطت النيران اليهودية طائرة كان يستقلها « بوصير » ومعه نحو مائة من راكبى الطائرة .

وكانت جريمة « صالح بوصير » أنه قد أعلن قبل ذلك بنحو شهر ، ونُقِل حديثه فى الصحف العربية والأجنبية ، أن هناك ثلاثة قادة أثّروا فى الفكر الإسلامى فى القرن العشرين ، تأثر هو وجيله بهم ، وهم : « حسن البنا » فى مصر و « أمين الحسينى » فى فلسطين و « الأمير الخطابى » فى المغرب !! ودمغ أباطيل عملاء الإنجليز فى الفكر المعاصر الذين انتقدوا الاتصالات ، التى قيل إن المرحوم « الحاج أمين الحسينى » كان قد أجراها مع « هتلر »، ودافع عن هذه الاتصالات مبيناً أن الإنجليز كانوا يصنعون إسرائيل ، وكان على الرجل - وليته استطاع - أن يستعين بأعداء الإنجليز ... وكان لا بد فى منطق الماسونية وعملائها أن يموت صالح بوصير !!

وعن عمالة القذّافى وعن الدور الأمريكى الإسرائيلى الروسى فى صناعة وتبادل هذا القذّافى وغيره من العملاء ، يتحدث « رائد عطار » فيقول :

« فهل نخطىء حين نتذاكر الآن أن التى نصبت القّذافى على ليبيا هى « المخابرات الأمريكية » ، وأن الذين أيّدوه هم فلول الناصرية ، وأن الذين اختطفوه من أمريكا ، ليخدم مخطط « الصهيونية وإسرائيل » من أجل تمزيق الأمة الإسلامية والعربية هم حكام « موسكو » ، وأن موسكو هى التى تحميه وتسلحه الآن وتسكت على ما يرتكب وتغطى سيطرتها عليه ببيان قصير يشجب الإرهاب لاستغفالنا ! ولِمَ لا .. والعالَم كله يستغفلنا ويستعملنا ؟ ! وإذا كان المجرم الأصلى هو الثلاثى : « أمريكا - روسيا - إسرائيل » هذا الثلاثى الذى يُنَصِّب علينا دائماً إما عميلاً مزدوجاً له ، إلا فى حالة واحدة عندما تتنافس هذه العواصم وتتخاطف العملاء الذين تولّوا علينا من بعضها ، فهل آن لنا أن نثوب

إلى أننا لن نُفلح حتى نُحكِّم « قرآن اللّه عز وجل » فى عملية تنصيب الحكام ، وسياسات واستراتيجيات الحكّام » ؟ ! [1] .

هذا هو دور « ثوّار العم سام » فى المسألة « الإسرائيلية » ، حيث خلقت « الماسونية » العالمية ، من خلالهم ، هذا الوضع الشائن الوبىء الذى تقلّصت فيه أهداف وآمال العرب « فى ظل الأمر الواقع حتى صارت مجرد إيجاد وطن قومى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ونسعى للحصول على تصريح مشابه لتصريح وعد بلفور الشهير » [2] ، بل أدنى من ذلك بكثير !!

* * *

(١) جريدة النور ، العدد ١٩٤ - ٢٧ نوفمبر ١٩٨٥ - ص ٨

(٢) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٣

الماسون يُجهضون الصحوة الإسلامية فى تركيا !!

بعد موت أتاتورك فى عام ١٩٣٨ استمر نظام الحكم بأسلوب الحزب الواحد ، حزب الشعب الجمهورى تحت رئاسة عصمت أينونو الذى أصبح رئيساً للجمهورية واستمر فى هذا المنصب حتى عام ١٩٥٠ . وعلى طريقة سلفه الهالك كان كل اهتمام النظام منحصراً فى لا دينية الدولة وتغريبها والقضاء على كل أثر للإسلام ، ومارست مجموعة من داخل الحزب تحت قيادة عصمت نوعاً من الديكتاتورية الجماعية على كل مناحى الحياة ، وحتى سنوات الحرب العالَمية الثانية لم تُقلّل من قبضة الدولة الحديدية على المجتمع فلم يُسمح بأى نوع من الحرية الدينية أو السياسية أو الاقتصادية [١] .

وكان أهم أساس لمنهاج الحزب هو الأركان الستة التى يُوصف بها نظام « تركيا الحديثة » !! وقد أُدخلت فى صلب الدستور عام ١٩٣٧ فأصبحت أساس نظام الدولة أيضاً وهى أن تركيا : « جمهورية » « ملّية » - أى وطنية أو قومية - « شعبية » ، « دولية » أى تدخل الحكومة اقتصاديا ، « لائيكية » - أى لا دينية - « انقلابية » [٢] .

وقد جاء فى شرح اللادينية أن الحزب قد قبل كمبدأ أساسى أن تقوم قوانين الدولة وأنظمتها على أساس العلم والفن ويتسق مع أُصول الحضاة الحديثة ، وهو يعتبر الدين أمراً وجدانياً ، كما يرى أن فصل الدين عن أُمور الدنيا والسياسة وسيلة رئيسية لتقدم الأمة وسموها !! وهو يعد صيانة اللُّغة القومية والثقافة القومية من تأثير اللُّغة والثقافة الأجنبية (أى اللُّغة العربية والفكر الإسلامى) الذى يمكن أن يأتى عن طريق الدين أمراً ضرورياً لمصلحة الأمة التركية فى

---

(١) George Haddad : Revolutions and Military Coups d'Etat in Turkey . p. 113 .

(٢) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٧٣

حالها ومستقبلها ، وأن انتساب شخص ما إلى نوع معين من العقائد أو عدم تدينه لا يعتبر مزية أو نقصاً فى حد ذاته فى الهيئة الاجتماعية أو الحياة القومية [١] .

وعلى الجانب الشعبى وفى مواجهة خطط اللادينية والتغريب كانت هناك الحركة الفكرية المعروفة باسم « النورسية » أو « جماعة النور » التى قام بها العلاَّمة « بديع الزمان » (سعيد النورسى) وتلامذته طلاَّب النور .

وقد عكف « سعيد النورسى » على كشف حقائق الإسلام لتلامذته ومريديه ، مبيناً مزايا شريعته للشباب المتوثب فى تركيا ، وأخذ يكتب عدداً من الرسائل الإسلامية تحت عنوان « سلسلة رسائل النور » فألَّف وكتب كثيراً من المقالات والرسائل كان أهمها : « كتاب المقالات » ، و « كتاب المكتوبات » ، و « كتاب اللمعات » ، و « كتاب الشعاعات » ، و « كتاب إشارات الإعجاز فى فطان الإيجاز » ، و « كتاب المثنوى النووى » ، و « كتاب عصا موسى » ومجموعة من الرسائل المختلفة بيَّن فيها أُصول العقيدة الإسلامية ، وكشف الشبهات التى وضعها أعداء الاسلام ، ودعا إلى التمسك بالإسلام وإحياء شريعته ، وإظهار تعاليمه ، وبيَّن مقدار الحاجة إليها ليس فى تركيا وحدها وإنما فى بقية العالَم الإسلامى .

وقد لعب بديع الزمان وتلامذته دوراً بارزاً فى الذَّود عن الدين الإسلامى الحنيف والتصدى لأتاتورك وأفكاره الإلحادية فى تركيا . فالتف حوله ملايين الشباب المسلمين يدافعون عن كلمة اللّه ونشر تعاليمه الحقة بين صفوف الشعب التركى ، هذا وقد مات بديع الزمان فى ٢٣ مارس سنة ١٩٦٠ قرير العين مرتاح الضمير بعد أن شاهد حملة الكتاب يكثرون ويزدادون فى تركيا [٢] .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٧٥

(٢) الدكتور محمد سعيد الشعفى وزملاؤه ، الدولة الإسلامية ، - دار الأصفهانى - جدة ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩

لكن المعارضة السياسية جاءت من داخل النظام ومن الحزب الحاكم ومن قادته العلمانيين ، وأدت إلى ظهور أحزاب معارضة ، تقدمت إلى الجماهير ببعض التوجهات الإسلامية ، مثل « الحزب الديمقراطى » و « حزب العدالة » ، ثم تطوَّرت الأمور إلى ظهور أحزاب إسلامية راديكالية من خارج النظام مثل « حزب السلامة الوطني » ..

وكلما زاد المد الإسلامى وحازت تلك الأحزاب المعارضة على ثقة الجماهير ، وبدأت قاب قوسين أو أدنى من التغيير المطلوب ، تحرك الماسون ، عن طريق الانقلابات العسكرية ، من خلال مخلفات أتاتورك ، من عجائز الضباط اللادينيين ، بإشارة من « العم سام » ، ليُجهضوا الصحوة الإسلامية !!

ولنتتبع ما جرى منذ منتصف الأربعينات وحتى الانقلاب الأخير ... انقلاب عام ١٩٨٠ ..

فى عيد الشباب المصادف لتاريخ ١٩ مايو ١٩٤٥ وجَّه عصمت أينونو خطاباً للشعب ، وقد جاء فى هذا الخطاب : إن النظام الجمهورى المستند إلى حكم الشعب سيستمر فى سيره التقدمى ، وأنه كلما زالت أسباب المصاعب والتحديات التى اقتضتها حالة الحرب أمكن التوسع فى النشاط الديمقراطى .

وعقب إلقاء « أينونو » خطابه بأيام ، عُرِضت الميزانية على المجلس ، فانبرى بضعة أشخاص من كبار الأعضاء - ومنهم من كان رئيس وزارة مثل جلال بايار ، ومنهم من كان وزيراً ، ومنهم من كان سكرتيراً عاماً مثل رجب بكر ، يوجهون الانتقادات وجارح الكلام إلى الحكومة ، ويندِّدون بالإسراف وسوء التصرف ، والإخفاق فى المجال الاقتصادى ونقائص الإدارة والغلاء ، ويردِّدون ما يدور على ألسنة الناس من تهم السرقات والرشوات ، وأهابوا بالحكومة أن تنسحبي إذا كانت عاجزة ، ثم استعملوا حريتهم فى التصويت ضدها [١] .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

وفى أغسطس سنة ١٩٤٥ طُرح على المجلس « ميثاق سان فرنسيسكو » فاتخذه أحد الأعضاء وسيلة للتنديد بعدم الانسجام والاتساق بين الفعل والتطبيق وبين الدستور فى تركيا ، وقال : إن الميثاق يقتضى أن تكون الأمم المشتركة فيه حرة ديمقراطية نظرياً وعملياً ، وأن لا يكون للتحكم والإملاء مجال فيها ، وعاضده فى موقفه بعض النواب ، وجرت مشادة بين المعارضين والمؤيدين [١] .

وانفتح منذ أول الصيف باب تشاد صحفى بين كتّاب يدافعون عن النظام القائم وفوائده وفضله وصلاحه ، وآخرين يهاجمون الوضع القائم وعدم الاتساق بينه وبين نصوص الدستور ومبادىء الديمقراطية والحرية ويتهمونه بالفاشية [٢] .

وسرى أثناء ذلك كله شائعات عن نية فريق من النواب وغيرهم فى تأسيس حزب ديمقراطى حر [٣] .

ويقول « جورج حدّاد » : « إن المعارضة التى أتت من داخل « الحزب الجمهورى » شكلت « الحزب الديمقراطى » فى يناير ١٩٤٦ وفازت بـ ٦٢ مقعداً من ٤٦٥ فى انتخابات يوليو من نفس العام ، وبعد أربع سنوات ، وفى مايو ١٩٥٠ أحرز الحزب الديمقراطى - الذى ساند الحرية الدينية والعلمانية المعتدلة ، وتشجيع المشروعات الخاصة - نصراً كاسحاً فى الانتخابات ، ففاز بـ ٤٠٨ مقعداً تاركاً ٦٩ مقعداً للحزب الجمهورى ، وكانت هذه الانتخابات أول انتخابات حرة فى تركيا . وهكذا كانت تركيا تتحوّل إلى نظام تعدد الأحزاب فى نفس الوقت الذى كان أمنها يُربط بأمن العالم الغربى .

« وهكذا انتصرت الحرية والديمقراطية وازداد عدد الصحف والمجلات ، واندمج الفلاحون فى الحياة السياسية النشطة . وانتقل حزب الشعب الجمهورى بقيادة أينونو إلى المعارضة ، وقد قيل إن ضباط الجيش قد عرضوا خدماتهم على الرئيس أينونو ، بأن يحافظوا له على قوته ، لكنه رفض ، وفضّل أن يُقاتِل

---

(١) المرجع السابق . (٢) نفس المرجع . (٣) نفس المرجع .

على رأس المعارضة البرلمانية ، وفى ٢٢ مايو ١٩٥٠ انتخبت « الجمعية الوطنية الكبرى » جلال بايار ، رئيس الحزب الديمقراطى ، رئيساً للجمهورية . وأصبح « عدنان مندريس » رئيساً للوزراء » [١] .

أما « عباس محمد العقاد » فيتحدث عن السبب الأعمق الذى أدّى الى هذا التحول الكبير قائلاً : « دلت الانتخابات الأخيرة فى البلاد التركية على تحول الناخبين تحولاً كبيراً من حزب مصطفى كمال الذى حكم البلاد زهاء ثلاثين سنة إلى الحزب الديمقراطى الذى لم ينقض على تكوينه بعد خمس سنوات .

وكثرت الأسباب التى يعلل بها الباحثون السياسيون هذا التحول الكبير ، فقد يرجع إلى السآمة التى تتسرب إلى الشعوب رويداً رويداً من كل حكم طال عهده ، وقد يرجع إلى نشأة جيل جديد لا يحيط بخياله ذلك السحر الأخّاذ الذى شمل به مصطفى كمال أبناء جيله ، وقد يرجع إلى اشتداد الغلاء أو إلى المساعى الأمريكية التى تحارب التوسع فى التأميم وتنتظر من الحزب الغالب أن يقتصد فى تأميماته بعض الاقتصاد .

وقد يرجع إلى سبب أعمق من جميع هذه الأسباب وأقوى ، فيكون هذا التحول الكبير مظهراً من مظاهر الاحتجاج على حركة الفرنجة أو « الاستغراب » (Westernization) التى فرضها مصطفى كمال فرضاً شديداً على الأمة التركية ، وامتعض منها المتدينون والوطنيون فى زمنه ، ثم ما زالوا يتحينون الفرص حتى سنحت لهم فى هذا الانتخاب الذى اتسع للمعارضة الصحيحة لأول مرة فى تاريخ الجمهورية التركية .

ونعتقد أن الاحتجاج على حركة الاستغراب هذه كامن فى الوعى الباطن من أعماق الأمة التركية » [٢] .

---

(١) George Haddad ; Revolutions and Military Coups d'Etat in Turkey , P. 114 .

(٢) عباس محمود العقاد ، بين الكتب والناس - الحركة الطورانية ، مطبعة مصر ، ص ٤٠ .

ويعلل « محمد جلال كشك » نشأة الحزب الديمقراطى ويتحدث عن البرنامج الانتخابى الذى تقدم به عدنان مندريس وعن بعض مشروعاته الإسلامية فيقول : « بعد الحرب تقدم ستالين بمطالبه القيصرية ، طالب بامتيازات روسية فى المضايق وضم ولايات فرس - أرضهان - قرقوصة ... وفزعت تركيا فاستجابت للضغط الأمريكى الذى كان يطالبها بالانضمام الى حلف الأطلنطى ... ولكن حلف الأطلنطى رفض انضمامها إلا إذا أصبحت دولة ديمقراطية يقوم نظامها على النظام الغربى ... أى تعدد الأحزاب ... فاختار « أينونو » جلال بايار آخر وزراء كمال أتاتورك وكلفه بتشكيل حزب معارض ... هو الحزب الديمقراطى ... ولكن « مندويس » كان أعرف بحقيقة مشاعر الجماهير ، وأقدر على مخاطبتها ، فأصبح هو « دينامو » الحزب وروحه ..

« وفى انتخابات عام ١٩٥٠ نزل الحزب الديمقراطى ببرنامج عجيب .. توقعت له كل الدراسات الأمريكية الفشل المطلق ... كان برنامجه لا يتضمن أكثر من :

- عودة الآذان باللُغة العربية .
- السماح للأتراك بالحج .
- إعادة تدريس الدين بالمدارس .
- إلغاء تدخل الدولة فى لبس النساء ، فإذا كان التقدم يأبى أن تفرض الدولة الحجاب على المرأة ، فإن التقدم يتنافى أيضاً مع فرض الدولة العرى عليها .
- إعادة « أيا صوفيا » مسجداً كما كان طوال خمسة قرون » .

ويضيف جلال كشك : « أحب الأمريكيون أن يُجروا اختباراً حول نجاح الكمالية فى استئصال ميول الشعب الدينية » . وأن نتيجة سقوط حزب أتاتورك كانت مذهلة . وأن عدنان مندريس استجاب لمطالب الشعب فعقد أول جلسة لمجلس الوزراء (غير كمالى) فى غُرَّة رمضان وقدَّم للشعب هدية الشهر

الكريم : الآذان بالعربية ، وحرية اللُّبس ، وحرية تدريس الدين .. وبدأ تعمير بعض المساجد .. ولم يستطع أن ينُفذ وعده فى « أيا صوفيا » ولكنه سمح للمسلمين بالصلاة فى مقدمتها . وأن حكومة مندريس استردت المساجد التى باعها عهد أتاتورك . وفتحت عشرات الآلاف لمدارس تحفيظ القرآن ومدارس الأئمة والخطباء ومعاهد تدريس الدين .. منها ٣٥ ألف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم »[١] .

ويبدو أن عدنان مندريس لم يدرك أبعاد اللعبة الدولية ، فخالف « القوانين الكمالية » عندما استثمر التوجهات الكامنة فى وجدان الأُمة ، أو أن الصحوة الإسلامية انبعثت فى أعماقه هو ذاته ، فلم يُصغ لنصائح رئيس الجمهورية جلال بايار ، وواصل الإفراج عن عقيدة الشعب ، واستمر فى السير على طريق المشاعر الإسلامية .

سمح بالحج لآلاف الأتراك . وكان الحج محظوراً رسمياً فى تركيا الكمالية منذ عام ١٩٢٦ . ولئن كان لم يُصدر قراراً حكومياً بذلك فقد غَضَّ الطرف عن تحرك الحجيج إلى الديار المقدسة ، وأوعز إلى وزير داخليته أن يُسهِّل خروج الأتراك ، بادىء الأمر من ميناء أزمير ، ثم الموانىء والمطارات الأُخرى فيما بعد ، بجوازات سفر سياحية ، حتى وصل عدد من تمكن من الأتراك ما بين مائة وعشرين ألفاً إلى مائة وثلاثين ألف حاجاً ، فى الفترة الثانية من حكمه .

وراح يزور المساجد التاريخية ، ويُصلّى مع الجماهير ، فكان أول رئيس وزراء ، بل أول مسئول كبير منذ أتاتورك ، يركع ويسجد علناً أمام العالَم . وأوعزت القوى الماسونية - التى فزعت من الصحوة الرسمية - إلى صحفها ومجلاتها فى تركيا والخارج بأن تلتقط الصور من الخلف لعدنان مندريس وهو راكع أو ساجد ، تسخر من « قلة العصرية » وما أسمته « الأوضاع المزرية » !! فما ازداد الرجل إلا استمراراً فى أداء المشاعر .

---

(١) محمد جلال كشك ، حوار فى أنقرة ، ص ٥٩ - ٦١

وبعد غياب نصف قرن عاد كثير من الأتراك إلى الأزهر ، وجُدِّد الرواق القديم ، فى الدور الأرضى على يمين الداخل إلى صحن الجامع التاريخى العتيق ، تعلوه لافتة خضراء ، كُتِب عليها تعريف بكلمات بيضاء « رواق الأتراك » .

ودارت المطابع فى تركيا بطبعات جديدة للمصحف الشريف بالحروف العربية ، وبالبنط الكبير ، ومن قبل « مندريس » كان المسموح بطبعه ترجمة بالتركية وبالحروف اللاتينية للقرآن الكريم .

وبدأت صحف ومجلات إسلامية تصدر باللُّغة العربية ومعها صحف ومجلات تصدر باللُّغة التركية بحروف عربية بدلاً من اللاتينية !!

وأدار عدنان مندريس ظهره لليهود ... و « اليهودية » هى بيت القصيد فى « الحركة الكمالية » ، التى أسست ما يسمى « تركيا الحديثة » !!

وتقرب عهدنان مندريس من « طلاَّب النور » وتقربوا إليه ، ودعم جمعياتهم ورسائلهم ، وسمح لهم بحرية الحركة الواسعة !!

ونُقِل عن عدنان مندريس قوله : « لن أكون أبداً رئيس وزراء سابق » !!

(I Will never be an ex-prime minister)

وفق ما رواه « جورج حدَّاد » .

وبات واضحاً أن عدنان مندريس قد تخطى « الخط الأحمر » ، غير عابىء بالقرار الدولى ، الذى يحكم الأوضاع العامة فى تركيا ويرسم معالِم الطريق .

وتحركت دوائر الشيطان الثلاث : « الدائرة الماسونية » و « الدائرة الصليبية » و « الدائرة الاستعمارية » ... وكانت هذه الدوائر تراقب وترصد وتحلِّل المعلومات .

ماذا يجرى فى تركيا على المستوى الرسمى ! ؟

أهو بعث للإسلام ! ؟

إذن آن الأوان ... لا بد من الضربة !!

وتحرك « العم سام » !!

وانتهى الحكم المدنى والاستقرار فجأة فى السابع والعشرين من مايو ١٩٦٠ بتدخل الجيش ، بانقلاب قاده الجنرال « جمال جورسيل » ، البالغ من العمر ستة وستين عاماً ، والذى كان قد خدم تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك فى معركة « غاليبولى » منذ خمسة وأربعين عاماً من قبل . وكان قد تقاعد مؤخراً .

وقُبِضَ على رئيس الجمهورية جلال بايار ، ورئيس الوزراء عدنان مندريس ، ونحو أربعمائة من قيادات الحزب الديمقراطى . وحُلَّت الجمعية الوطنية الكبرى !! (١) .

ومنذ صباه الباكر كان « جمال جورسيل » - كأحد أفراد « الدونمة » - ضمن صغار الضباط الذين جندتهم « المحافل الماسونية » للعمل ضد الدولة العثمانية فى آخر أيامها ... فهو ماسونى منذ النشأة ، ظل مرتبطاً بأوكارها ومخططاتها حتى الشيخوخة .

وقُدِّم قادة الحزب الديمقراطى وأركان الحكم الى محاكمة صورية سريعة ، قضت بإعدام عدنان مندريس . وشُنِقَ - رحمه الله - بعد ثلاثة أيام من النطق بالحكم ، وشُنِقَ معه أيضاً « فطين ذورلو » الذى كان يدعو لوحدة عربية تركية تكون قلب العالَم الثالث . أما « جلال بايار » رئيس الجمهورية ، فقد حُكِمَ عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، لم يقض منها إلا القليل ثم خرج بعفو صحى !!

وبعد أن استنفد الانقلاب أغراضه ، من ضرب للصحوة الإسلامية وإعطاء شارة التحذير وحظر النشاطات الدينية إلا بعض « التنفيس » الهين - بديل الكبت ، الذى قد يؤدى إلى انفجار ، يقود بدوره إلى ما هو أخطر على

---

(١) George Haddad ; The Coup d'Etat of May 1960, P. 114 - 115

الماسونية والغرب من نظام مندريس - سُمِحَ بقيام الأحزاب مرة أخرى ، لأن تركيا كجزء من الغرب الأوروبى ومنظماته (هكذا !!) ، لا بد أن يكون نظامها ديمقراطياً متعدد الأحزاب !!

وعاد حزب أتاتورك للظهور بقيادة « بولان ايجيفيت » تحت رعاية وإشراف العجوز « عصمت أينونو » - قبل هلاكه مؤخراً . وظهر حزب آخر فى إطار النظام ، ومن منطلقات ماسونية ، وإن كان قد راهن على المشاعر الإسلامية ، لأن النظام التركى ليس لديه ما يقدمه فى لعبة الانتخابات إلا الإفراج عن عقيدة الجموع ... وكان ذلك الحزب هو « حزب العدالة » بقيادة « سليمان ديميريل ».

وعن هذا الحزب يتحدث محمد جلال كشك :

« وظهر حزب العدالة ، وظهر « سليمان ديميريل » الذى راهن على نفس المشاعر الدينية للجماهير ... وتوجّه للصلاة فى المساجد هو وزعماء الحزب ، ومرة أخرى اكتسح الانتخابات فى سنة ١٩٦٥ ، ١٩٦٩ (٢٦٣ من ٤٥٠ نائباً ثم ٢٥٧) وضاعف ديميريل عدد مدارس الأئمة إلى ٧٢ ، ومدارس تحفيظ القرآن إلى ١٢ ألف ، وصارت سياسته أكثر تقرباً للعرب وأكثر تجنباً للانغماس فى العلاقات التركية - الإسرائيلية ..

وكان أخطر قرار هو اشتراكه فى المظاهرة الإسلامية ضد إسرائيل بالرباط بعد حرق المسجد الأقصى ... رغم أن وزير خارجية تركيا وسفرائها فى أكثر من دولة اقترحوا عدم اشتراك تركيا لأنها دولة علمانية ... وقد سألته جريدة « جمهوريت » التركية ... كيف يشترك فى مؤتمر الرباط وتركيا دولة علمانية ، أليس ذلك خروجاً على الكمالية ... فكان رده : « إن القدس تهم الأتراك أكثر من أى شعب آخر » .

وقد علقت « لوموند » على اشتراك تركيا بمقال تحت عنوان « هل استيقظ الرجل الميت » ؟

وبدأت حملة عالمية على « الردّة » الدينية فى تركيا .

هذه الحملة كان يقودها صحفى يهودى هو « سامى كوهين » يعمل محرراً فى صحيفة « مليت » باسطنبول » [١] .

ومع كل ذلك فقد كان سليمان ديميريل منضبطاً ، وفى إطار اللعبة ، بعيداً عن الخط الأحمر ... وقام بدور محاولة الاستيعاب أو الاحتواء ، أى « الفرامل » المانعة من الاقتراب من الخطر !!

أما الخطر ، فقد جاء من حزب نشأ بعيداً عن مخطط النظام ، متحدياً « القرار الدولى ، داس « الخط الأحمر » ذاته ، فى استعلاء الإيمان ... وكان ذلك هو « حزب السلامة الوطنى » الذى قاده البروفسور مهندس « نجم الدين أربكان » .

نشأ الحزب إسلامى المنطلق ، أصولى الذكر ، تحديثى الطموحات التقنية .. مقاتلاً على طريق اقتلاع الكمالية واللادينية ، هاتكاً السِتر عن مخططات الماسونية .

حصل الحزب فى انتخابات عام ١٩٧٣ - ولم يكن قد مضى على تأسيسه إلا شهور - على ٤٤ مقعداً ، واشترك فى الائتلاف الوزارى بأربعة وزراء ، منهم السيد « نجم الدين أربكان » - الذى عُيِّن نائباً لرئيس الوزراء ، والسيد « عبد الكريم دوغره » وزير الصناعة والتكنولوچيا ونائب الحزب عن مدينة قرص - الذى ألقى خطاباً فى احتفال كبير نقتطف منه مايلى :

« الحمد للّه رب العالمين الذى جعل من أبناء تركيا خادماً لدينه الحنيف وخاصة أن هذه المنطقة تقع مقابل دولة من أخطر دول العالَم على الإسلام وهى الاتحاد السوفييتى . والحمد للّه فأبناء شرق تركيا يرفضون الشيوعية واللادينية ولا يقبلون بديلاً للإسلام » [٢] . والسيد « حسن أقصاى » وزير الدولة

---

(١) محمد جلال كشك ، حوار فى أنقرة ، ص ٦٢

(٢) عن مجلة « المجتمع » الكويتية نقلنا المعلومات الواردة فى هذه النقاط ، مايو ١٩٧٧

الذى عَيَّن أكثر من اثنى عشر ألفاً وخمسمائة (١٢٫٥٠٠) إماماً ومؤذناً ، وخاصة من القرّاء وحفّاظ القرآن الكريم فى عام ١٩٧٧

ولما كان عام ١٩٧٤ هو عام الانتخابات فى تركيا ، وجّه أحد الصحفيين من « حزب العدالة » السؤال التالى للسيد « أربكان » : « أنت كزعيم إسلامى ماذا تريد من المسلمين من اليوم وحتى يوم الانتخابات » ؟ فرد السيد « أربكان » : « نحمد اللّه على ما تعرفونه عن الحركة الإسلامية وهذا شيء جميل ، والمطلوب من المسلمين فى كل أنحاء العالم هو الدعاء ، والجهاد ضد أعداء الإسلام . وليس إلى يوم الانتخابات فقط ، بل إلى آخر حياتهم ، ونرجو من اللّه عز وجل أن يجعلكم خادماً للإسلام » [١] .

وفى اعتداد المسلم ، وعن دراية بحنين الشعب التركى إلى العودة إلى إسلامه ، أعنى العودة الرسمية ، صرح السيد أربكان زعيم حزب السلامة الوطنى قائلاً : « اليوم نستطيع تصنيف أبناء تركيا إلى صنفين اثنين ؛ أولهما : صنف فى إطار حزب السلامة ، والآخر حول ذلك الإطار ينتظر دوره فى الانضمام لهذا الحزب ، وحتى يأتى موعد الانتخابات لا يبقى - بإذن اللّه - إلا إطار واحد ، وذلك لأن الأتراك علموا أى حزب يعمل لأجلهم ويخدم دينهم » [٢] .

سمع الأتراك لأول مرة منذ خمسين عاماً هذه التصريحات الرسمية ، ذات الصبغة الإسلامية ، لوزراء فى الحكومة ، ومن حزب علنى شرعى الوجود ... فتنادوا إلى الجهاد من خلال حزب السلامة الوطنى ... تنادوا إلى الخلاص من مخلفات « صنم » اسمه « أتاتورك » !!

انضم إلى حزب السلامة أكثر من خمسة آلاف مواطن فى يوم ٢٢ إبريل عام ١٩٧٧

---

(١) المرجع السابق .

(٢) نفس المرجع .

وذلك بعد صلاة الجمعة فى مدينة « إستانبول » وحدها ، وانضم أيضاً فى مدينة « قونية » ٣٧٥ قبيلة مع أفرادها . وكذلك بمدينة « كرابنار » ١٥٦ قبيلة بأفرادها ، وانضم إلى حزب السلامة النائب السابق ومساعد رئيس حزب الحركة القومية المحرر الأستاذ « عثمان يوركسل سردن كجتى » بعد حفلة خاصة فى مقر الحزب فى أنقره ، والجدير بالذكر أن السيد عثمان ينادى منذ أكثر من أربعين سنة بتغيير النظام اللادينى فى تركيا ، كذلك انضم إلى حزب السلامة ستة من زعماء حزب الحركة القومية بعد انضمام السيد عثمان يوركسل وهم السادة إسماعيل حقى بلايلى أونجلو وحسين أوزمز وكرم أفشار ونهاد يازار وحمدى خلال . وانضم كذلك السيد فاروق امتكلاح وقد كان سكرتيراً عاماً لحزب الحركة القومية ، وقال فى مؤتمر صحفى له : إننا نعتز برفع راية حزب السلامة لأنه الحزب الإسلامى الخالص .

وراحت الجماهير التركية المسلمة تجوب الأقضية والمدن والقُرى تهتف لحزب الخلاص الإسلامى ، فى تظاهرات تردد « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ثم تتجمع فى دور الحزب .

ولأول مرة منذ خمسين عاماً تعلو مقر الحزب - حزب رسمى - لافتة عليها كتابة بالعربية « الله » بدلاً من صورة « الذئب الأغبر » شعار اللادينية الكمالية ، وصورة مكبرة لصفحتين مفتوحتين من القرآن الكريم ، بدلاً من الشكل الذميم لذلك العتُل الزنيم .. « أتاتورك » .

واتفق الحزبان الماسونيان : حزب العدالة (فى الحكم) وحزب الشعب (فى المعارضة) على تأجيل الانتخابات من يونيه إلى أكتوبر ، خوفاً من اكتساح الجماهير المسلمة - تحت راية « حزب السلامة الوطنى » - الانتخابات ، والحصول على الأغلبية التى تبعث الإسلام ، رسمياً من جديد !!

وأعلن البروفسور نجم الدين أربكان أن حزب العدالة الماسونى قد يخطو خطوة أخرى بتأجيل الانتخابات إلى أجل غير مسمى .. وقد كان !!

وجدير بالذكر أن قرار إرسال القوات المسلحة التركية إلى جزيرة قبرص ، لحماية الأقلية التركية المسلمة من وحشية القبارصة اليونانيين ، كان بضغط من « حزب السلامة الوطنى » ، بل وكانت مطالبه أن يتعدى الجيش التركى الخط الذى وقف عنده فى قبرص ، قال أربكان : إن هناك أثراً إسلامياً فى قبرص كان ينبغى أن يكون ضمن القسم التركى من الجزيرة .

ولعله من المفيد ، ونحن نختم حديثنا عن حزب السلامة الوطنى ، أن نُورد الخطاب الجامع الذى ألقاه زعيم حزب السلامة الوطنى ، بمناسبة انعقاد « المؤتمر الإسلامى » السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية فى « إستانبول » ليلة الجمعة ١٣ جُمادى الأولى ١٣٩٦ هـ (الموافق ١٣ مايو ١٩٧٦ م) .

يقول « القائد المسلم » الذى جاهد فى سبيل « بعث إسلامى » وسط غابة الماسون والكماليين وعملاء اليهود ، الذين حكموا تركيا بالتناوب ... من « حزب الشعب » إلى « حزب العدالة » .... من « ديميريل » إلى « ايجيفيت » :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

« أرحب بكم جميعاً وأحييكم تحية المحبة والاحترام كممثلين عن العالم الإسلامى الكبير الذى يقطنه ما يقارب المليار من المسلمين . وأحمد اللّه عز وجل الذى جمعنا فى هذه الليلة المبارَكة - ليلة الجمعة العظيمة .. وفى هذا المكان التاريخى العريق ... إن هذا القصر الذى شاء اللّه أن يُعقد فيه هذا المؤتمر الاسلامى الكبير ... وقد نُقشت على بابه كلمة الإسلام الجامعة « لا إله إلا اللّه » .. هو قصر السلطان محمد الفاتح الذى بناه عقب فتح إستانبول .. كيف لا يكون هذا المكان تاريخياً وفيه كانت تدبر شئون العالم الإسلامى ردحاً من الزمن ؟ ، وكيف لا يكون تاريخياً ومنه كانت تنطلق جيوش المسلمين إلى جميع أنحاء الدنيا مجاهدة فى سبيل اللّه ، تنشر النور والهداية والعدل أينما حلّت وحيثما ضربت ؟ .. كيف لا يكون تاريخياً وفوق هذا الحجر الذى يرتكز

عليه الميكروفون كانت تُنصب رايات الجيوش الإسلامية المنطلقة للذّب عن ديار المسلمين جميعاً ؟ ، وأذكر - على سبيل المثال لا الحصر - أن قرار إرسال الأسطول الإسلامى للحيلولة دون وقوع كل من أندونسيا والفلبين فى براثن الاستعمار الهولندى اتُخذ فى هذا المكان ... وفيه أيضاً اتُخذت قرارات إرسال الجيوش والأساطيل الإسلامية لحماية « شمال إفريقيا » من الغزاة الطامعين ...

وفوق هذا كله ، فإن هذا البناء التاريخى يضم بين جدرانه لواء الرسول الأعظم ﷺ وبُردته المباركة وسيوفه ، وكثيراً من آثاره الشريفة .

أيها الأخوة الكرام ..

إن الآمال العريضة لتداعب نفسى ، وأنا أخاطبكم معبراً عما يجيش فى صدرى ... أخاطبكم وقد اختلط الأمل بالاعتزاز والفخر ... كيف لا وقد اجتمع ممثلو خمسين دولة إسلامية فى هذا المكان الذى كان مركزاً للدولة الإسلامية الكبرى يوم كانت تنتظم كل هذه الدول الخمسين فى دولة إسلامية واحدة ؟ ... إذن ... فإننا بالتقائنا فى هذا المكان التاريخى أكدنا تساندنا وتضامننا ، وعليه فإنه من أوجب الواجبات أن نعمل جادين على توحيد كلمتنا واستعادة قوتنا لكى نتمكن من استلام راية القيادة من جديد ... عندها فقط نُخلّص العالَم من المظالم والفساد وننشر نور الإسلام فى كل أرجاء الدنيا .

أيها الأخوة الكرام ..

إن مدينة القدس الشريف إسلامية ، وستعود إسلامية إن شاء الله بعد تخليصها من أيدى الصهاينة المعتدين - أعداء الله ورسوله ... ومساهمة منا فى قضية فلسطين الإسلامية أعلنت تركيا استعدادها التام لفتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى تركيا ، كما أننا نستنكر المعاملة الوحشية التى يتعرض لها إخواننا مسلمو فلسطين ، ونطالب بإعادة حقوقهم المغتصبة وإرجاعهم إلى ديارهم فى أقرب وقت . ونستنكر أيضاً حرب الإبادة التى تُشَن ضد المسلمين

فى الفلبين وأرتيريا وكشمير وتراقيا الغربية وتركستان الشرقية وفى كل مكان فى العالَم يُضطهد فيه المسلمون .

أيها الأخوة الكرام ...

إننا نطالب بأن نترجم أقوالنا هذه أفعالاً ... فنعمل على تطوير العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين سائر الدول الإسلامية كخطوة فى طريق الوصول إلى وحدة العالَم الإسلامى الكبير ... واعلموا أيها الأخوة الكرام أن الدول الإسلامية فى غِنى عن تقليد الدول الغربية الرأسمالية المستغلة وعن الشيوعية المضادة لطبيعة الإنسان وفطرته ، ولذا لا بد من القيام بدراسات ثقافية واجتماعية وبحوث اقتصادية نابعة من صميم الشريعة الإسلامية لبناء مجتمعنا الإسلامى على أُسس سليمة تحفظ له طابعه الإسلامى وشخصيته المتميزة .

وفى الختام .. أحمد اللّه سبحانه وتعالى الذى هيأ لنا أسباب هذا اللّقاء المبارَك لنتناول الحديث حول أمانينا المشتركة فى ظل الأُخوة فى اللّه ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وأحييكم جميعاً كممثلين عن الدول الإسلامية ، راجياً لهذا المؤتمر الإسلامى وللدول الإسلامية كلها وللمسلمين جميعاً التوفيق والسَداد .

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته » .

* * *

أكل ذلك يحدث فى تركيا !! ؟

أوَ قد عادت النغمة المفقودة ، من جديد !! .. ومن خلال حزب رسمى شرعى ، يشارك فى الحكم بوزراء !! ؟

أيضيع كل ما زرعته « الماسونية العالَمية » ، وحرَكت فى سبيله دائرتين أُخريين ، هما « الدائرة الصليبية » ، و « الدائرة الاستعمارية » على مدى أكثر من قرن من الزمان ، منذ « العثمانيين الجدد » أو تركيا الفتاة ! ؟ ومروراً

بعصابة « الاتحاد والترقى » و « انقلاب الدونمة والماسون » ، وانتهاءً بـ « أتاتورك » ! ؟

ودقت الأجراس فى « المحفل الكونى الماسونى » !!

وتجاوبت مع الأجراس إنذارات إضاءات اللمبات الحمراء فى « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية » و « البنتاجون » ... ومع « واشنطون » تحركت باقى القوى الاستكبارية والمطايا والذيول !!

وأعطت أمريكا الإذن .

وتحرك الجيش التركى !!

وكان الفزع من « حزب السلامة » ولم يكن خوفاً من « حزب العدالة » !!

وعن الانقلاب الأخير فى تركيا يقول الدكتور وحيد رأفت :

« وفى تركيا حيث استولى العسكريون على الحكم بقيادة الجنرال « كنعان إيڤرين » فى سبتمبر ١٩٨٠ ، فألغوا الأحزاب السياسية القائمة ، وحلوا البرلمان ، وعطلوا الدستور ، وسجنوا الزعماء السياسين السابقين ، وجردوهم من حقوقهم السياسية لمدة عشر أعوام ، اضطر الحكم العسكرى تحت ضغط الرأى العام الأوروبى والأمريكى (فتركيا عضو فى حلف شمال الأطلسى وفى غير منظمة أوروبية) وكنتيجة أيضاً للظروف الاقتصادية المتدهورة ، إلى التخفيف من قبضته الحديدية على الحكم ، فأصدر العسكريون دستوراً جديداً للبلاد فى نوڤمبر ١٩٨٢ اختير بموجبه الجنرال كنعان إيڤرين رئيساً مدنياً للدولة ، وسُمِح بتشكيل أحزاب ثلاثة جديدة لتحل محل الأحزاب السابقة ! بارك النظام إحداها وهو الحزب الديمقراطى الوطنى ، وسمح لهذه الأحزاب الجديدة بخوض الانتخابات العامة التى جرت فى البلاد ، وهُزِم فيها الحزب الذى باركه النظام ، بينما فاز بأغلبية الأصوات أحد الحزبين الآخرين « الحزب الوطنى الأم » بزعامة

رجل الاقتصاد السيد تورجوت أوزال ، فكُلِّفَ بتشكيل حكومة مدنية لتخليص البلاد من الأحوال الاقتصادية المتدهورة » [1] .

ومن عجب - وإن كان ذلك طبيعياً - أن يُطالِب المدعى العام التركى بإعدام البروفسور مهندس « نجم الدين أربكان » زعيم حزب السلامة الوطنى دون غيره - وهذا طبيعى أيضاً - من الزعماء الذين سُجِنوا - صورياً - من باقى الأحزاب !!

وأنا على يقين أن الصحوة الإسلامية أكبر بكثير من الإجهاض الماسونى ، وأدواته من القوى الاستكبارية خارج الحدود ، وعملائها من التوابع الذيلية داخل الحدود !!

لقد هلك طواغيت كثيرون تسربلوا بدروع « العم سام » منذ الخمسينات ، وظنوا ، أنهم عندما كالوا الضربات الوحشية لطلائع البعث الإسلامى ، قد سحقوا « الرجعية الدينية !! » ... لكن نبتت على جثثهم - التى تحللت إلى العدمية فى الأرض الطيبة - براعم الأمل والرجاء !!

وسيهلك الماسون الجدد كما هلك أسلافهم من قبل .

﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ﴾ [2] .

« صدق الله العظيم »

* * *

(١) جريدة الوفد - ٩ يناير ١٩٨٦ - ص ١٣

(٢) الجن : ٢٤

خاتمة

ضفادع وعقارب فى الشرق الأوسط

يُحكى أن عقرباً أراد أن يعبر النهر من ضفة ، إلى الضفة الأُخرى ، وحيث إنه لا يجيد السباحة ، فقد التمس العون من الضفدع ، وقال لها : السلام عليكِ أيتها الضفدع ، هل تساعدينني على عبور النهر إلى الضفة الأُخرى ؟

فقالت الضفدع : ومن يضمن لى ألا تلدغنى ونحن فى وسط النهر ..

فرد العقرب : الضمان الوحيد هو أننى إذا لدغتك ، ستموتين أنت ، كم أموت أنا .

وسُحِرت الضفدع بمنطق العقرب ، ووافقت على حمله على ظهرها ، وعندما وصل الاثنان إلى منتصف النهر تحرك العقرب ولدغ الضفدع ... وعندما كان الاثنان يغرقان فى النهر ، تطلعت الضفدع بعين دامعة إلى العقرب ، وسألته : لماذا فعلت ذلك ؟

فأجابها : إنه الطبع ، والطبع ، كما تعرفين ، غلاّب .

* * *

بهذه القصة الرمزية والتعليق عليها ، قدمت « دورين قيس Doreen Kays » – مراسلة شبكة « آى . بى . سى » التليفزيونية الأمريكية فى القاهرة – لكتابها :

(Frogs and Scorpions, Egypt, Sadat and the Media)

وقد نُشر مترجماً فى صحيفة « القبس » الكويتية تحت اسم « عقارب وضفادع فى الشرق الأوسط » على مدى أربع وثلاثين حلقة بدءاً من الجمعة ١٩٨٤/٦/١ وحتى الثلاثاء ١٧ / ٧ / ١٩٨٤ ...

ونستعير هذه القصة الرمزية كخاتمة لهذه الدراسة ، مع تعديل جزئى لطبيعة ودور « العقارب و « الضفادع » فى الحركة « الماسونية » العالمية .

« فالعقارب العذارة » القاتلة ، هى التى تستخدم أو تستحمر « الضفادع الغبية » العميلة ، فى جميع بقاع العالم التى وُضعت تحت البردعة الماسونية ... لكن « العقارب » - فى موضوعنا - لا تغرق فى معظم الأحوال . فهى عقارب برمائية ، ولها ريش أيضاً ، إنها تستطيع أن تُغرق « الضفادع » ... ثم تعبر النهر أو المستنقع ، سابحة أو طائرة ، بعد أن تستنفد فترة الركوب ، محتفظة فى ذنبها بسم بتجدد ، لتلدغ به مسلسل « الضفادع الغبية » فى سلسلة الدائرة الجهنمية الماسونية ... وصولاً إلى « مملكة داوود » !!

وإذا كان صحيحاً أن « العقارب » تستطيع أن تستثمر أوضاعاً مائلة أو تستغل ظروفاً معوجة ، بل وكثيراً ما تخلق هى الظروف والأوضاع فى المستنقعات الراكدة .:. فإنها ، فى بعض الأحيان ، لها حسابات ومراجعات وتراجعات !! فهى تجفل من النهر الجارف الذى تندر فيه « الضفادع » المُستحْمَرة !!

أعنى أن « المؤامرة الماسونية » - فى صورة « القرار الدولى » - لا يمكن تنفيذها إلا من خلال « أدوات محلية » !!

« فالكثير من القرارات التى تُتخذ دولياً ... » - على حد تعبير أمير حركة التوحيد الإسلامى بلبنان - « ... لا يمكن تنفيذها فعلياً ما لم تُحَط بموافقة محلية ، أما إذا قوبل القرار بالرفض التام ، حين ذاك يتعثر تنفيذه ويصبح حبراً على ورق ، وقد استطعنا فعلاً إلغاء الكثير من القرارات عندما أوجدنا لها رأياً عاماً رافضاً ، وبذلك فوّتنا على الخصوم فرصة إنجاح كثير من المؤامرات ... فالقوات الفرنسية والأمريكية والصهيونية مثلاً دخلت بيروت والكثير من

الأراضى اللبنانية بقرار دولى ، ولكنها لم تجد بُداً من الانسحاب فى أكثر الحالات .. لأنها قوبلت بالرفض المحلى » .

ويقول أيضاً : « وكم من أُمة كانت محكومة بالقرار ، أصبحت مُتحكِّمة به ، إن قيام دور المسلمين فى صناعة الخارطة السياسية العالَمية ليس أمراً مستحيلاً » .

إن الأشخاص الذين لهم دراية بالمجاز والبلاغة القديمة فى الشرق الأوسط سيرون الأمر على أنه أكثر من مجرد حكاية بسيطة عن الضفادع التى تثق بالآخرين ، والعقارب الغدّارة المختبئة فى جنون الشرق الأوسط ... ومعظم الناس سيفسرونها على أنها حكاية تُبيِّن أن « الضفادع ستظل ضفادع » و « العقارب ستبقى عقارب » .

إن العقرب سيفعل ما يجب أن يفعل ... فإن عاجلاً أو آجلاً لا بد أن يعمل ما يأتى منه كأمر طبيعى .

إن « العقرب » لدغ « الضفدع » وهى فى منتصف النهر ، لا شىء ، إلا أنه لم يعد يحتمل الانتظار مدة أطول !!

فغباء « الضفدع » كان فى تجاهلها الحقيقة !!

وحقائق كثيرة تضيع فى شرقنا الأوسط ... شرق العروبة والإسلام ... ولا يتعظ كثيرون من تكرار أحداث مماثلة ، بنفس الأنماط ونفس الحالات ... وقد خلت من قبلهم المُثلات !!

إننا فى الشرق الأوسط ، وفى العالَم الإسلامى بعامة ، لسنا فى حاجة إلى « مصل » واق ، ينقذنا من سم العقرب ، أو إلى « حاوى » يفصد بمشرطه مكان اللّدغة .. لكننا - إذا أردنا أن نعيش - فى حاجة إلى « مطارق » ثقيلة تسحق العقرب ذاته ، على التحقيق !!

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ، وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ، وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١) .

« صدق اللّه العظيم »

* * *

وكان الفراغ منه بمدينة أبو تيج العامرة عند فجر الاثنين غُرة جُمادى الآخرة من عام ١٤٠٦ هـ (الموافق ١٠ من فبراير عام ١٩٨٦م) والحمد للّه رب العالمين .

* * *

(١) الأنبياء : ١٠٩ - ١١٢

مراجع الكتاب

(أ) الإنجليزية :

1 - A History of Christian Missions, Stephin Neill, London, 1971.

تاريخ الإرساليات المسيحية ، استيفان نيل ، لندن ، ١٩٧١

2 - Ataturk - The Rebirth of a Nation, Lord Kinros. London, 1965.

أتاتورك - بعث أمة ، لورد كينروز ، لندن ، ١٩٦٥

3 - A New Encyclopaedia of Freemasonary, Arther Edward Waite, London.

موسوعة جديدة في الماسونية ، آرثر إدوارد وايت ، لندن .

4 - Darkness Visible, Walton Hannah, London, 1963.

الظلام .. مرئياً ، والتون حنا ، لندن ، ١٩٦٣

5 - Emergence of Modern Turkey, Bernard Lewis Oxford, 1965.

نشأة تركيا الحديثة ، بيرنارد لويس ، أكسفورد ، ١٩٦٥

6 - Freemasonary - a critical study, Misbahul Islam Faruqi, Karachi, 1968.

الماسونية - دراسة نقدية ، مسباهول إسلام فاروقي ، كراتشي ، ١٩٦٨

7 - Israel's Wisdom Literature, O. S. Rankin, Edinburgh.

أدب الحكمة الإسرائيلي ، أ . س . رانكين ، أدنبرة ، ١٩٦٤

8 - Jewish Conspiracy - The Protocols of The Learned Elders of Zion, Social Reform Society - Kuwait, Kuwait.

المؤامرة اليهودية - بروتوكولات حكماء صهيون ، جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت .

9 - Revolutions and Military Rule in the Middle East, George. M. Haddad, New York, 1965.

الثورات والحكم العسكري في الشرق الأوسط ، جورج حداد ، نيويورك ، ١٩٦٥

10 - Speculative Masonary : Its Mission, its Evolution and its Landmarks, A. S. Macbride, Glasgow, 1914.

الماسونية التأملية : رسالتها وتطورها ومعالمها ، أ . س . ماكبرايد ، جلاسجو ، ١٩١٤

11 - The Arab Awakening, George Antonius. New York, 1970.

الصحوة العربية ، جورج أنطونيوس ، نيويورك ، ١٩٧٠ .

12 - The Standard Jewish Encyclopaedia, Cecil Roth, London, 1966.

الموسوعة اليهودية المثالية ، سيسل روث ، لندن ، ١٩٦٦

13 - The Standard Ritual of Scottish Freemasonary a Coded Book, Edinburgh, 1927.

الطقوس المثالية للماسونية الأسكتلندية ، كتاب بالشفرة ، أدنبرة ، ١٩٢٧

14 - The word Missionary Conference - Volume 10 Missions and Governments, Edinburgh, 1910.

مؤتمر التبشير الدولي - المجلد العاشر - الإرساليات والحكومات ، أدنبرة ، ١٩١٠ .

15 - What Price Israel, Alfred M. Lilienthal.

ما ثمن إسرائيل ؟ ، ألفريد م . ليننتال .

* * *

(ب) العربية والمعربة :

١ - أباطيل وأسمار ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ١٩٧٢

٢ - إخوان الصفا ، محمد غلاّب ، دار الكاتب العربي .

٣ - أسرار الماسونية ، جواد رفعت آتلخان ، المختار الإسلامي .

٤ - الإسلام والعروبة ، د . محمود كامل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦

٥ - الإمبراطورية البيزنطية ، أومان ، ترجمة د . مصطفى طه بدر ، دار الفكر .

٦ - البداية والنهاية - الجزء الرابع ، ابن كثير ، المطبعة السلفية ، ١٩٣٢

٧ - بصراحة عن هيكل ، كرم شلبي ، مطبعة عابدين ، ١٩٧٥

٨ - بيزنطة والإسلام - ملحق لكتاب الدولة البيزنطية ، فازلييف ، القاهرة . ١٩٥

٩ - بين الكتب والناس ، عباس محمود العقاد ، مطبعة مصر ، ١٩٥٢

١٠ - التاريخ - الدولة الإسلامية ، د . محمد سعيد الشعفي وزملائه ، دار الأصفهاني ، جدة

١١ - تاريخ الترك والمغول في آسيا من مبدأ نشأتهم إلى عام ١٩٠٥ ، ليون كاهون ، المقتطف ، ١٩١٦

١٢ - تاريخ القومية العربية - الثورة العربية ، د. جلال يحيى ، دار المعرفة .

١٣ - تركيا الحديثة ، محمد عزة دروزة ، مطبعة الكشاف - بيروت ، ١٩٤٧

١٤ - تركيا والسياسة العربية : أمين شاكر ، سعيد العريان ، محمد عطا ، دار المعارف ، ١٩٥٥

١٥ - تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ، مصلحة الاستعلامات .

١٦ - التمرد : قصة الأرجون ، مناحم بيجين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨

١٧ - التوجه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، محمد رفعت ، دار المعارف .

١٨ - الجامع لأحكام القرآن الكريم - الجزء الثامن عشر ، القرطبي ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٤٦

١٩ - الجزائر الثائرة ، كوليت وفرانسيس جانسون ، ترجمة محمد علي الشريف وزميليه ، دار الهلال ، ١٩٥٧

. ٢ - حركات ومذاهب في ميزان الإسلام ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة .

٢١ - الحركة التورانية الجديدة - المقتطف - الجزء الخامس من المجلد التاسع والأربعين - نوفمبر ١٩١٦

٢٢ - حوار في أنقرة ، محمد جلال كشك ، المختار الإسلامي ، ١٩٧٥

٢٣ - خطاب البروفسور مهندس نجم الدين أربكان في المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية ، ١٩٧٦ - المجتمع الكويتية ، جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت .

٢٤ - الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة : محمد خليفة التونسي ، دار الكتاب العربي .

٢٥ - الدولة البيزنطية ، نورمان بينز ، ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، القاهرة ، . ١٩٥

٢٦ - الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، هـ . س . آرمسترونج ، دار الهلال ، ١٩٥٢

٢٧ - المسألة الشرقية .. دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (١٢٩٩ - ١٩٢٣ م) ، محمود الشاذلي ، مكتبة وهبة . ١٩٨٩

٢٨ - السياسة الأمريكية والثورة المصرية - فصل مُعرَّب من كتاب مايلز كوبلاند : لعبة الأمم ، بدون .

٢٩ - شاهد على حرب ٦٧ ، الفريق صلاح الدين الحديدي ، مكتبة مدبولي ، ١٩٧٤

. ٣ - الصامتون يتكلمون ، سامي جوهر ، المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٥

٣١ - الصامتون يكذبون ، حسنين كروم ، دار مأمون للطباعة .

٣٢ - الصهيونية في الستينات ، محمود نعناعة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤

٣٣ - الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، دار الفكر ، ١٩٦٨

٣٤ - العالَم العربي اليوم ، مورو بيرجر ، ترجمة محيي الدين محمد ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣

٣٥ - عروبتنا ، محمود كامل ، دار المعارف .

٣٦ - العشاء الأخير للمشير ، عبد الصمد محمد عبد الصمد ، دار التعاون .
٣٧ - الغزو الفكري ، محمد جلال كشك ، المختار الإسلامي ، ١٩٧٥
٣٨ - القومية العربية ، حازم زكي نسيبة ، بيروت ، ١٩٥٩
٣٩ - كتاب عباس حلمي الثاني ، اللورد كرومر ، المقتطف ، المجلد السابع والأربعون - أغسطس ١٩١٥
٤٠ - الكتاب المقدس - العهد القديم : أسفار التوراة والأنبياء والملوك والتواريخ والمزامير ، من ص ٢ - ١٣٥٨ ، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى ، ١٩٧٧
٤١ - الكتاب يتكلم ، الأدفنتست السبتيين ، مطبعة الشرق الأوسط ، ١٩٥٠
٤٢ - الكشاف الفريد ، خالد محمد علي الحاج ، مطابع الدوحة الحديثة ، ١٩٨٣
٤٣ - كلمتي للتاريخ ، محمد نجيب ، دار الكتاب الجامعي ، ١٩٨١
٤٤ - كيف يفكر زعماء الصهيونية ، أمين هويدي ، دار المعارف ، ١٩٧٤
٤٥ - لعبة الأمم ، مايلز كوبلاند ، ترجمة مروان خير ، مكتبة الزيتونة ، بيروت ، ١٩٧٠
٤٦ - لمحات من تاريخ العالم ، جواهر لال نهرو ، ترجمة عبد العزيز عتيق ، دار المعارف .
٤٧ - الماسونية في العراء ، د . محمد علي الزغبي ، نقلا عن الكشاف الفريد .
٤٨ - محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ساطع الحصري ، دار العلم للملايين ، بيروت .
٤٩ - محاضر محادثات الوحدة ، محمد حسنين هيكل ، الأهرام ، ١٩٦٣
٥٠ - محمد رسول الله ، مولاى محمد علي ، ترجمة مصطفى فهمي ، عبد الحميد جودة السحار ، مكتبة مصر .
٥١ - مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب عبد الحميد ، دار الأنصار ، ١٩٧٨
٥٢ - مذكرات شاهد القرن - الطالب ، مالك بن نبي ، دار صادر ، بيروت .

٥٣ - مذكرات اللورد كرومر - المقتطف - المجلد السادس والأربعون - فبراير ١٩١٥

٥٤ - مذكرات ونستون تشرشل ، ونستون تشرشل ، الدار القومية للطباعة والنشر .

٥٥ - ملوك العرب (نقلاً عن فصول مختارة من كتب التاريخ) ، أمين الريحاني ، وزارة التربية والتعليم .

٥٦ - المنطق الثوري للحركة العربية الحديثة ، عبد الله الريماوي ، دار المعرفة ، ١٩٦١

٥٧ - موجز تاريخ العالم ، هـ . ج . ويلز ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .

٥٨ - الوثيقة - الإسلام الخطر ، محمود الشاذلي ، المختار الإسلامي ، ١٩٨٥

* * *

(جـ) مجلات وصحف :

١ - الأهرام ٢٩ / ١ / ١٩٨٦

٢ - التاج المصري - لسان حال الشرق الأكبر المصري - يقوم بتحريرها نخبة من كبار الماسون - العدد ٥٦٢ - السنة الثانية عشر - ٢٥ مارس ١٩٣٨

٣ - الثقافة - العدد الرابع - يناير ١٩٧٤

٤ - أخبار اليوم ١١ / ١ / ١٩٨٦

٥ - الدعوة - العدد ١٣ - يونيه ١٩٧٧

٦ - روز اليوسف - العدد ٢٥٥١ - ٢ / ٥ / ١٩٧٧

٧ - الكاتب - العدد ٧٤ - مايو ١٩٦٧

٨ - المجتمع (الكويتية) - مايو ١٩٧٧

٩ - النور ٢٧ / ١١ / ١٩٨٥ ، ١٥ / ١ / ١٩٨٦

١٠ - الوفد ٢٩ / ٨ / ١٩٥٨ ، ٢ / ١ / ١٩٨٦ ، ٩ / ١ /١٩٨٦

* * *